الدكتور عبد الجواد الكليدار
دكتور في الحقوق
وليسانس في العلوم السياسية

تاريخ
كربلاء
وحائر الحسين عليه السلام

وهو بحث واسع عن الحائر
وتاريخه في اللغة والتاريخ والفقه
والحديث وتاريخ عمارته وهدمه من
الصدر الأول الى العصر الحاضر

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

بغداد - ١٣٦٨ مطبعة المعارف

obeikandl.com

صاحب الجلالة الملك المفدى وصاحب السمو الملكي الوصي المعظم

(ج)

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي صاحب السمو الوصي المعظم .

في عهدكم الزاهر يصدر هذا الكتاب لأول مرّة في تاريخ المطبوعات القديمة والحديثة فأرفعه الى سدتكم السامية تقريراً عما لأجدادكم العظام الطاهرين في العالم الاسلامي من التجليل والتقديس في النفوس ، وما طرأ على مشاهدهم المشرفة خلال أدوار التاريخ كلها من عصرٍ ذهبي باهر ، أو دورٍ مظلم جائر كانت فيها حيناً كعبةً مقدّسة في عهدٍ كان يسوده الايمان والسلام ، وحيناً مورد نقمة الجبابرة والطغاة في عهود كان يتغلب عليها الجور والفساد . فكانت تنتابها الأزمات والويلات من حين إلى حين .

ومن أولى منك سيدي أن يُرفع إليه مثل هذا الكتاب الجديد في بابه ، الفريد في نوعه ، وأنت أنت إبنها البار وولدها المخلص وقد ذخرتك الأيام لمثل هذا اليوم أن تكون حامياً للعرش ، وحارساً لقباب أجدادك الذهبية العالية في الآفاق . والتاريخ ، كما يقال ، يُعيد نفسه ، إذ أنكم اليوم تعيدون ذلك المجد الأصيل الى عالم الوجود ، فعهدكم الآن هو إتصال بذلك الماضي البعيد فأصبح به البعيد قريباً ، لأنكم من وجهة التاريخ من دوحةٍ « أصلها ثابت وفرعها في السماء » فما أقرب بين الأصل والفرع وإن كان البعد بينهما السماء والأرض . فاليك سيدي أرفع هذا الكتاب والأمل أن يقع موقع القبول ، والله ولي التوفيق ؟

المؤلف

كلمة سماحة الامام الاكبر حجة الاسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء دامت فيوضاته العالية

انه من الكتب القيمة والآثار الخالدة
وقد أديت به حق وطنك وأجدادك .

بسم الله الرحمن الرحيم . السيد الشريف البحاثة الألمعي الدكتور السيد عبدالجواد الكليدار حفظه الله . سلام ودعاء . وصلني كتابك وما قدّمت من كراريس مؤلفك البارع « تاريخ كربلاء » وتطلب تقريظه مع المقرّظين . وحقاً ان كتابك هذا يقرظ نفسه بنفسه ، ويدل على ذاته بذاته ، ويفرض إستحسانه على قارئه والاعجاب به فرضاً :

وإذا إستطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وأنا عوض أن أقرظ كتابك هذا ، أهنّئك وأبارك لك على ما منحك الله من التوفيق لهذه الخدمة الجليلة لا للطائفة فقط بل لقافلة البشرية أجمع . فانه من الكتب القيّمة ، والآثار الخالدة وقد أديت به حق وطنك وأجدادك وكنت أنت إبنها البار وولدها المخلص .

نعم ، كتابك هذا كله بحث وتحقيق ، وأمانة ومتانة . فنسئله تعالى أن يوفقك لاتمامه فاننا نتشوق اليه تشوق الظمآن الى الماء . وحالتنا الصحية لا تساعدنا على أكثر من هذا . فعذراً أيها السيد الفاضل والله يحفظك

بدعاء أبيك الروحي

محمد الحسين

آل كاشف الغطاء

من مدرستنا العلمية في النجف الأشرف ، غرة شعبان ١٣٦٨ هـ

كلمة صاحب السماحة العلامة الاكبر الشيخ عبدالحسين الاميني

مؤلف كتاب « الغدير » في الاسلام

هذا الكتاب ضالة الفقيه وطلبة المحدث وبغية الباحث
وأمنية أهل الدين ومأرب المجتمع البشري أجمع

حضرة الدكتور الفذ السيد عبدالجواد الكليدار الحائري المحترم .

سلام عليكم ، تلقيت بكل إحترام كتابكم الكريم مع ما إستصحبه من كراريس من تأليفكم القيّم « تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام » فلما قرأت عنوان ذلك التأليف الحافل بالفضيلة أخذتني الدهشة وقلت سبحان الله أيسع للكاتب أن يؤلف في تاريخ كربلاء وحائرها ، أو يتأتّى للبحّاثة أن يحمل ذلك العبء الثقيل في الحائر المقدس وقد حارت فيها العقول وبحق سمّيت حائراً ؟ أو يتمكن أي ضليع في التاريخ من أن يحوم حول قبلة الاباء ، وكعبة الشرف ، ومطاف الملائكة ، ومصرع العشاق ، وحلبة السباق ؟ ولما سرحت نظري في غضونه سبحت أخرى قائلاً : خلق الله للحروب رجالاً ـ فلا بدع في أن تجول يا « جواد الفضيلة » في ذلك المضمار إذ أنت وليد الحائر وإبن مليكها ، وهي قاعدة بيتك ، وبيئة نشأتك ، وبيدكم مفاتيح الشرف وأهل البيت أدرى بما فيه.

و كأنك بها وجدت الأمة قد ولّت وجهها شطر عظمة تلك الأرض المقدسة وأخبتت الى قدسها وقدس صاحبها حسين القداسة ، حسين الأباء والشهامة حسين السؤدد والشرف ، حسين الفضل والعظمة ، حسين الحق والحقيقة ، حسين الروح والمعنى ، ووقفت على مقال طبقات الأمة

حول بقعة الشرف ـ الحائر ـ ففصلت فيها القول فقهاً وحديثاً ، ولغةً وتاريخاً . فحقاً درست الحقوق ، وحقاً أنت جوادها ، وحقا أديت للحقيقة حقها .

فكتاب تاريخ كربلاء وحائرها كنفس بقعتها الكريمة ضالة الفقيه ، وطلبة المحدث ، وبغية الباحث ، وأمنية أهل الدين ، والقول الفصل فانه مأرب المجتمع البشري أجمع ، ومقصد العالم كله . فجزاك الله عن الكل خيراً ، وجعلك ذخراً للبحث والتنقيب ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . محبكم

النجف غرة شعبان ١٣٦٨ عبدالحسين الأميني النجفي

ما تفضل به صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ جعفر نقدي عضو محكمة التمييز الجعفري مقرظاً ومؤرخا كتاب « تاريخ كربلاء وحائر الحسين ع »

بخير الكتب جاد لنا جواد

لأهل الفضل بشرى في كتاب به الارشاد أشرق والرشاد
لحائر كربلا تاريخ صدقٍ مباحثه عليها الاعتماد
به حاز الجواد السبق حقاً فجاد بما أفاد كما يراد
لمن رام الكمال أقول أرّخ « بخير الكتب جاد لنا جواد »

٨١٢ + ٤٥٣ + ٨ + ٨١ + ١٤ = ١٣٦٨

كلمة صاحب الفضيلة العلامة الكبير والمؤلف الشهير السيد محمد مهدي الاصفهاني الكاظمي دام فضله

ان هـذا الـكتاب سيكون مصدراً
للتاريخ ومرجعاً للمؤلفين في كل وقت

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبينا وآله الطاهرين . أما بعـد فكثيراً ما كنا نود أن يقوم فضلائنا الأعلام بتأليف تاريخ للحرمين الشريفين الحائري والغروي على مشرفيهما السلام لأنه لم يؤلف فيها كتابٌ يستحق التقدير والتنويه ، حتى قيّض الله للحائر البحاثة النحرير ، والمتتبع الخبير ، والمؤرخ القدير الاستاذ السيد عبدالجواد الكليدار أدامه الله بهذا العمل الجليل في تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام وهو هذا الكتاب وقد طالعناه بامعان فوجدناه ليس بموجز مُخل ، ولا بمطوّل مُملّ ، أدىّ الموضوع حقه من جميع نواحيه بعباراتٍ فصيحة سلسة تقبلها الطباع وتستسيغها الاسماع بكل رغبـة . مع العلم ان كتاب سيدنا الدكتور هذا هو أفضل كتاب أُلف في الموضوع وخير تأليف ظهر في هذا المشروع . فانه خدم به جده الحسين سيد شباب أهل الجنة فجزاه الله بجده عن جده عليه السلام . وهو كتاب يستفيد منه الخاص والعـام ، وانه سيكون مصدراً للتاريخ ومرجعاً للمؤلفين في كل وقت ، ولا زال مؤيداً بدعاء أخيه .

العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني
محمد مهدي الموسوي الاصفهاني
الكاظمي عفى عنه

الكاظمية في ١٧ رجب سنة ١٣٦٨

(ح)

كلمة سعادة الاستاذ الكبير السيد محمد رشيد مرتضى

وبهذا السفر العظيم قد كشفت
الغطاء وأمطت اللثام عن وجه الحقائق

والحق إن هذا السِفْر العظيم ، والأثر الجليل الخالد سيقدّره طلاب الحقائق التاريخية في كل عصر. ولم يبلغ به مؤلفه الفاضل القدير هذه الدرجة من الكمال في الاستقصاء العلمي ، والبحث الحر الدقيق ، والتحليل الواسع للتاريخ وذلك بهذا الاسلوب الفني المتين إلاّ بعد جهاد في التتبع ، وإجهاد في الفكر ، وجهود عظيمة يقدّرها له أهل الفن وينظر اليها رجال العلم بمنظار الاعجاب والاكبار في كل وقت .

وقد أثبت المؤلف أنه فارس يجيد السباق في ميادين العلم ولهذا كان « المجلي » ولم يدانيه « المصلي » . ولا عجب فانه يتحدث عن المدينة المقدسة في الاسلام تلك التي يجب أن تدعى بالمدينة العظمى في كل العصور لأنها محط آمال العالم الاسلامي ، وموضع أماني المسلمين لسعادة الدارين ، وهي التي يؤمها في السنة مئات الألوف من الزائرين من جميع الأقطار الاسلامية فيعكفون على أبوابها ، ويتهافتون على أعتابها إعظاماً وإكباراً لبطل الأبطال الثاوي بربعها .

وبهذا السِفْر العظيم أيها الاستاذ الكبير لقد كشفت الغطاء ، وأمطت اللثام عن وجه الحقائق التي غشاها الاهمال والنسيان أجيالاً عديدة عن الانظار والافكار ، وها هي قد تجلّت اليوم للبصائر والأبصار عظمة هذه المدينة المقدسة فبرزت بموكبها النوراني الباهر الذي يقتحم الأرواح والنفوس ، ويحتل العقول والقلوب لا زلت موفقاً لكل خير .

نزيل العراق : محمد رشيد مرتضى

الدكتور عبد الجواد الكليدار
دكتور في الحقوق
وليسانس في العلوم السياسية

تاريخ
كربلاء
وحائر الحسين عليه السلام

وهو بحث واسع عن الحائر المقدس
في التاريخ واللغة والفقه والحديث
وعمارته وهدمه من الصدر الأول الى العصر الحاضر

حقوق الطبع والترجمة
محفوظة

١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩م

obeikandl.com

منظر عام لمدينة كربلاء المشرفة ومرقد الحسين عليه السلام ملتقط من الجو

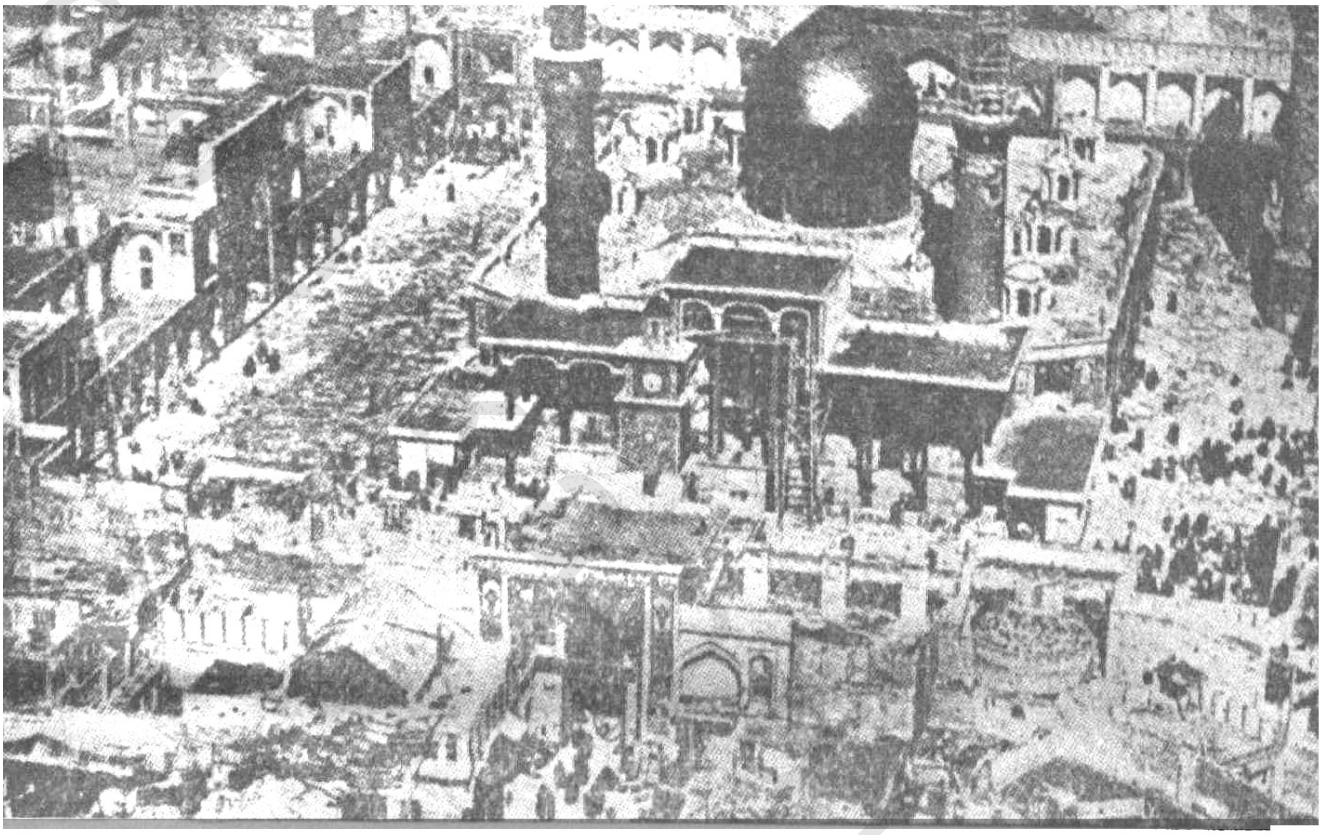

« وينصبون بهذا الطّف علماً لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه ، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً ، وأمره إلا علواً . »

السجاد عليه السلام

اهداء الكتاب

الى الملايين من النفوس المهذبة من الامم الاسلامية فى مختلف أقطار الأرض ، الشاخصة أنظارها أبداً ودائماً الى كربلاء قبلة الاباء والتضحية والمثل العليا فى الاسلام ، الذواقة نفوسهم الى الاطلاع على أحوالها ، ومعالمها ، وتاريخها القديم والحديث ، والمشتاقة أرواحهم الى رؤيتها وزيارتها يوماً من أيام حياتها .

أهدى كتابى هذا بكل اعتزاز ، اجابة لما فى ضمائرهم من الشوق والرغبة الى مثله .

ومن الله التوفيق

رجب — ١٣٦٨

المؤلف

كربلاء قبلة الاباء
ومكة قبلة الصلاة

في الاسلام

إن ماجعل من كربلاء كعبة ثانية للمسلمين ، وجعل منها قبلة للاحرار والمفكرين في جميع أدوار التاريخ الاسلامي إلى الآن وإلى الأبد هو وجود قبر الحسين عليه السلام فيها ، الذي ضحى بنفسه وأهله وذويه على ساحة هذه الأرض في سبيل المبادىء الاسلامية العليا ، والمثل الانسانية الفضلى كما عبّر عنها الاستاذ الجليل الشيخ عبد الله العلائلي في كتابه « سمو المعني في سمو الذات ، أو أشعة من حياة الحسين عليه السلام » بهذه الأبيات التالية :

فيا كربلا ، كهف الاباء مجسماً ... ويا كربلا ، كهف البطولة والعلا
ويا كربلا ، قد حزت نفساً نبيلةً ... وصيّرت بعد اليوم رمزاً إلى السما
ويا كربلا ، قد صرت قبلة كل ذي ... نفس تصاغر دون مبدئها الدّنا
ويا كربلا ، قد حزت مجداً مؤثلاً ... وحزت فخاراً ينقضي دونه المدى
فخارٌ لعمري سطرته ضحيّة ... فكان لمعنى المجد أعظم مجتلى
فللمسلم الاسمى شعار مقدس ... هما قبلتان للصلاة وللابا [1]

---

(١) راجع كتاب « سمو المعنى في سمو الذات ، أو أشعة من حياة الحسين عليه السلام » للاستاذ الجليل عبد الله العلائلي ، ص ١٢٦ و ١٢٧ طبع مصر ١٣٥٨ هـ

ولم تزل كربلاء تشع بأنوارها السماوية على العالمين العربي والاسلامي فيستوحي المسلم القرآني منها مبادىء الدين القويم ، ويستلهم غير المسلم منها منهج الصراط المستقيم في الحياة . فهي اليوم - على تعبير العقاد - حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى ، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة . ولكنها لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدميّ يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظاً من الفضيلة . لاننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الانسان من تلك التي إقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها . فكل صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الانسان انسان، وبغيرها لا يحسب غير ضرب من الحيوان السائم ، فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين رضي الله عنه في تلك البقعة الجرداء[1] .

إذ كان لمأساة الطف أثرها البليغ في النفوس من مسلمين وغير المسلمين، وقد بلغ بها عظم المصاب حداً أنست هذه المأساة كل ماتقدم أو تأخر من المآسي البشرية في التاريخ ، إذ أنها تعدت حدود المواطن والقوميات ، فتغلبت على اعتباريات الزمن وتطورات الايام . فغدت لا تنحصر اليوم كما انحصرت غيرها في حدود دائرة ضيقة لموطن واحد أو زمن معين ، بل انتشرت إنتشار النور في الآفاق ، فاصبحت موجة عالمية جارفة موطنها العالم في كل عصر وزمان تجرف في تيارها القوي الأمم الاسلامية وغير

---

(١) العقاد ، كتاب « أبو الشهداء » ص ١٥٤ طبع مصر .

الاسلامية على حد سواء ، حتى وأصبحت قلوب أقل الناس احساسا ، وأقساهم قلباً موطناً لتلك الفاجعة التاريخية الأليمة كما وصفها المؤرخ الانكليزي الشهير جيبون بقوله :

« ان مأساة الحسين المروعة بالرغم من تقادم عهدها ، وتباين موطنها لا بد أن تثير العطف والحنان في نفس أقل القراء إحساساً وأقساهم قلباً » .(١)

فلا غرو إذن ان تكتسب كربلاء وحدها بين المدن الاسلامية المقدسة مثل هذه الشهرة العالمية وتكتسب عطف الملايين من النفوس البشرية الحساسة في كل عصر ، فتصبح حرماً للمسلمين وغير المسلمين ، فيزورها المسلم للعبرة والذكرى وغير المسلم للنظر والمشاهدة . فهي اليوم مزار يزوره الخاص والعام من مختلف الشعوب والاقوام ، وستبقى كذلك مادام الاسلام على وجه الأرض ، وما دام في العالم عباد المبدأ وعشاق العدل والحرية .

لكربلاء منزلة دينية رفيعة في التاريخ الاسلامي تربو في نظر الكثير على منزلة غيرها ، لأنها مدينة إسلامية خالصة بقيت بعيدة عن أرجاس الجاهلية وضلالها ، ثم أنها نشأت وتكونت على عهد الاسلام فامتزجت تربتها بأقدس ما يقدسه المسلمون في أنحاء الارض وأقطارها ، امتزجت

---

(١) تاريخ العرب ، للسيد أمير علي . ترجمة رياض رأفت ، ص ٧٤ طبع مصر سنة ١٩٣٨ .

بدم الحسين عليه السلام ، ودم الحسين - كما في الحديث - هو من دم رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومع أن لكربلاء مثل هذه القدسية، ومثل هذه المكانة السامية في التاريخ وهي مضافاً الى ذلك من المراكز الدينية العظيمة في الاسلام يؤمها في السنة ما لا يقل عن المليون نسمة من الرواد والزائرين من مختلف الامم والشعوب للعبرة والذكرى ، مع ذلك كله فقد بقيت كربلاء هي ومعالمها الغابرة والحاضرة في التاريخ قيد الظروف ورهن الاوضاع الطارئة تتقاذفها الامواج فلم يسجل من تاريخها إلا الشيء اليسير والنزر القليل في بعض الكتب وذلك على هامش الحوادث أو في ضمن قضايا اخرى بحيث كاد هذا التاريخ أن يصبح نسياً منسيا .

وعلاوة على ذلك كله ، فان شؤون كربلاء العامة لم تعالج معالجة وافية إذ لم يقدر لها الحظ طوال تلك القرون المنصرمة أن تدرس شتات أوضاعها وأحوالها في سجل يعطي القارىء ولو بعض الفكرة عن ماضيها وحاضرها وهذا النقص البارز في تاريخ هذه المدينة الاسلامية المقدسة هو الذي دفعنا في السنين الأخيرة أن نتصرف الى سد هذا النقص بقدر الامكان فنجمع شتات تاريخها من مختلف الكتب الخطية النادرة والمطبوعة منها ونضع هذا الكتاب لافتقارها الى مثله على الأقل، وكانت رغبة الجمهور الملحة من الطبقات المثقفة خير مشجع لنا في إخراجه الى عالم الوجود دون أن نشير في هذا المقام الى ما تعتري الباحث في هذا السبيل من صعوبات جمة في

البحث والتنقيب والتحليل لأمور وقضايا كان التوصل اليها من جهة ، وم التغلب عليها من جهة اخرى من الصعوبة بمكان ، غير أن المثابرة على العمل والجهد المتواصل في البحث والتتبع كانا كفيلين لدرك الغاية الى حد ما . ومع ذلك كله لسنا نقول بأننا قد أوفينا الموضوع حقه لا لقصور وإنما لعدم العثور الى الآن على أكثر مما تقدم . ولعل الزمن وحده يكون كفيلا لانجاز الموضوع وإيفاء حقه . فان ما نزفه اليوم في هذه العجالة الى العالمين العربي والاسلامي من تاريخ كربلاء ماضيها وحاضرها منذ العصور القديمة في التاريخ الى الوقت الحاضر لم نحصل عليه إلا بجهد جهيد وعناء شديد لابد منها لمن يحاول البحث في تاريخ قد تشتتت أجزاؤه وتفرّقت أوصاله في مختلف الكتب القديمة والحديثة الموجودة وغير الموجودة منها .

فان من كتب قبل هذا في تاريخ كربلاء قد خلط فيه بين الحائر والحير فتناول البلدة والقبر المطهر معا كأنهما شيء واحد ، فساق الحديث تارة عن هذا وأخرى عن ذاك في سياق واحد . وإن لم يكن لهذه الطريقة من بأس لأن تاريخ البلدة في الواقع متمم لتاريخ الحائر نفسه وبالعكس ، غير أننا رجحنا أن نفرد لكل واحد منهما جزءاً خاصا نستعرض فيه نشأته وتكوينه وتطوراته المختلفة الكثيرة بمرور الزمن قرنا بعد قرن . فخصصنا المدينة نفسها بجزء مستقل عنوانه « تاريخ كربلاء العام » استعرضنا تأريخها من العصور القديمة الى الفتح الاسلامي الى وقعة الطف في عام ٦١ من الهجرة فالى القرن الحاضر ، كما وخصصنا الحائر المقدس وهو حائر

الحسين عليه السلام وضريحه الطاهر وما طرأ عليه خلال القرون من التطورات العظيمة والتبدلات الخطيرة من الهدم والخراب والتعمير والبنيان بمرور الزمن على يد العباسيين وغيرهم من الملوك والامراء في مختلف الأدوار بجزء مستقل آخر أيضا تتميماً للفائدة وهو هذا الجزء الذي نتقدم به الآن الى قراء الضاد وكلنا أمل على أن لا نؤاخذ على ما يجدون فيه من نقص او قصور ، وأن يمدونا بكل ما لديهم من معلومات تاريخية أخرى حول الموضوع ليتسنى لنا إضافتها على هذا الكتاب في الطبعات القادمة مع الاشارة فيه الى فضلهم علينا وعليه ومن الله المعونة والتوفيق .

الباب الأول

حائر الحسين عليه السلام وكربلاء

١ً — الحائر وما لهذا الاسم من الحرمة والتقديس في الدين .
٢ً — الحائر في اللغة والتاريخ .
٣ً — كربلاء والاماكن الاخرى التي سميت بالحائر .
٤ً — الحائر والحير والحيرة.
٥ً — الحائر في الفقه والحديث ، ١ـ حدود الحائر ومساحته ، ٢ـ الحرم والحائر ، ٣ـ الحرم ، حدوده ومساحته . ٤ ـ الحائر واختلاف المتأخرين في تحديده
٦ً — مناطق الحرم والحائر ، وترتب قاعدة الشرفيّة بينهما .

الفصل الأول

الحائر وما لهذا الاسم من الحرمة والتقديس في الدين

يدور البحث في هذا الموضوع عن أقدس بقعة في الاسلام ، تلك التي جارت أرض الكعبة في الشرف والمنزلة وفاضت بنور الهداية والحرية على الاقطار الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، وقد جارت أرض الكعبة وفاقتها لأنها أصبحت بقعة إسلامية محضة لم تشترك فيها الجاهلية ،

ولا عرفت عبادة الأوثان والاصنام ، ولأن تربتها امتزجت بدم هو من دم رسول الله واختلطت ذراتها بلحم هو من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله كما نص عليه الحديث عن طرق الخاصة والعامة .

فان ما سينتهي اليه البحث في هذا الكتاب عن الحائر المقدس وكربلاء في التاريخ ليس هو في الاصل ونفس الأمر إلا نتيجة مباشرة لما حصل من انشقاق بين فئتين في الجاهلية إمتدت شراره الى الاسلام في مثال الفضيلة والرذيلة فكانت كربلاء وكان الحائر .

وقد نُعتت كربلاء منذ الصدر الاول في كل من التاريخ والحديث بأسماء عديدة مختلفة ورد منها في الحديث باسم كربلاء ، والفاضرية ، ونينوى ، وعمورا ، وشاطىء الفرات ، وشط الفرات . وورد منها في الرواية والتاريخ ايضا باسم مارية ، والنواويس ، والطف ، وطف الفرات ومشهد الحسين ، والحائر ، والحير ، الى غير ذلك من الاسماء المختلفة الكثيرة، إلا أن أهم هذه الأسماء في الدين هو اسم «الحائر» لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقديس، أو أنيط به من أعمال وأحكام في الرواية والفقه الى يومنا هذا ، ومع ما لهذا الاسم من الأهمية والخطورة في نظر الدين مع ذلك لم تعالج ناحيته معالجة وافية من ناحية التاريخ واللغة ، ولا من ناحية الفقه والحديث ، وهذا ما سنحاول البحث فيه بصورة واسعة في هذا الباب بالجمع بين آراء المتقدمين والمتأخرين من رجال الدين والحديث ، وآراء اللغويين والمؤرخين بهذا الصدد وما يمكن أن يستنبطه الباحث من

بين تلك الآراء المتنوعة العديدة لنكون قد أدركنا الغاية على قدر المستطاع وأوفينا الموضوع بعض حقه .

ومما يمكن أن يُستدل من ظواهر الامور فان اسم « الحائر » بعد أن كان صريحا واضحا في بداية وضعه أصابه بعض الغموض بالتدريج من حيث مولده ومنشأه ، ثم امتد هذا الغموض مع الزمن الى مفهومه ومدلوله ، وإلى مداه ومؤداه ، وذلك - على ما يظهر - بفعل ما حصل لهـذا الاسم في القرون المتأخرة من الخلط بينه وبين اسم « الحير » الذي هو في الاصل مخفف الحائر على قول أهل اللغة .

وهذا الغموض في اسم الحائر كما نلاحظه اليوم ، وهذا الخلط بينه وبين الحير الذي يأتي مرة مرادفا له ، واخرى مختلفا عنـه في الرواية والتاريخ والحديث أدى الى كثير من الالتباس في أمره والارتباك في فهمه فأشكل الامر على الكثير من رجال الدين ومن أهل التاريخ واللغة بحيث أصبح تحليله وتفكيكه اليوم من أصعب الامور ، لأن أصبح هذا الاسم ويحيط به الشيء الكثير من التردد والترديد لا سيما في القرون الاخيرة التي لابتعادها عن القرون الاولى زادته ترديداً وتشكيكا ، بدل أن تزيده تحليلا وتفكيكا كما كان يجب . وفي الفصول القادمة من هـذا البحث سنحاول التوفيق بين الآراء المختلفة والانتهاء الى نتيجة وضعية ومن الله التوفيق .

الفصل الثاني

الحائر في اللغة والتاريخ

ولهذه البقعة التي جرت عليها أعظم مأساة تاريخية أسماء مختلفة كما يحدثنا التاريخ ، كانت تطلق عليها هذه الاسماء دون أي فرق او تميز ، فكان يطلق عليها - كما سبق - اسم الغاضرية ، ونينوى ، ومارية ، وعمورا والنواويس ، وشط الفرات ، وشاطىء الفرات ، والطف ، وطف الفرات والحائر ، والحَيْر ، ومشهد الحسين ، وكربلاء . ولم يكن الاسم الاخير غير أحد تلك الاسماء المختلفة الكثيرة التي في عدادها كان يطلق منذ القديم على هذه البقعة ، فتغلب بمرور الزمن على غيره من الاسماء شيوعا وانتشاراً في العرف والتاريخ حتى اصبح الآن هو الوريث الوحيد لها ، فصارت لا تعرف اليوم هذه البقعة إلا بهذا الاسم ، وقد عم استعماله حتى شمل اللواء الذي تعتبر مدينة كربلاء قصبة له .

ولم توجد - حسب الظاهر - بقعة في بقاع العالم تتمتع مثل كربلاء بأسماء عديدة وذلك بهذه الكثرة في التسمية . وتعدد الاسماء لبقعة واحدة وإن كان جائزاً بالفعل في العرف والعادة لعدم وجود مانع من ذلك ، غير أن إطلاق اسماء عديدة بهذه الكيفية ، ولا سيما بهذه الكثرة على بقعة واحدة ليس في الظاهر إلا نظرية بعيدة الاحتمال تحتاج بعض

الشيء من التريّث والتأمل في التعليل والتأويل. فلابد من وجوه واحتمالات في ذلك ، منها أن بعض هذه الأسماء تكون عامة فتشمل منطقة أوسع من تلك البقعة نفسها فتكون بعضها خاصة لأجزاء صغيرة من تلك المنطقة كما هي الحال في كل مكان ، وإما أن تكون الحدود فيما بين هذه الأجزاء نفسها غير ثابتة معينة فكانت بعضها متداخلة في حدود البعض الآخر مما كان يسوّغ إطلاق اسم الواحد منها على الآخر بدون فرق أو تمييز دون أن يكون ذلك مغايراً للحقيقة أو مخالفا للواقع .

وقد يتراءى للباحث بنتيجة البحث والتحقيق في التاريخ أن بعض تلك الالفاظ هي أسماء ، وأن البعض الآخر منها أوصاف ، فاجتمع الاسم والوصف معا لتعيين المحل الواحد نفسه .

* * *

أما الحائر والحير فهما في عدا تلك الاسماء الكثيرة التي كانت تطلق في العصر الأول على هذا الموضع . وقد يرد إسم الحائر على الأكثر في النسبة إليه بدلا عن كربلاء فيقال « الحائري » لمن هو منسوب إليها .

والحائر ، لغة إسم فاعل من حار ، يحير ، حيراً ، من تحير الماء إذا إجتمع ودار ، ومن تحيّرت الارض بالماء إذا امتلأت ، جمعه حوران وحيران على الأشهر ، وهو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف كما وصفه اللغويون ، أو بعبارة اخرى هو محل منخفض مستور تعلو جوانبه

وأطرافه على شكل حوض ذي حور[١] يجتمع اليه المياه كلما نزلت الامطار من السماء أو فاضت عن الزروع .

وسمي الموضع حائراً لأنه كلما هبّ النسيم على سطحه تموجت المياه المحصورة فيه على شكل حلقات تتوسع الواحدة تلو الاخرى حتى تنتهي الى أطراف الغدير فيتردد الماء ويتحيّر كأنه لا يدري كيف يجري أو أين يسير . وحيرة الماء بين الجوانب والاطراف ورجوعه بهذا النحو من أقصاه الى أدناه في مجتمعه هي التي منحته إسم الحائر . ولعل كربلاء أو بعض أجزائها سميت بهذا الاسم منذ القديم لما كان في أرضها من المنخفضات التي يسيب اليها مسيل ماء الامطار . وإن لم يكذب التاريخ نفسه فلا زال يوجد فيها لحد اليوم بالوراثة الجغرافية للارض مثل هذه المنخفضات في اطراف البلد حيث تتشكل المستنقعات الواسعة لاسيما في الاقسام الجنوبية منها والتي لم تستطع البلدية من التغلب عليها لحدّ الآن بتجفيفها أو ردمها ردما صحيحا نهائيا لانقاذ حياة عشرات الالوف من البشر الذين يذهبون في كل سنة ضحايا بخسة للأوبئة المختلفة والامراض الفاتكة التي مصدرها الوحيد هو تلك المستنقعات الضارة المتكونة في اطراف البلد المقدس[٢].

---

(١) الحور ، هو العمق والقعر ، يقال : فلان بعيد الحور ، أي عميق الغور بمعنى أنه عاقل ، وما أصبت حوراً ، أي ما أصبت شيئاً .

(٢) وقد سعت البلدية في هذا السبيل ، ثم خصصت وزارة الشؤون الاجتماعية خمسة عشر ألف دينار في عام ١٩٤٦ لهذا المشروع الحيوي ولكن بقي الوضع على ما كان في السابق تقريباً .

وقد اتفق الرواة والمحدثون ، والمؤرخون والجغرافيون ، وأهل اللغة على تسمية كربلاء بالحائر بصورة مطلقة . وعلى ما يظهر من الاخبار والروايات فان كربلاء منذ الصدر الأول كانت تعرف بهذا الاسم . فقد ورد ذكرها في تاريخ « الامم والملوك » للطبري[1] باسم الحير ، والحير عند أهل اللغة هو مخفف لفظ الحائر بلغة العامة لاستحسانها التخفيف عادة في الاسماء[2] .

وعلى قول « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، فان « الحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه » ، ثم يضيف صاحب المعجم على ذلك بقوله : « وإنهم يقولون الحير بلا إضافة إذا عنوا كربلاء » ، فصار ياقوت يميز بذلك بين الحائر والحير بأن الاول أخص وهو اسم للقبر وما حوله ، بينما الثاني - في نظره - اسم لمدينة كربلاء وهو الصحيح . غير أن رواية الطبري التي سبقت إليها الاشارة ليس فيها ما يدل على هذا الفرق بين الاسمين ، ولم يتجاوز صاحب « المصباح » فيه حد العرف في قوله: « والحائر معروف. قيل سمي بذلك لأن الماء يحار فيه أي يتردد[3] ».

ونجد أن معجم « لسان العرب » بعد تعليله لكلمة الحائر وبيان ما ورد فيها من الوجوه المختلفة يذهب أيضا إلى قول المؤرخين والجغرافيين

---

(١) راجع الطبري ج ١٠ ص ١١٨ .

(٢) وفي تخفيفه بالحير راجع « معجم البلدان » ٣ر٢٠٣ و « مجمع البحرين » للطريحي في مادة الحائر . و « لسان العرب » ٥ / ٣٠٣

(٣) المصباح المنير ، للفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ في مادة « حير وحار » .

في هذه التسمية فيقول: « والحائر كربلاء وسميت بأحد هذه الاشياء » أي بأحد الوجوه التي ذكرها في معنى الحائر مثل بقية أهل اللغة من مجتمع الماء أو حوض يسيّب إليه مسيل الماء من الامطار وغير ذلك ، فيقف عند هذا الحد دون أن يتقدم بخطوة أخرى ليبتّ في وجه تسمية كربلاء بهذا الاسم فترك الأمر على غموضه وإبهامه .

ونحو ذلك ما ورد عنه في « الصحاح » بقوله : « والحير بالفتح شبه الحضيرة ، والحِمى ، ومنه الحير بكربلاء » ، وفي مادة حَير من « تاج العروس » تصريحٌ بأكثر من ذلك في قوله : « الحائر إسم موضع فيه مشهد الامام المظلوم الشهيد أبي عبدالله الحسين » مما يشير الى أن المشهد يقع في وسط الحائر ، وأن الحائر محيط به ، ومثله قول الفيروز آبادي في القاموس : « والحائر فيه مشهد الحسين » ، ومثل ذلك ما ورد في « مراصد الاطلاع » بأن « الحائر موضع فيه قبر الحسين عليه السلام ، لأنه في موضع مطمئن الوسط مرتفع الحروف »[1] .

وما أقرب قول الطريحي في « مجمع البحرين » من هذا المعنى بقوله « وفي الحديث ذكر الحائر ، وهو في الاصل مجمع الماء ، ويراد به حائر الحسين عليه السلام ، وهو ماحواه سور المشهد الحسيني على مشرّفه السلام » .

ثم وقد ذكرت « دائرة المعارف الاسلامية » في مادة « حائر = Ha-ir » كلاً من الحائر والحير إسما لكربلاء على نحو ما ذهب اليه صاحب « معجم البلدان » كما تقدم .

---

(١) مراصد الاطلاع ص ١٢٦ طبع ايران ١٣١٥ هـ .

أما الأخبار والروايات الواردة عن طريق الدين فقد ورد فيها ذكر الحائر حيناً بمعنى كربلاء ، وحيناً للدلالة على القبر المطهر نفسه ، فلا اختلاف من هذه الناحية بين الاقوال بصورة مطلقة في تسمية كربلاء بالحائر تارة وبالحير أخرى كما تقدم . غير أن المصادر كافة لا تشير الى أمرين :

أولاً - وجه تسمية كربلاء بالحائر أو الحير .

ثانياً - مبدأ تسميتها بهذا الاسم ، أكانت هذه التسمية لكربلاء من قبل الفتح الاسلامي على عهد الحيرة أم بعد الفتح ؟ ، أكانت من قبل وقعة الطف أم بعدها ؟ مع أنها لأمور لها أهميتها التاريخية سكتت عنها المصادر كافة ، فأصبحنا اليوم لا نعرف بالضبط هل الحائر في هذا المورد هو وصف للارض وحالته الطبيعية كما يذهب اليه أهل اللغة ، أم هو في الحقيقة إسم للبناء الذي شيّد حول الضريح المقدس في أول عهده فسمي بالحائر ؟

إذ أن في الحالة الأولى لابد وأن يرجع تاريخ التسمية إلى قبل وقعة الطف ولعل إلى قبل الفتح أيضاً بالنظر إلى حالة الأرض الطبيعية في هذه البقعة ، وهذا أمر لم نتثبت منه إلى الآن لعدم وجود دليل على ذلك . وفي الحالة الثانية لابد وأن يرجع تاريخها إلى بعد الوقعة ، أي إلى يوم شيد فيه أول بناءٍ على القبر المطهر وهذا ما سنبحث عنه فيما بعد في الفصول القادمة .

الفصل الثالث

كربلاء والاماكن الاخرى التي سميت بالحائر

ولم يختص قبر الحسين عليه السلام وحده باسم الحائر على ما يظهر .

فقد ورد اسم الحائر لأماكن عديدة كانت تسمى بهذا الاسم ، منها « حائر مَلهَم » باليمامة كما ذكره صاحب « معجم البلدان » [١] . ومنها « حائر الحجاج » [٢] بالبصرة وقد وصفه صاحب « لسان العرب » بأنه : « معروف يابس لا ماء فيه وأكثر الناس يسميه الحيَر كما يقولون لعائشة عَيشة ، يستحسنون التخفيف » [٣] . ومنها حيّ كبير بظهر سامراء كان يسمى حائراً على ما جاء في « دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية » [٤] وهو الحائر الذي ذكره البلاذري في تاريخه « فتوح البلدان » بقوله : « ثم استخلف المتوكل في ذي الحجة سنة ٢٣٢ فأقام بالهاروني وبنا بناء كبيراً ، وأقطع الناس في ظهر سرّ من رأى بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها وبنى مسجداً جامعاً كبيراً وأعظم النفقة عليه ، وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر اليها من فراسخ ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول » [٥] .

فقد ظهر مما تقدم أن كربلاء لم تكن وحدها تسمى بهذا الاسم كما أوضحته « دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية » في لفظة « حائر » بقولها : « إن هذا الاسم كان قد خصّص في الأصل لتعيين مواقع عدّة ،

---

(١) « معجم البلدان » ج ٣ ص ٢٠٣ - ومراصد الاطلاع ص ١٢٦ طبع ايران ١٣١٥هـ .

(٢) مراصد الاطلاع ص ١٢٦ .

(٣) راجع « لسان العرب » ج ٥ ص ٣٠٣ و ٣٠٤ .

(٤) راجع دائرة المعارف المذكورة في مادة « حائر - Hair »

(٥) فتوح البلدان ، البلاذري ، طبعة اوروبا ١٨٦٦م ص ٢٩٨ ويعني بالمنارة والجامع ملوية سامراء والمسجد الذي بجانبها .

ومنها الحائر الحسيني وهو المحوّطة المقدسة لقبر الحسين بكربلاء (مراصد ٢٨٢ ياقوت ٢ / ١٨٨ والطبري ٣ / ٧٥٢ » [1] ولرواية الطبري هـذه أهمية عظيمة من الناحية التاريخية ، إذ أنه يأتي لنا في هذه الرواية بشهادة قيمة بأن كربلاء منذ الصدر الأول من تلك العصور الغابرة كانت محل تعبّد من المعابد الدينية ، لها سدنة ورجال دين معينون بوظائف مختلفة كانوا يتقاضون مرتباتهم من الأوقاف التي كانت قد أسستها أم موسى أم الخليفة المهدي لهذا الغرض » .

وهذه الرواية التي تشير اليها دائرة المعارف المذكورة هي ما أوردها الطبري في الجزء العاشر (ص ١١٨) أثناء عرضه لحوادث عام ١٩٣ من الهجرة على عهد الرشيد بقوله :

« ذكر علي بن محمد عن عبدالله قال أخبرني القاسم ابن يحيى قال : بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحَير ، قال : فأتى بهم فنظر إليه الحسن بن راشد وقال مالكَ ؟ - قال بعث إلي هذا الرجل ، يعني الرشيد ، فأحضرني ولست آمنه على نفسي . قال له : إذا دخلت عليه فسألك فقل له الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع . فلما دخل عليه قال هذا القول . قال ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن أحضروه . قال : فلما حضر قال :

ما حملك على أن صيرّت هذا الرجل في الحير ؟

---

(١) يقابل ذلك في الطبعات المصرية : ياقوت ج ٣ ص ٢٠٣ والطبري ج ١٠ ص ١١٨ ومراصد الاطلاع ص ١٢٦ طبع ايران ١٣١٥هـ .

قال رحم الله من صبّره في الحير . أمرتني أم موسى أن أصبّره فيه وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهما .

فقال : ردوه إلى الحير . وأجروا عليه ما أجرته أم موسى .

وأم موسى هي أم المهدي ابنة يزيد بن منصور »[1] .

وقد استعرضنا رواية الطبري هذه حرفياً ، وتبيّن منها بموجب هذا السند التاريخي أن اسم « الحَيَر » يطلق على مدينة كربلاء نفسها كما ذهب إليه صاحب معجم البلدان والصحاح وغيرهما . وأما المشهد الشريف فقد ورد ذكره في هذه الرواية باسم « قبر الحسين بن علي » . وعلى ما يظهر من ذلك أن إسم الحير كان علماً لكربلاء في القرن الثاني من الهجرة ، وبقي استعماله شائعاً بين الناس بزمن بعيد من بعد هذا القرن إلى القرن السابع والثامن ولعل إلى ما بعدهما أيضاً ، لأن ياقوت المتوفى في عام ٦٢٦ هـ هو في القرن السابع وقد تعرّض في « معجم البلدان » إلى ذكر الحير اسماً لكربلاء كما مر معنا ، وكذلك ذكره صاحب الصحاح من قبله في القرن الرابع الهجري[2] .

والظاهر من هذه الرواية أن الحائر في القرن الثاني من الهجرة كان له نظامٌ معين ، وله خدم وسدنة موظفون للقيام بواجب الخدمة ، ومن السدنة القائمين بخدمة الحائر في هذا العصر هو ابن أبي داود المتقدم الذكر . وأصبح لهذه العتبة المقدسة لأول مرة في تاريخها إذ ذاك أوقاف يصرف

---

(١) وهو يزيد بن منصور الحميري من ملوك اليمن .

(٢) توفي الجوهري صاحب « الصحاح » في سنة ٣٩٣ هـ .

منها على رواتب الموظفين وتنظيم شؤونها ، ومن تلك الأوقاف الأموال التي خصصتها أم موسى أم الخليفة المهدي لهذا الغرض .

وإذا قارنا ما تضمنته هذه الرواية من غضب الرشيد على ابن أبي داود والذين كانوا يخدمون معه قبر الحسين في الحير مع الحوادث التي تلت هذا الأمر نجد أن الرشيد وإن كان قد تغاضى عنهم وأقرّ بالظاهر ما كانت قد أقرّته أم المهدي من قبل ، ولكنه كان قد عزم في تلك اللحظة على أمر أهول وأخطر من ذلك كما أثبتته الحوادث فيما بعد . فدعاه فرط بغضه لآل الرسول إلى هدم كربلاء من الأساس ، فأمر تواً في نفس السنة ١٩٣ وهي السنة الأخيرة من حياته بهدم الحائر والقبة المطهرة ، والدور المجاورة ، واقتلاع السدرة ، وحرث الأرض ليمحي بذلك كل أثر للقبر الشريف كما روى ذلك غير واحد من الرواة والمؤرخين ورواه الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في « أماليه » بسنده عن يحيى بن المغيرة الرازي قال :

« كنت عند جرير بن عبدالحميد إذ جاءه رجلٌ من أهل العراق فسأله جرير عن مخبر الناس ، فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام ، وأمر أن تُقطع السدرة فقطعت . فرفع جرير يديه وقال : الله اكبر ، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لعن الله قاطع السدرة ثلاثاً » فلم نقف على معناه حتى الآن ، لأن القصد بقطعها تغيير مصرع الحسين حتى لا يقف الناس على

قبره »[1] . وأيده السيد محمد بن أبي طالب في « تسلية المجالس » بما نصه :

« و كان قد بني على قبر الحسين عليه السلام مسجد ، ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس إلا على زمن هرون الرشيد فانه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده ، وكرب موضع القبر »[2] . وقد اقتفى أثره حفيده المتوكل نيرون العرب[3] فهدم قبر الحسين عليه السلام وكربلاء اربع مرات في خلال خمس عشرة سنة من حكمه كما سيأتي بيانه .

الفصل الرابع

الحائر والحير - والحيرة

ومع أن إسم « الحير » بقي يطلق على كربلاء إلى عصر متأخر كما مرّ بيانه ، فلا يعلم اليوم بالضبط متى اندرس استعماله ، أو في أي قرن من القرون الأخيرة غاب هذا الاسم عن الأنظار نهائيا ليحلّ محله اسم « الحائر » وحده في العرف والتاريخ علماً لكربلاء ولقبر الحسين عليه السلام معا .

---

(١) راجع « أمالي » الطوسي ص ٢٠٦ طبع ايران ١٣١٣ - وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٤ و « مجالي اللطف » ص٣٩ طبع النجف ١٣٦٠ - « والمناقب » لابن شهراشوب ج ٢ ص ١٨٩ طبع ايران ١٣١٦هـ - و « ازهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين » للسيد حسن الصدر ص ١٦ طبع الهند ١٣٥٤ .

(٢) راجع ١ - « تسلية المجالس » لسيد محمد بن أبي طالب . ٢ - « نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين » للسيد حسن الصدر ص ١٦ - ٣ - « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٤ .

(٣) راجع « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٤٧ طبع مصر ١٩٣٨ .

على أن هناك بمسافة غير بعيدة في جنوبي كربلاء موضعا آخر يشتق إسمه هو والحائر من مادة واحدة في اللغة وهو « الحيرة » . وهذان الاسمان كما يلاحظ مشتقان كلاهما من مصدر « الحَير » أو الحيرة ، فكأنهما يرجعان حتى في وجه التسمية إلى أصل واحد ، خصوصا إذا ما لاحظنا أن كل واحدٍ من هذين الموضعين يقع بجانب الآخر تقريباً .

فهل هناك إذن ، من صلة تاريخية أو جغرافية ، أو من أيّ نوع آخر كانت تجمع بين إسم الحائر والحير بكربلاء ، وبين إسم الحيرة بالنجف ؟

فان هذا الأمر لمن الأمور التي لا يمكن البت فيها بصورة قاطعة ، وذلك لعدم وجود مستندات تاريخية يمكن استنباط شيء منها . غير أن اقتراب الموضعين ، وتقارب الاسمين ، ورجوعها إلى أصل واحد في اللغة يجعل الباحث يتساءل عن علة هذا الامر ، أو على الاقل ، عن هذه الصدفة في وجه التسمية بينهما ، أكانت ذلك لأمرٍ واقعي ، أو على سبيل الاتفاق فقط ؟

والحق يقال ، إن الحيرة تحوم حول تسمية الحائر والحيرة ، لاسيما الحير والحيرة وكل زعم قد لا يجد فيه من سبيل . ومع ذلك كله لا يسع الباحث في التاريخ أن يغض النظر عما بين الاسمين من صلة وإن كانت مجهولة . وقد ألقت « دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية » بعض الضوء على هذا الموضوع في مقارنتها بين الاسمين من الناحية التاريخية بقولها :

« وعلى حد قول الطبري (١/٧٤٥) [1] فان بخت نصر كان قد بنى على النجف « حيَراً » على نحو سوقٍ محلي لتجار العرب الموجودين في بلاده فحصنه ثم ضمهم فيه . ويظهر من ذلك أن الحائر هو بمعنى مكان محوّط أو محل تعلو جوانبه وأطرافه . وبهذا المدلول اشبه تام بين معنى الحائر وبين الاسم الذي سُمّيت به الحيرة في أول عهدها » .

ثم تذهب دائرة المعارف المذكورة في اصل كلمة الحائر إلى رأي آخر ، فقد ترتأي بأنه : « من المحتمل أن تكون كلمة (الحائر) من الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية » . غير أن رأيها هذا لا تدعمه بدليل أو برهان ، وهو في الحقيقة رأي لا تؤيده القرائن والأدلة إلى الآن .

وتفصيل ما قام به بخُت نصر تجاه العرب وبنائه الحير لهم جاء في كل من الطبري ومعجم البلدان . ومما قال صاحب المعجم : « إن بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم بها واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلاً أوحى الله إلى يوحنا بن اختيار بن زر بابل بن شائيل من ولد يهوذا بن يعقوب أن إئت بختنصر فمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا ابواب ، وأن يطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتليهم ، ويستبيح اموالهم ، واعلمه كفرهم بي ، واتخاذهم آلهة دوني ، وتكذيبهم انبيائي ورسلي . . . فأقبل يوحنا من نجران حتى قدم على بختنصر وهو ببابل ، فأخبره بما أوحى إليه وذلك في زمن معد بن عدنان . قال : فوثب بختنصر على من كان

---

(١) يقابلها في الطبعة المصرية ج ١ ص ٢٩١ . وبختنصر هو ملك الكلدانيين الذي حكم دولة بابل الجديدة من العام ٦٠٤ الى عام ٥٦١ قبل المسيح .

في بلاده من تجار العرب ، فجمع من ظفر به منهم وبنى لهم حيراً على النجف وحصّنه ثم جعلهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظة » [١] .

ويظهر من هذه الرواية أن عداء اليهود للعرب قديم يرجع إلى تلك العصور الغابرة فكانوا يكيدون للعرب ما استطاعوا . وعدا هـذا الوجه في تسمية الحيرة المنحوتة عن الحير في الاستعمال ذهب صاحب « معجم البلدان » إلى وجوه أخرى ايضا .

وبناء على ما تقدم من قول « معجم البلدان » في الحير وتعليله لاسم الحيرة بالوجوه المذكورة ، ثم تعليل « دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية » لهذا الاسم كما تقدم فان الحير وهو مخفف الحائر بالأصل إسم لنوع خاص من البناء على نحو حصن أو قلعة يحيط بها السور من كل جانب كما تبين مما قام به بختنصر من بناء حير محصن لتجار العرب وجعلهم فيه . ومن هنا نستطيع ان نستنبط بعض الشيء عن الصلة بين إسم الحائر والحيرة من صلات القومية التاريخية والجغرافية بأن هذا النوع من الأبنية في هذا القسم الجنوبي من العراق على حافة البادية كانت تسمى عادة بهذا النوع من الأسماء قديما . فسميت الحيرة حيرة لوجود الحير فيها ، وسمي قبر الحسين عليه السلام وما يحيط به بـ « الحائر » لا لصفة طبيعية للارض ، ولا لأن الماء كان يتحير أو يتردد فيه ، وإنما لما اشتمل حول القبر من بناء وسور كالحائر .

---

(١) الطبري ج١ ص ٢٩١ - و « معجم البلدان » ج ٣ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ .

الفصل الخامس
الحائر في الفقه والحديث

أولاً - حدود الحائر ومساحته :

ويدور البحث كثيراً حول الحائر عن حدوده ومساحته . أما الحائر من حيث مدلوله اللغوي والاصطلاحي كما سبق ، فان مساحته من هذه الوجهة بالطبع يجب ان تكون محدودة بطبيعة الأرض الجغرافية يوم حدوث الوقعة أو قبل ذلك حين استلزمت تسمية هذه البقعة بهذا الاسم نظراً لانخفاض بعض أجزاءها بين مرتفعات على شكل حوض ذي حوْر يسيّب إليه مسيل ماء الأمطار . وهذا أمر — على فرض صحة التسمية بهذا النحو — قد لا يمكن البت فيه اليوم بصورة قطعية في أرض توالى عليها العمران والخراب ، والهدم والبنيان مراراً عديدة وبصورة متوالية على مر العصور والأعوام فتساوت أجزاؤها المختلفة تقريباً بأن علت بعض منخفضاتها ، وتواطئت بعض المرتفعات فيها تدريجيا بحكم الضرورة الهندسية للوقت ، فزال بذلك مع الزمن الأثر الباقي لمعالم التضاريس الأرضية التي كان يمكن بها تحديد الحائر جغرافيا بالضبط أو ببعض التقريب . إذ لم يبق اليوم في كربلاء غير أثر ضئيل للتموجات الارضية وهي على وشك الزوال نهائيا مع الزمن بصورة تدريجية .

أما الحائر من حيث مدلوله العرفي في التاريخ القديم كما أوضحناه فيما سبق فان في قضية تحديده ومساحته لابد من الرجوع إلى الاخبار

والروايات التي نقلها لنا الرواة والمحدثون عن العصر الاول . وهذه الاخبار مع ما تموج بها من الاختلافات الكثيرة فانها - في نظرنا - هي الوثائق والمستندات التاريخية الوحيدة التي لابد للباحث من الرجوع إليها عند الضرورة في مثل هذا الامر ، لأنها هي التي تستطيع ان ترسم لنا حدود الحائر وتوضح مفهومه ومدلوله التاريخي إلى درجة ما حسب العرف والعادة الجارية في تلك العصور السالفة .

وتتلخص هذه الاخبار كما يلي :

ان الرواة في تعريفهم للحائر ميزوا بين الحرم والحائر . وحدود الحائر عندهم ، حسب ما ورد عن الصادق عليه السلام في روايتين ، هي عشرون ذراعا في مثلها كما جاء في رواية عبدالله بن سنان عنه ان : « قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعا في عشرين ذراعا مكسراً روضة من رياض الجنة »[1] . أو خمسة وعشرون ذراعا في مثلها من كل جانب من القبر المطهر كما جاء في رواية أخرى رواها اسحاق بن عمار عن الصادق عليه السلام ان : « لموضع قبر الحسين بن علي عليهما السلام حرمة معلومة ، من عرفها واستجار بها أجير . قلت : فصف لي موضعها جعلت فداك . قال : إمسح من موضع قبره اليوم ، فامسح خمسة وعشرين ذراعا من ناحية رجليه ، وخمسة وعشرين ذراعا مما يلي وجهه ، وخمسة وعشرين ذراعا من خلفه ، وخمسة وعشرين ذراعا من ناحية رأسه .

---

(١) مزار البحار ص ١٤١ - وكامل الزيارة ، لابن قولويه ص ٢٧٢ - و« الحدائق الناضرة » للشيخ يوسف البحراني ج٤ ص ٣٤٥ طبع ايران ١٣١٦

وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زواره إلى السماء ... »[١] .

وحسب الروايتين المتقدمتين ، فلو اعتبرنا الذراع الواحد كما يقدّر هو بنصف متر أو ما يقرب من ذلك تكون مساحة الحائر بأعلى التقديرين المذكورين عبارة عما يقارب الستمائة وخمسة وعشرين متراً مربعاً . وهذه المساحة هي ما يطابق تقريبا تحديد محمد بن احمد بن إدريس الحلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ للحائر في كتابه « السرائر » بأن : « المراد من الحائر مادار سور المشهد والمسجد عليه ، لأن ذلك هو الحائر حقيقة ، لأن الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء [٢] .

ثانياً ـ الحرم والحائر :

أما الحرم ، فهو حسب ما ورد فيه من الاخبار أوسع من الحائر بكثير لشموله على منطقة واسعة مركزها الحائر من فرسخ واحد من كل جانب ، أي مجموع أربعة فراسخ يقع القبر المطهر في نقطتها المركزية ، كما جاء في رواية محمد بن اسمعيل عمّن رواه عن الصادق عليه السلام ان : « حرمة قبر الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من أربعة جوانبه »[٣] .

---

(١) كامل الزيارة ، لابن قولويه ص ٢٧٢ ومزار البحار ص ١٤٠ و « نزهة أهل الحرمين » ص ٢٤ .

(٢) راجع مزار البحار ص ١٤٢ و « الحدائق الناضرة » للشيخ يوسف البحراني ج ٢ ص ٣٤٥ طبع ايران ١٣١٦ وكتاب الصلاة من « السرائر » لابن ادريس طبع ايران سنة ١٢٧٠ هـ .

(٣) راجع : ١ ـ كامل الزيارة ص ٢٧٢ و ٢ ـ مزار البحار ص ١٤٠ و ٣ ـ الحدائق الناضرة للبحراني ج ٢ ص ٣٤٥ .

أو من أربعة فراسخ في أربعة فراسخ على قول . وعلى قول آخر من خمسة فراسخ من أربعة جوانب القبر الشريف كما جاء في رواية منصور بن العباس عن الصادق عليه السلام أنه قال : « حرم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر » [1]. غير أن البعض يستضعفونها ولا يقولون إلا بوجوب القصر للمصلي في غير منطقة الحائر نفسه . ولتحديد الحائر لهذا الغرض لابد من إعتبار خمسة وعشرين ذراعاً من كل جانب من القبر المطهر بأعلى التقديرين فيقع ذلك على حدود البناء الأصلي للحائر وهو - بهذا الاعتبار - عين ما ذهب اليه إبن إدريس المذكور في القرن السادس من الهجرة بأن « المراد من الحائر ما دار سور المشهد والمسجد عليه » كما تقدم. وهذا السور القائم حول الحائر في زمن ابن إدريس المتوفى عام ٥٩٨ هـ هو السور الذي بناه أبو محمد الحسن بن مفضل بن سهلان الرامهرمزي وزير سلطان الدولة بن بويه الديلمي بعد الحريق الذي نشب على أثر سقوط شمعتين كبيرتين في حرم الحسين عليه السلام في سنة ٤٠٧ هـ [2] والذي أقيم حسب القرائن على أساس العمارة التي أقامها عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي في سنة ٣٧٢ هـ ، والتي يرجع بناؤها الى الأسس التي وضعت للحائر في العمارات السابقة من عمارة الداعي الصغير الذي ملك طبرستان بعد

---

(١) راجع : ١ - كامل الزيارة ص ٢٧٢ و ٢ - مزار البحار ص ١٤١ و ٣ - الحدائق الناضرة ٢/٣٤٥ .

(٢) راجع : ١ - « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » لأبي الفرج بن الجوزي ج ٧ ص ٢٨٢ طبع حيدراباد ١٣٥٨ هـ و ٢ - تاريخ ابن الأثير ج ٩ ص ١٠٢ و ٣ - « نزهة أهل الحرمين » ص ٢١ و ٤ - أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٦ و ٣٠٧

أخيه الداعي الكبير في عام ٢٨٣ هـ وإلى عمارة المنتصر في عام ٢٤٧ هـ والى العمارة التي أقيمت في عهد الأمين والمأمون من بعد الرشيد ، فالى العمارة الأصلية للحائر المقدس في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني من الهجرة . وبناء على ما تقدم ، فان تحديد الحائر يرجع على كل حال الى عهد أول بناء وضع من حول المشهد الشريف في أول عهده والذي جائت الروايات بتحديده عن الصادق عليه السلام على النحو المتقدم .

أضف الى ذلك كله ، فان الحائر كما وصفه أهل اللغة وابن إدريس في آخر كلامه من أنه « الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء » فهو بهذا الاعتبار مصطلح فني معماري لذلك الوقت لا أكثر ولا أقل ، وتلك صفة كل بناء يحيط بموضع ما فلا يجد فيه الماء مخرجاً فيحير فيه بالطبع .

ثالثاً ـ الحرم حدوده ومساحته :

وهذا التمييز عند الرواة بين الحرم والحائر منأت ـ حسب الظاهر ـ من أن الأول كما يدل عليه إسمه منطقة آمنة لقدسيّتها كما وردت عن الصادق عليه السلام من أن « حرمة قبر الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من أربعة جوانب القبر » أو « إن حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر » . ولكن هذه المنطقة الواسعة خارجة في كل حال عن حدود الدائرة المشمولة بأحكام الحائر . أو أن الحرم بالأصل عبارة عن أراض كانت تبلغ مساحتها أربعة أميال في أربعة أميال كان قد ابتاعها الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء بستين الف درهم من أصحابها سكان الغاضرية ونينوى وتصدق بها عليهم على أن

يضيفوا زوّاره ثلاثة أيام ويُرشدوهم الى قبره كما رواه محمد بن أحمد بن داود القمي في كتاب الزيارات عن خطب السيد رضا الدين علي بن طاوس رحمه الله ونقله عنه بهاء الدين محمد العاملي قدّس سره في كتاب « الكشكول » بما نصه : « رُوي ان الحسين عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم وتصدق عليهم وشرط أن يرشدوا الى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام »[1] . ثم بين في ذيل الخبر مقدار مساحة تلك الأراضي وأنها هي حرم الحسين عليه السلام بقوله : « قال الصادق عليه السلام : حرم الحسين (ع) الذي اشتراه أربعة أميال في أربعة أميال فهو حلال لولده ومواليه ، حرامٌ على غيرهم ممن خالفهم ، وفيه البركة » . وأما سبب حلّيته على ولد الحسين عليه السلام ومواليه بعد الصدقة هو عدم قيام أهل الغاضرية ونينوى بالشرط حسب القاعدة على ما أوضحه ابن طاوس المذكور مستنداً في ذلك على رواية محمد بن داود، بقوله : « وذكر السيد الجليل السيد رضا الدين طاوس رحمه الله، انها إنما صارت حلالاً بعد الصدقة لأنهم لم يفوا بالشرط . قال : وقد روى محمد بن داود عدم وفائهم بالشرط في باب نوادر الزمان »[2] .

أو ان الحرم باعتبار آخر هو في نظر البعض من الناحية التحليلية مجموع منطقة إمتزجت أرضها ، واختلطت تربتها بدم الحسين عليه السلام فاكتسبت تلك الحرمة وهذه المعنوية ، وذلك لأن مصرع الحسين حيث

---

(١) راجع : كتاب « الكشكول » للشيخ بهاء الدين محمد العاملي ص ١٠٣ طبع مصر ١٣٠٢ هـ .

(٢) المصدر نفسه .

أريق دمه الطاهر يقع في قلب دائرة الحرم فامتزجت تربة مصرعه بهذا الدم أولا ، ثم إنتثرت ذرّاتها تدريجياً بفعل العوامل الطبيعية من الرياح والعواصف والأمطار والانهار في أنحاء هذه المنطقة حاملة معها اجزاء من ذلك الدم الطاهر ، وباختلاط تلك الذرات بالتربة في طول تلك المنطقة المستديرة وعرضها أصبحت تلك المنطقة على اختلاف تقديرها وتحديدها حرما آمناً ، وحريماً لقبر الحسين عليه السلام لها حرمتها وقدسيتها لأن تربتها ممتزجة بتربة مصرع الحسين ودم الحسين مقدس لأنه من دم رسول الله صلى الله عليه كما تعلم .

وعلى كل ، فان منشأ هذا التفكيك بين الحرم والحائر عند الرواة والمحدثين يرجع بالأصل لا إلى حقيقة تاريخية ، وإنما إلى مسئلة عبادية محضة تدور حول الوجوب أو التخيير للزائر المسافر في قضية إتمام الصلاة في أربعة أماكن ، في اثنين منها وهما مكة والمدينة تتفق الآراء بالاجماع تقريباً على وجوب الاتمام فيهما ، وذلك في البلد الحرام كله في داخل البيت وخارجه باعتبار أن مكة المعظمة كلها حرم الله ، ثم وفي داخل المسجد النبوي نفسه بالمدينة المنورة وذلك ضمن حدوده الأصلية كما كان عليه المسجد بدء تأسيسه على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون ما أضيف عليه فيما بعد بصورة تدريجية بغية توسيع المسجد .

الأمر الذي يدل دلالة واضحة على تأميم مكة في الاسلام وجعلها أممية أي وطناً حقيقياً لكل مسلم لأنه يعتبر فيها كأنه في بيته لعدم اعتباره مشمولاً بأحكام التقصير في الصلاة بمكة . وكذلك الحال للمسجد النبوي

بالمدينة ، فكأنهما بهذا الاعتبار ملك لجميع أفراد المسلمين في مختلف أقطار الأرض دون أي فرق وتمييز .

ثم التخيير للمسافر بين التقصير والاتمام في اثنين آخرين من الاماكن الاربعة وهما مسجد الكوفة وحائر الحسين عليه السلام وذلك مع القول بأفضلية الاتمام فيهما . وحل هذه المسئلة العبادية هو الذي جعل الفقهاء يبحثون في مؤلفاتهم عن حدود الحائر وحقيقته على ضوء الروايات الواردة فيه ، الأمر الذي يدل على أهمية أبحاثهم لتحديد الحائر ومدلوله من الناحية التاريخية .

والتزام الرواة والمحدثين في تحديد الحائر وتعيين حدوده بالضبط إلى هذه الدرجة فهو كما بيناه لأمر عبادي محض كي لا يتجاوزوا حدود ما كان عليه الحائر المقدس في زمن الصادق عليه السلام حين وردت فيه أخبار التخيير للمصلي بين القصر والتمام . ويظهر من أبحاثهم المسهبة في هذا الصدد بأنه تسرّب أو كاد أن يتسرب بعض الخلط بين مفهوم الحائر والحير فيما يخص أحكام الحائر من الوجهة الشرعية . وكأنما حصل هذا الخلط بين الموضوعين عند العوام أولاً ثم بقي مستمراً في الاذهان إلى أواخر القرن السادس من الهجرة حين أتى ابن إدريس وفرق بينهما في عام ٥٨٨ هـ في كتاب الصلاة من « السرائر » بقوله : « والمراد بالحائر ما دار عليه سور المشهد ، لا ما دار عليه سور البلد » مما يدل على أن الناس إلى هذا العهد ما كانوا يفرقون بين الحائر والحير أي بين القبر المطهر

والبلد وبخلطهم بينهما كانوا يشملون الحير بأحكام الحائر . فجاء تحديد ابن إدريس فاصلاً للامر كما تقدم [١] .

رابعاً ـ الحائر وانصراف المتأخرين في تحريره :

وبالرغم مما تقدم ، فقد يظهر من أبحاث المتأخرين بأن الخلط بين الموضوعين ، ثم افتراض نوع من التوسع في حدود الحائر بقي مستمراً والترديد سائداً على الأذهان إلى عهد قريب . إذ أن العلامة المجلسي في القرن الحادي عشر عاد وبحث نفس الموضوع من جديد بصورة أوسع من قبل ، مستعرضاً الآراء المختلفة ، منتهياً منها إلى إثبات نوع من السعة في الحائر في المجلد الثامن عشر من دائرة معارفه المسماة بـ « بحار الأنوار » والذي فرغ من تأليفه في عام ١٠٩٧هـ بقوله :

« أما الحائر فظاهر أكثر الاصحاب إختصاص الحكم به . حكى في « الذكرى » [٢] عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد انه حكم في كتاب له في السفر بالتخيير بالبلدان الاربعة حتى الحائر المقدس لورود الحديث بحرم الحسين عليه السلام وقدّر بخمسة فراسخ وأربعة وبفرسخ واحد ، قال : والكل حرم وإن تفاوتت في الفضيلة وهو غير بعيد لما رواه الشيخ والكليني بسند فيه ضعف عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أتيت أبا عبدالله عليه فاغتسل على شاطىء الفرات وإلبس ثيابك الطاهرة

---

(١) راجع ذلك مفصلا في باب صلاة المسافر من كتاب السرائر لمحمد بن ادريس المتوفى سنة ٥٩٨ من الهجرة طبع ايران سنة ١٢٧٠هـ وقد ألف كتابه هـذا حسبما صرح به في كتاب المواريث في سنة ٥٨٨ من الهجرة .

(٢) كتاب « الذكرى » في الفقه للشهيد الأول .

ثم إمش حافيا فانك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ، الخبر . وبسند مرسل عنه عليه السلام قال : حرم الحسين عليه السلام فرسخ من أربع جوانب القبر . وبسند ضعيف آخر عنه قال : حرم قبر الحسين عليه السلام أربعة فراسخ من أربعة جوانبه . والأحوط إيقاع الصلاة في الحائر ، وإذا أوقعها في غيره فيختار القصر .

وأما حد الحائر ، فقال ابن إدريس : المراد به ما دار سور المشهد والمسجد عليه دون ما دار سور البلد عليه ، لأن ذلك هو الحائر حقيقة ، لأن الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء ، وقد ذكر ذلك شيخنا المفيد في « الارشاد » لما ذكر من قتل مع الحسين من أهله والحائر محيط بهم إلا العباس (ره) فانه قتل على المسناة ، واحتج عليه بالاحتياط لأنه المجمع عليه [1] . وذكر الشهيد أن في هذا الموضع حار الماء لما أمر المتوكل باطلاقه على قبر الحسين ليعفيه فكان لا يبلغه انتهى . وأقول : ذهب بعضهم إلى أن الحائر مجموع الصحن المقدس ، وبعضهم إلى أنه القبة السامية ، وبعضهم إلى أنه الروضة المقدسة وما أحاط بها من العمارات القديمة من الرواق والمقتل والخزانة وغيرها . والاظهر عندي أنه مجموع الصحن القديم لا ما تجدد منه في الدولة العلية الصفوية شيد الله اركانهم ، والذي ظهر لي من القرائن وسمعت من مشايخ تلك البلاد الشريفة انه لم يتغير الصحن من جهة القبلة ، ولا من اليمين والشمال بل إنما زيد من خلاف جهة القبلة ، وكل ما انخفض من الصحن وما دخل فيه من العمارات

---

(١) هذا كل ما قاله محمد بن ادريس الحلي في كتاب « السرائر » .

فهو الصحن القديم ، وما ارتفع منه فهو خارج عنه ، ولعلهم إنما تركوه كذلك ليمتاز القديم عن الجديد ، والتعليل المنقول عن ابن إدريس (ره) منطبق على هذا . وفي شموله لحجرات الصحن من الجهات الثلاثة إشكال . ويدل على ان سعة الحائر اكثر من الروضة المقدسة والعمارات المتصلة بها من الجهات الثلاثة ما رواه ابن قولويه بسندٍ حسن عن الحسن بن عطية عن ابي عبدالله عليه السلام قال : إذا دخلت الحير - وفي بعض النسخ الحائر - فقل وذكر الدعاء ، ثم تمشي قليلاً وتكبر سبع تكبيرات ثم تقوم بحيال القبر وتقول ، إلى ان قال : ثم تمشي قليلاً وتقول إلى قوله : « وترفع يديك وتضعهما على القبر » . وعن نوير ابن أبي فاختة عن أبي عبدالله عليه السلام في وصف زيارته حتى تصير إلى باب الحائر أوالحير ثم قل ، إلى ان قال : ثم أخط عشر خطى ، ثم قف فكبر ثلاثين تكبيرة ، ثم إمش حتى تأتيه من قِبَل وجهه . وعن أبي حمزة الثمالي بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام في وصف زيارة الحسين : ثم ادخل الحير أو الحائر وقل ... إلى قوله : ثم إمش قليلاً وقل ... إلى قوله : ثم إمش وقصر خطاك حتى تستقبل القبر ، ثم تدنو من القبر وتقول ... إلى آخر الخبر ، فهذه الاخبار وغيرها مما سيأتي في كتاب « المزار » إنشاء الله تعالى تدل على نوع سعة في الحائر »[1] .

وقد جاءت خلاصة هذا الكلام في مجلد « المزار » المنوه عنه بقوله : « إعلم إنه اختلف كلام الاصحاب في حد الحائر ، فقيل إنه ما احاطت

---

(١) راجع « بحار الأنوار » ج ١٨ ص ٧٥٣ في باب الصلاة ، طبع ايران ١٣١٩

به جدران الصحن فيدخل فيه الصحن من جميع الجوانب والعمارات المتصلة بالقبة المنورة والمسجد الذي خلفها. وقيل إنه القبة الشريفة حسب. وقيل هي مع ما اتصل بها من العمارات كالمسجد والمقتل والخزانة وغيرها. والاول أظهر لاشتهاره بهذا الوصف بين أهل المشهد آخذين عن أسلافهم ولظاهر كلمات اكثر الاصحاب ، قال ابن إدريس في السرائر : المراد بالحائر ما دار سور المشهد والمسجد عليه ، قال لان ذلك هو الحائر حقيقة لان الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء . وذكر الشهيد في « الذكرى » ان في هذا الموضع حار الماء لما أمر المتوكل باطلاقه على قبر الحسين عليه السلام ليعفيه فكان لا يبلغه .

وذكر السيد الفاضل أمير شرف الدين على المجاور بالمشهد الغروي قدس الله روحه وكان من مشايخنا إني سمعت من كبار الشائبين من البلدة المشرفة ان الحائر هو البقعة التي عليها الحصار الرفيع من القبلة واليمين واليسار ، وأما الخلف فما ندري ما حده وقالوا هذا الذي سمعناه من جماعة من قبلنا انتهى . وفي شموله لحجرات الصحن إشكال والله يعلم ، ولا يبعد ان يكون ما انخفض من هذا الصحن الشريف يكون داخلاً في الحائر دون ما ارتفع منها وعليه ايضا شواهد من كلمات الاصحاب »[1] .

وجاء الشيخ يوسف البحراني في القرن الثاني عشر فأعاد ما قاله العلامة المجلسي من اقوال العلماء في تحديد الحائر واضاف عليها قوله هذا :

---

(١) راجع : مجلد « المزار » من بحار الانوار في تحديد الحائر ص ١٤٢

« أقول : وقد اخبرني من اثق به من علماء ذلك البلد وسكنة ذلك المكان منذ مدة من الزمان لما تشرفت بتقبيل تلك الاعتاب وفاوضته في كلام شيخنا المذكور (يعني به المجلسي) ونقله التغيير في الصحن في دبر القبلة . فقال إن سبب ذلك ان هذا المسجد الجامع الموجود الآن في ظهر القبلة السامية لم يكن قبل ، وإنما أحدث فيما يقرب من مائتي سنة ولما أحدثوه أخروا جدار الصحن عن تلك الجهة ليتسع مثل باقي جهاته . ثم ان ما اختاره شيخنا المتقدم ذكره من تحديد الحائر الشريف عبارة عن الصحن لا خصوص القبة السامية ، أو هي وما اتصل بها من العمارات ودل عليه بعض اخبار الزيارات كما في رواية صفوان الطويلة ونحوها من الاخبار الدالة على سعة ما بين دخول الحائر ودخول القبر بحيث يزيد على الروضة والعمارات المنصلة بها »[1] .

ويتبين من هذه الاقوال مدى الاختلاف التدريجي الذي حصل مع الزمن لدى المتأخرين في مسئلة تحديد الحائر . فبعد ان كان الامر واضحا وجليا لدى الجميع عندما حدده الصادق عليه السلام في اوائل القرن الثاني من الهجرة وذلك حسب الظاهر على اساس البناء القائم إذ ذاك على المشهد الشريف بعشرين أو بخمسة وعشرين ذراعا من كل جانب من القبر ، اعتور التحديد تدريجيا بعض الشك كلما توسع هذا البناء وزيد في اطرافه الابنية والعمارات الجديدة حتى آل به الامر في القرن الحادي

---

(١) راجع : كتاب « الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة » ج ٢ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ طبع ايران ١٣١٦ هـ للشيخ يوسف بن احمد بن ابراهيم البحراني المتوفى في ربيع الأول ١١٨٦ هـ .

عشر على عهد المجلسي ومعاصريه إلى القول بنوع من السعة في الحائر كما رأينا .

وهذا الاختلاف فقد أعلن عنه المجلسي في بداية كلامه في « المزار » وأوضحه في الجزء الثامن عشر من البحار فذكر ما إستدلوا به « بالتخيير بالبلدان الأربعة حتى الحائر المقدس لورود الحديث بحرم الحسين عليه السلام » فان هذه الاحاديث لا تنطبق على الموضوع لأنها جاءت في آداب الزيارة لا في تحديد الحائر . وأما ما ذكره ابن إدريس فانه قولٌ لا يفهم منه اليوم مقدار ما كان عليه المشهد والمسجد من السعة في عهد ابن إدريس وكان البناء قد تغير مراراً عديدة من بعده الى زمن المجلسي ، وغاية ما يستفاد من قوله هو التمييز بين الحائر والبلد وان العباس (ع) مدفون خارج الحائر . وان ما نقله ابن إدريس عن الشهيد بأن الماء حار في هذا الموضع لما أمر المتوكل باطلاقه تعليلاً لما ذكره هو في معنى الحائر من أنه الموضع المطمئن الذي يحار فيه الماء فانه تعليل ضعيف ، لأن تسمية الموضع بالحائر كانت تسبق عهد المتوكل باكثر من قرن . ثم ولا يعرف بالضبط أي سور يعينه ابن إدريس في تحديده للحائر ، أو على أي سور من الاسوار الحالية يجب أن يُطبق كلامه ؟ هل على سور الصحن الخارجي وهو بوضعه الحالي مستحدث بلا شك من بعد إبن إدريس، أم على السور المحيط بالاروقة والبناء من داخل الصحن ولا نعلم هل انه كان على موضعه الحالي في القرن الخامس والسادس على عهد ابن إدريس مع العلم بأن البناء قد تغير وتوسع كثيراً من بعد هذا العهد ، أم على السور

الداخلي الذي يحيط فعلاً بالحرم والمسجد اللذين عبر عنهما ابن إدريس بـ « المشهد والمسجد » مع العلم أن هذا المسجد نفسه كان قد توسع في الحقيقة ، أو على حد تعبير الشيخ يوسف البحراني[1]، كان قد أحدث في القرن العاشر من الهجرة على عهد الدولة الصفوية . وحسب القرائن التاريخية ومنطوق كلامه فان هذا السور الداخلي هو الذي يقصده ابن إدريس وينوه عنه الطريحي في مجمع البحرين .

ومع ذلك كله ، فان تحديد ابن إدريس نظراً لقدمه وإقتراب عهده بالعصور الاولى هو أولى بالاتباع من غيره من المتأخرين . فلو إتبعنا قوله حرفياً فانه لا يشمل إلا الحرم الذي عبر عنه بـ « المشهد » مع قسم من المسجد الموجود في شمال الحرم على حده القديم قبل توسع المسجد في القرن العاشر . وعلى هذا التقدير فان تحديد ابن إدريس يطابق تقريباً المساحة التي عينها الصادق عليه السلام للحائر من عشرين أو خمسة وعشرين ذراعاً من كل جوانب القبر المطهر أي من حيث المجموع مساحة ستمائة وخمسة وعشرين متراً مربعاً بأعلى التقديرين . وهذه النتيجة التي انتهينا اليها تختلف عما نقله المجلسي من آراء المتأخرين فيه ، والآراء التي ذكرها في المزار والبحار تتصنف في أربعة أقسام : أولا ـ أن حد الحائر هو القبة السامية ، أي ما يقع من الحرم تحت حدود القبة وذلك ما ينطبق تقريباً على قول ابن إدريس ببعض التحفظ . ثانياً ـ القول بأنه الروضة المقدسة وما أحاط بها من العمارات القديمة من الرواق والمسجد والمقتل

---

(١) راجع ما تقدم من قوله في زيارته العتبات المقدسة .

والخزانة وغيرها ، واصحاب هذا الرأي يطبقون الحدود على السور المحيط بالاروقة والبناء الموجود في وسط الصحن مع العلم بأن العمارات الملحقة مستحدثة كلها بمرور الزمن . ثالثاً ـ القول بأنه مجموع الصحن المقدس ، واصحاب هذا الرأي يطبقون تحديد ابن إدريس على جدران الصحن الخارجية فيدخل فيه الصحن من جميع الجوانب مع العمارات المتصلة بالقبة المنورة والمسجد الذي خلفها ، مع العلم أن هذه الانشاآت الواسعة جديدة لا يرتقي عهدها الى القرن السادس فمنها ما يرجع عهده الى السلطان أويس الجلائري وابنه السلطان أحمد في القرن الثامن ، ومنها الى عهد الصفويين في القرن العاشر والحادي عشر ، ومنها الى القاجاريين في القرن الثالث عشر . رابعاً ـ قول المجلسي نفسه ويختلف عن الاقوال المتقدمة لانه يرى أن حد الحائر هو مجموع الصحن القديم وذلك بتعديلين ، الاول إخراجه ما تجدد منه في عهد الدولة الصفوية ويعني به القسم الشمالي من الصحن ، ودليله على كون الصحن القديم من الحائر بأنه سمع « من مشايخ تلك البلاد الشريفة ان الصحن لم يتغير من جهة القبلة ولا من اليمين والشمال ، وإنما زيد من خلاف جهة القبلة » . وهذا الدليل ـ كما يلاحظ ـ ضعيف جداً لانه يغاير التاريخ والواقع . وبنفس الدليل الذي أخرج به القسم الشمالي المستحدث من نطاق الحائر كان يجب ان يخرج به بقية الجهات منه ايضا ، لان كل جهة من الجهات الثلاث الاخرى من الصحن أنشئت ايضا في عصور مختلفة من بعد العصر الاول . واما تعديله الثاني فهو إخراجه حجرات الصحن من الجهات الثلاث التي قرر دخولها في الحائر ،

مع ان الحجرات هي داخلة في السور المحيط بالصحن لا خارجة عنه ، وكأنه بهذا القول اعتبر الحيّز حائراً فقط دون ان يكون السور وما يضمن السور داخلاً فيه وذلك دون الادلاء بدليل لاثبات قوله .

وإن ما اورده عن ابن قولويه من روايات الحسن بن عطية وابن ابي فاختة وابي حمزة الثمالي لاثبات نوع من السعة في الحائر ، فالظاهر ان لا محل لايرادها في مثل هذا المورد ، لان هذه الروايات هي وما ورد منها في تحديد الحائر بعشرين أو بخمسة وعشرين ذراعا في مثلها جاءت كلها في زمن واحد ومن مصدر واحد فجاءت كلها عن الصادق عليه السلام . وهل يمكن الاستدلال ببعضها اجتهاداً مقابل ما في غيرها من النص الصريح في التحديد . وعلاوة على ذلك فان ما استدل به العلامة المجلسي من هذه الروايات على نوع من السعة في الحائر من الأمر فيها بالمشي مرتين وتقصير الخطى بعد الدخول إلى غير ذلك فانها لأمور في حد ذاتها لا تدل على سعة المكان ، بل يمكن تطبيقها حتى في محل صغير .

ولم يبق لأصحاب نظرية التوسع إلا دليلٌ واحد لكن لم يقولوا به أو لم يصرحوا به حسب الظاهر وهو أن للحائر مفهومٌ انتزاعي محض فكان يحد في عصر الصادق عليه السلام بعشرين أو بخمسة وعشرين ذراعا في مثلها ، وكذلك يحد في أي وقتٍ آخر بما يبلغ إليه من السعة والتوسع ، وبهذا النحو يكون له صفة التمدد يتمدد بتمدد الجدران ويتوسع كلما توسعت الأبنية والعمارات من حوله ، فيكون حده اليوم « الحصار الرفيع » الذي أشار إليه المجلسي في المزار من قول الأمير شرف الدين علي الغروي.

ولكنهم لم يذهبوا إلى هذا الرأي فبقيت أبحاثهم تحوم حول الشبهة والتردد في الموضوع . ولم نتوسع في هذا البحث هذا التوسع إلا لغايتين : الاولى ان نحيط بجميع ما جاء عن الحائر في اللغة والتاريخ والفقه والحديث لنكون قد اوفينا الموضوع بعض حقه . والثانيـة تمحيص آراء الفقهاء المتقدمين والمتأخرين للوصول إلى نتيجة وضعية ثابتة عن الحائر وحدوده في كل الادوار لما لهذا الامر من الصلة بتاريخ بنائه وتطوراته وتوسعاته . ثم وكان الموضوع نفسه بحاجة إلى مثل هذا التوسع في البحث والتحقيق لما له من الصلة بمنزلة الحائر الدينية وقدسيته في نفوس المسلمين .

ومع ما تقدم من الآراء المتنوعة فقد توقف المعاصرون عن الأخذ بها ولم يقولوا إلا بالقدر المتيقن فيه ومنهم الشيخ جعفر التستري من أبرز فقهاء القرن الثالث عشر فانه بعد استعراضه التام لاقوال الاصحاب يقتصر بالقول على الروضة المقدسة وحدها كما تجد رأيه في آخر كلامه التالي :

« إختلف أصحابنا في تحديد الحائر . فقال ابن إدريس ـ فذكر قوله المذكور فيما تقدم ـ وذهب بعضهم أن الحائر مجموع الصحن المقدس . وبعضهم انه القبة السامية ، وبعضهم الى أنه الروضة المقدسة وما أحاط بها من العمارات القديمة من الرواق والمقتل والخزانة وغيرها . وقال المجلسي (ره) : الاشهر عندي انه مجموع الصحن القديم لا ما تجدد منه في الدولة الصفوية . واحتج على ذلك بالاخبار الدالة على أنك اذا دخلت الحائر فقف وقل وذكر الدعاء ، ثم تمشي قليلاً وتكبّر سبع تكبيرات ، ثم تقوم بحيال القبر وتقول ، إلى أن قال : ثم تمشي قليلاً وتقول الى قوله ثم ترفع

يديك ثم تضعهما على القبر ونحو ذلك مما فيه الامر بالمشي مرتين وتقصير الخطى بعد دخوله فانها تدل على نوع سعة في الحائر . وهذا القول قوي ويدل عليه أصل مسئلة الصلاة هناك وعنوانها فانها تدل على نوع سعة لكن الضبط والتحديد غير معلوم ، والاحوط الاقتصار على الروضة المقدسة »[1].

ولما لم يكن الضبط والتحديد معلوماً من بين هذه الآراء المختلفة فالاصح في نظره البقاء على الحد المتفق عليه وهو الروضة المقدسة أي داخل الحرم الشريف وهذا يرجع بالطبع الى أصل التحديد في عصر الصادق عليه السلام . فيكون بذلك العود على البدء .

الفصل السادس

مناطق الحرم والحائر - وترتب قاعدة الشرفية بينها

ليس الغرض من الحرم في هذا المورد ما يسمونه عادة بـ « حرم الحسين » والذي هو داخل الروضة المقدسة ، وانما المقصود هو المناطق المنصوص عليها في الروايات بأنها حريم ومحترم للقبر المطهر ولها حرمتها كما سبق بيانها فيما تقدم . وهذه المناطق هي مختلفة من حيث الاتساع فتبدأ من دائرة صغيرة حول القبر فتأخذ بالتوسع من دائرة الى أخرى حتى تبلغ دائرة واسعة جداً تشمل بقعة كربلاء واطرافها الى مسافة بعيدة ، فهي تبدأ اولاً من عشرين ذراعاً ، الى خمسة وعشرين ذراعاً ، الى فرسخ

---

(١) راجع : كتاب « خصائص الحسين » ص ١٩٠ - ١٩١ للشيخ جعفر التستري المتوفى عام ١٣٠٣ من الهجرة ، طبع ايران .

واحد ، الى اربعة اميال ، الى اربعة فراسخ ، فالى خمسة فراسخ من كل جانب من القبر المطهر حسب الاحاديث المختلفة ، فانها مناطق متداخلة بعضها في بعض ولكنها ليست هي والحائر كلها على درجة واحدة من الشرف والفضيلة . لان كلما توسعت دائرة من دوائر منطقة الحرم وإبتعدت بذلك عن محيط الحائر اومركز الدائرة كلما قلت فضلاً ومنزلة، وبالعكس كلما تدانت وإقتربت من المركز كلما زادت قدسية وحُرمة كما تُنبيء بذلك الروايات والاحاديث الكثيرة ، فقد روى المجلسي في « المزار » من بحار الانوار بهذا الصدد نقلا عن « المصباح » بأن : « الوجه في هذه الاخبار ترتب هذه المواضع في الفضل ، فالاقصى خمسة فراسخ ، وأدناه من المشهد فرسخ ، وأشرف الفرسخ خمس وعشرون ذراعاً ، واشرف الخمس والعشرين عشرون ذراعاً ، واشرف العشرين ما شُرّف به ، وهو الحديث نفسه ونحوه قال في التهذيب »[1].

فعلى ذلك تأتي قاعدة الشرفية بين هذه المناطق على ترتب المواضع حسب قاعدة الاقرب فالاقرب الى موضع دفنه عليه السلام ، فيكون الحائر المحدد بعشرين ذراعا في عشرين هو اشرف تلك المناطق كلها .

وقد امتازت ارض كربلاء وحدها بهذا الشرف في الاسلام ، ولم تَنَل بقعة أخرى من بقاع الارض مثل تلك المكرمة العظيمة . ولعل من اسباب ذلك امتزاج ارضها ، كما سبق بيانه ، بذرات من تربة مصرعه عليه السلام وكانت تلك التربة هي ممتزجة بدمه الطاهر فأصبحت تلك

---

(١) راجع : « المزار » من بحار الأنوار ص ١٤١ .

المناطق على اختلاف درجاتها مقدسة نسبياً حسب ترتب المواضع من حيث القرب والبعد عن قلب الدائرة في وسط الحائر ، فصارت تلك المناطق الواسعة حرماً وحريماً للحائر وهو تلك المنطقة الصغيرة حول القبر المطهّر . فان هذه المناطق كلها حرمٌ وإن تفاوتت في الفضيلة وذلك لما رواه الشيخ والكليني عن الصادق عليه السلام فانه قال : « إذا أتيت ابا عبدالله عليه السلام فاغتسل على شاطىء الفرات ، والبس ثيابك الطاهرة ، ثم امش حافياً فانك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ... إلى آخر الخبر »[1] .

ولكن ما العلة مع ذلك كله في حصر الحائر في دائرةٍ صغيرة بين تلك المناطق الواسعة مع أهميته وعظيم منزلته في الدين ؟ فانه جاء محصوراً حسب مفهوم الروايات في منطقة ضيقة ما كانت تتجاوز دائرة هذه المنطقة كلها حسب الظاهر حدود أول بناءٍ كان قد شيّد في أول عهده على القبر المطهّر وهو البناء الذي بقي قائماً بما أدخل عليه من التحسين أو من التوسع التدريجي إلى زمن الصادق عليه السلام حين وردت عنه الروايات الكثيرة من طرقٍ عديدة في تحديد الحائر المقدس بعشرين ذراعا في عشرين ، أو بخمسة وعشرين ذراعا في مثلها من كل جوانب القبر .

وهذا التحديد الذي تنطق به الروايات لقبر الحسين عليه السلام هو حسب التحليل التاريخي تحديدٌ للبناء الموجود على القبر وما كان يشتمل عليه البناء إذ ذاك في اطرافه وجوانبه . وبغير هذا التعليل لا

---

(١) راجع : « بحار الانوار » ج ١٨ ص ٢٥٣ طبع ايران ١٣١١ هـ .

يعقل أن تأتي الروايات في تحديد الحائر على اساس خط وهمي افتراضي محض قد ينطبق من جهة على حدود البناء القائم ، وقد لا ينطبق عليها من جهة اخرى فيقع حيناً داخل حدود البناء وحيناً خارجه . كما ولا يمكن القول بأي صورة من الصور بأنه كان قد روعي في تشييد البناء في اول عهده من بعد وقعة الطف كل المقاييس التي وجدت لها فيما بعد تأييداً من هذا النوع الذي نوهت عنه الروايات في حرمة الحائر وقدسيته .

وهذا الامر مما يدل دلالة واضحة على ان لا صلة بين لفظ « الحائر » في هذا المورد وبين مفهومه الجغرافي من منخفض من الارض يحير فيه الماء كما وصفه اهل اللغة .

اضف الى ذلك ان الروايات عن الائمة في الحائر جاءت معبرة عنه بألفاظ مختلفة تدل على كل شيء إلا على مدلول جغرافي له ، فترى ان هذه الروايات تعبر عن الموضع حينا بلفظ « عند القبر » ، وحينا آخر بكلمة « تحت القبة » ، وتارة بـ « الروضة » كما جاء في رواية عن الصادق عليه السلام ان « قبر الحسين عشرون ذراعا في عشرين ذراعا متكسراً روضة من رياض الجنة .. الى آخر الخبر » . وتارة اخرى بـ « المشهد الشريف » . كما وعبرت عنه ايضا بـ « حرم الحسين » اي داخل الروضة من حول القبر وهو غير مفهوم الحرم المتقدم الذكر ، او بتعابير اخرى مختلفة [1].

---

(١) في مسئلة تعدد التعبير عن الحائر راجع الجزء الثاني ص ٣٤٥ - ٣٤٦ « الحدائق الناضرة » للشيخ يوسف البحراني ، ايران ١٣١٦ هـ .

فتوارد التعابير العديدة وبهذه الكثرة في الروايات للدلالة على موضع واحد هو الحائر ليس دليلاً إلا على أن للحائر نفسه مدلول ومفهوم مثلها وأنه في عداد تلك التعبيرات اللفظية المختلفة من حيث الدلالة والمعنى .

وخلاصة القول ، فان ما يستنتج من الاخبار والروايات هو أن الحائر اسمٌ للبناء الذي شيّد لأول مرة حول القبر المطهّر من بعد وقعة الطف ، وهذا كما يستطيع الباحث أن ينتهي إليه بنتيجة البحث والتحقيق ، حتى وان تسمية المحل بالحائر لا ترتقي إلى قبل الاسلام ، ولا إلى قبل الوقعة نفسها . وأن لا صلة بين هذا الاسم وصفة الارض الجغرافية بوجهٍ من الوجوه لعدم وجود أي دليل تاريخي على ذلك . وهذا القول تؤيده اللغة ، والقرائن ، والروايات معاً بالاتفاق ، لأن الحائر على قول « لسان العرب » هو فناء الدار أو ما يحيط بها من كل جانب لقوله : « وقالوا لهذه الدار حائرٌ واسع ، والعامة تقول حَير وهو خطأ ، والحائر كربلاء سميت بأحد هذه الاشياء »[1] .

ثم يقربه « الصحاح » من هذا المعنى بقوله : « الحَيرْ بالفتح الحمى ، ومنه الحَيرْ بكربلاء » . وإذا ما لاحظنا الكلمة من ناحية الاشتقاق فان الحائر والحارة من مادةٍ واحدة في اللغة ، والحارة هي مجموعة المساكن ، أو كما عبّر عنه أهل اللغة هي « كل محلة تدانت مساكنها » فيرى من ذلك أن الحائر لغةً ، وعلى الاخص في مثل هذا المورد ، اسمٌ للبناء لا لشيء آخر وهو ما تذهب إليه كتب رجال الدين ايضاً . لان حائر

---

(١) راجع : معجم « لسان العرب » ج ٥ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

الحسين عليه السلام على قول الطريحي في « مجمع البحرين » هو : « ما دار سور المشهد الحسيني على مشرّفه السلام » . ومثل ذلك قول ابن إدريس الحلي المتقدم في كتاب « السرائر » في تحديد الحائر بأن : « الحائر مادار سور المشهد والمسجد عليه » .

الباب الثاني

الحائر والحير والتحقيق فيهما تاريخيا

١ ـ التحقيق في اسم الحائر والحَير تاريخياً

٢ ـ الحائر ومبدأ ظهور هذا الاسم لقبر الحسين عليه السلام

٣ ـ الحائر والوجه في تسميته

٤ ـ الحائر والحَير والتحقيق في الحَير تاريخياً

obeikandl.com

الفصل الأول

التحقيق في اسم الحائر والحير تاريخيا

فبعد ان استعرضنا البحث في الحائر المقدس من نواحيه المختلفة في الفصول السابقة ، بقي أن نعرف الآن مبدأ ظهور هذا الاسم في التاريخ الاسلامي لتعيين قبر الحسين عليه السلام به . وهذا ما سنبحث عنه في هذا الباب بالطرق التحليلية وذلك بتحليل الادوار دوراً بعد دور باحثين عن الحائر والحَير في التاريخ والرواية بصورة منظمة عسانا أن نقع بطريقة الحصر على ضالتنا المنشودة .

لم يرد في التاريخ أو الحديث ذكر لكربلاء باسم الحائر أو الحَير من قبل وقعة الطف ، أو اثناء هذه الوقعة ، أو بعدها بزمنٍ يسير . إذ ان الاحاديث النبوية المنبئة بقتل الحسين عليه السلام بأرض العراق تضمنت كل الاسماء عدا إسم الحائر . فمنها ما ورد فيه إسم كربلاء ، وإسم نينوى ، والطف ، وارض الطف ، وشط الفرات ، وشاطي الفرات ، ولا واحد منها ورد فيه إسم الحائر أو الحَير ، مع انها جاءت بأسماء هذه الارض كلها .

ومن بعد عصر النبوة لم نجد له ايضاً من أثر . فعندما مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في طريقه إلى صفين ووقف هناك وبكى ذاكراً مصرع ابنه الحسين واصحابه في تلك البقعة لم يرد ايضاً ذكرٌ لاسم الحائر أو الحَير في هذا الخبر .

ثم إذا تقدمنا بخطوة اخرى في التاريخ واقتربنا من وقعة الطف نجد ان الحسين عليه السلام لما وصل حدود هذه الارض واجتازها قرية فقرية ، وسئل عن اسم كل واحدةٍ منها ، ذكروا له أسماءً مختلفة مثل إسم نينوى ، والغاضرية ، وشفية ، والعَقر ، وكربلاء ، وغيرها ، ولم يرد ذكر لاسم الحائر أو الحَير في عداد تلك الاسماء المختلفة الكثيرة .

ثم ، ومن يوم نزول الحسين عليه السلام كربلاء في اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة الى يوم العاشر منه يوم الوقعة لم يرد في الاخبار المتعلّقة بهذه المدة أي ذكر ، أو على الاقل ، أي إشارةٍ ولو خفية إلى إسم الحائر .

ثم ، ومن سوق الأسارى والسبايا إلى الكوفة فالى الشام ، ثم رجوعهم من الشام ومرورهم بكربلاء في طريقهم إلى المدينة لم يرد ايضاً أي ذكر أو إشارةٍ إلى إسم الحائر بدلاً عن إسم كربلاء في الاخبار والروايات المتعلقة بتلك المدة .

ثم ، إذا وجهنا النظر من الحوادث التاريخية إلى الاحاديث الدينية نجد أن الروايات المأثورة عن السجاد والباقر عليهما السلام فيما يخص قبر الحسين وفضل زيارته أو غير ذلك لم يرد فيها أي ذكر لاسم الحائر أو الحَير . فبلغنا الآن السنة ١١٤هـ يعني إلى وفاة الباقر عليه السلام ولم نجد أثراً لاسم الحائر أو الحَير في التاريخ فمتى كان ظهوره إذن ؟

ولا يمكن تعيين مبدأ ظهوره بالضبط ، غير اننا نعلم من القرائن بأنه لم يظهر إلا من بعد عام ١١٤ من الهجرة . فلو كان الحائر وصفاً لحالة

الارض في هذا المورد كما يُزعم كان ينبغي ان يكون مبدأ ظهوره قبل الوقعة وحتى قبل الاسلام في الفترة التي كانت هـذه الارض يباباً غير عامرة وغير آهلة بالسكان فيوجد له ذكر في التاريخ والحديث . مع العلم بأنه لم يرد ذكر الحائر إلا في السنوات الاخيرة من الدولة الاموية كما جاء ذكره في مثل حديث الحسين بن بنت ابي حمزة الثمالي الذي زار قبر الحسين عليه السلام في آخر زمن بني امية كما يصرّح به[1]. أو في بعض الروايات الواردة عن الصادق عليه السلام حوالي هذا الوقت من قبله أو بعده في فضيلة زيارة الحسين عليه السلام . ولم يرد إسم الحائر في كلها وإنما في بعضها دون البعض لتعيين المشهد الشريف به .

فيستدل من ذلك كله ، إن إسم الحائر لكربلاء ليس قديماً ، وانه إسم حادث لم يكن معروفاً من قبل ، ولا يرتقي عهده إلى قبل الاسلام ، ولا إلى عصر النبوة ، ولا إلى حين وقعة الطف ، ولا الى زمن السجاد والباقر في القرن الاول إلى الشطر الاول من القرن الثاني من الهجرة أي إلى وفاة الباقر عليه السلام في سنة ١١٤ وإنما ظهر هذا الاسم لأول مرة لتعيين قبر الحسين حوالي عام ١٢٥ كما يستفاد من حديث الحسين بن بنت أبي حمزة المتقدم الذكر ومن بعض روايات الصادق عليه السلام .

---

(١) راجع : كتاب « الاقبال » للسيد بن طاووس ص ٥٦٨ طبع ايران ١٣١٢هـ ، و « نزهة أهل الحرمين » ص ١٤ - ١٥ طبع الهند ١٣٥٤ هـ ، و « أعيان الشيعة » ٤ / ٣٠٣ ، و « البحار » ١٠ / ٣٠٠ ، و « كامل الزيارة » ص ١١١ - ١١٢ . وراجع فصل الحائر ووصفه في الفصل الأول من هذا الكتاب.

وهذا ما يدعو إلى التساؤل عن سبب ظهور هذا الاسم لكربلاء في مثل ذلك الوقت ؟

الفصل الثاني

الحائر ومبدأ ظهور هذا الاسم

قد لا يكون من السهل البتّ في قضيةٍ مضى عليها اكثر من الف ومائتين واربعين عاماً . ولكن التاريخ أمرٌ قد لا يمكن إغفاله ، وهو لا يقصر عن بذل الأدلة والقرائن اللازمة احياناً . فاذا ما امعنا النظر بصورة واسعة في عصر الصادق عليه السلام وما ورد عنه من الاحاديث ، أو ما ورد في عصره من الاخبار في الموضوع من طرق اخرى ، نجد ان إسمي الحائر والحَير يظهران لأول مرةٍ في التاريخ في هذا العصر فيصبح كل واحدٍ منهما من ذلك الحين فقط معروفاً وشائعاً في كل من التاريخ والحديث ، ويحشران ضمن غيرهما من الاسماء المختلفة التي كانت تتعين بها كربلاء الى ذلك الوقت . ومع ذلك كله ، لم يظهر إسم الحائر والحَير في مبدأ الامر لتعيين كربلاء وقبر الحسين عليه السلام إلا بصورةٍ تدريجية ، إذ لم نجد لهما أثراً إلا في البعض من الروايات الواردة عن الصادق عليه السلام في فضيلة زيارة الحسين والحث عليها لا في كلها [1] .

---

(١) للتثبت من ذلك يمكن الرجوع الى الروايات الواردة في الموضوع عن الصادق عليه السلام في « كامل الزيارة » لابن قولويه .

الامر الذي يدل على ان إسم الحائر الى ذلك التاريخ لم يكتسب بعد تلك الصفة القطعية ليكون علماً لقبر سيد الشهداء كما اصبح له مثل هذه الصفة تقريباً من بعد الربع الاول من القرن الثاني من الهجرة ، وذلك - حسب الظاهر - الى حين يحدثنا فيه الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي المار ذكره بحديث شخوصه من الكوفة مشياً على الاقدام الى زيارة الحسين عليه السلام في آخر زمن بني امية ويتطرق في هذا الحديث مراراً الى ذكر الحائر وباب الحائر كأمرٍ مألوف . ويرجع عهد هذا الحديث - حسب القرائن - الى بعد الربع الاول من القرن الثاني أي قبل انقراض الدولة الاموية في عام ١٣٢ من الهجرة .

وبناءً على ذلك ، فان ظهور إسم الحائر والحَير لم يسبق القرن الثاني كما يلاحظ ، ولعله ايضاً من نتاج الربع الاول من هذا القرن من بعد وفاة الباقر عليه السلام في عام ١١٤هـ لخلو الاحاديث من إسم الحائر والحَير الى هذا التاريخ .

ولم يتصف قبر الحسين عليه السلام بـ « الحائر » إلا بعد ان شيّد عليه البناء من قبة وسقيفة ، ثم أحيط هذا البناء من اطرافه بسورٍ خارجي يبعد مسافةً عن البناء من كل جانب على شكل قلعةٍ أو حصن كان الغرض منه حسب الظاهر في بادئ الامر محافظة البناء القائم في وسطه من الطوارئ الخارجية لاسيما اثناء الليل بحيث لا يستطيع ان يلج احدٌ الى الداخل إلا بعد ان يجتاز المدخل الرئيسي لهذا السور ، ثم يقطع الفناء التي تفصل الحرم عنه . وبذلك كانت تسهل مراقبة من يدخل

الروضة المقدسة أو من يخرج منها في تلك الظروف الدقيقة الحرجة من العهد الاموي الجائر .

الفصل الثالث

الحائر والوجه في تسميته

اما السبب في تسميته بالحائر ، فان ما يستدل من ظاهر القرائن بأن هذا الاسم في القديم كان يطلق عادة على كل بناءٍ عام لغرض الايواء أو الاجتماع أو كلاهما معاً . وقد عدّ المؤرخون والجغرافيون اماكن كثيرة بهذا الاسم كما سبق وباسم الحَير احياناً كما أشار إليه الطبري بأن بختنصر الملك الكلداني كان قد أسس بالحيرة « حَيراً » على نحو سوق محلي لتجار العرب الموجودين في بلاده .

ولما شيّدوا البناء على المرقد الشريف واحاطوه بسورٍ من اطرافه أطلقوا عليه إسم الحائر ، لأنه لم يتسن ان يسمى باسم آخر . إذ انه لم يكن بمسجدٍ ـ حسب الموازين ـ ليسمى مسجداً ، ولا بجامع ليسمى جامعاً. فكان من الطبيعي ان ينحصر الأمر في تسميةٍ تناسب الوضع إذ ذاك ، فسمي بهذا الاسم الذي يرجع عهده كما اسلفنا إلى بعد الوقعة لا إلى قبلها.

ولعله كان من المألوف إطلاق مثل هذا الاسم على هذا النوع من البناء في ذلك العصر . أو لعلهم باطلاق مثل هذا الاسم المتواضع البسيط على قبر الحسين عليه السلام ارادوا التكتم والتستر به كي لا يثيروا الشبهة حوله فتتحرك ضغينة الامويين ونقمتهم العمياء على الزائرين

فيصبحوا مورد الاضطهاد والمعاقبة الشديدة من ناحية الامويين في ذلك الدور الارهابي العظيم من تاريخ الاسلام .

وهـذا البناء بهذا الشكل وبهذه الكيفية هو الذي - على ما يستنتج من البحث والتمحيص - سمي بالحائر في أول عهده . ولا نظننا نبتعد عن الواقع بهذا التعليل ، بل نظن أننا قد اقتربنا به إلى الحقيقة . لأنه على قول « لسان العرب » يقال : « لهذه الدار حائر واسع » ، والحائر الواقع في هذا المورد ليس حسب الظاهر إلا ما يدور حول الدار وهو السور الذي يحيط بها من أطرافها . وبهذا التقريب يتفق مدلول الحائر مع تعبير أهل اللغة بأنه : « الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف » . وللاماكن المسورة مثل هذه الصفة أيضاً وسطها مستوٍ وأطرافها مرتفعة بحيث لا يجد الماء له من مخرج إن أطلق فيها لانسداد جوانبه . فأصبح الاسم بهذا الاعتبار مصطلحاً فنياً معمارياً في ذلك العصر لكل بناءٍ به سور من أطرافه يحير فيه الماء بالاصطلاح الفني . ولذلك فلم يسم قبر الحسين عليه السلام بالحائر إلا بعد أن أحيط بسورٍ من كل جانب حسب الظاهر .

فالحائر إذن ، في عرف ذلك العصر هو السور الذي كان يحيط بالقبر المطهّر حريماً له وصوناً للمشهد من الطوارئ كما بينا . ولربما يكون أيضاً بمثابة مأوى وملجأ للمنقطعين من الزوار يأوون في داخله كما جرت عليه العادة فيما بعد وإلى الآن في هندسة العتبات المقدسة في العراق وفي ايران بتزويد أسوارها الخارجية بحجرات في أطرافها من الداخل لمثل هذه الغاية .

وقد يجد هذا التعليل لاسم الحائر مصداقه في أقوال رجال الدين منه قول ابن إدريس في كتاب « السرائر » بأن الحائر هو « ما دار سور المشهد والمسجد عليه » . ثم قضى الاستعمال بصورة تدريجية أن يطلق إسم الحائر على السور ومايتضمنه السور في داخله على سبيل إطلاق إسم الظرف على المظروف فعرف الكل بالحائر كما يفهم ذلك من أقوال المتأخرين مثل الطريحي في « المجمع » بأن الحائر « ويراد به حائر الحسين عليه السلام وهو ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرّفه السلام » .

ولذلك ما كان يرد إسم الحائر - كما قلنا - إلا في البعض من الروايات الواردة عن الصادق عليه السلام لا في كلها وذلك بصورة الاجمال والايجاز في جمل صغيرة مثل : « وكلما دخلت الحائر فسلّم » أو : « كما قلت حين دخلت الحائر » التي وردت في رواية سعدان بن مسلم الكوفي من ثقاة الأصحاب[١] . أو مثل: « فاذا أتيت باب الحائر » في رواية أبي الصامت[٢] . أو في مثل الجمل الواردة منها في رواية أبي حمزة الثمالي : « ثم ادخل الحائر وقل حين تدخل [٣] ... ثم إمش وقصّر خطاك حتى تستقبل القبر[٤] ... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومئ إليهم أجمعين وتقول[٥] ... ثم در في الحائر وأنت تقول[٦] ... » .

وهذه الفقرة الأخيرة من رواية أبي حمزة الثمالي في آداب زيارة الحسين عليه السلام بأن على الزائر من بعد طوافه وزيارته للقبر المطهر تحت

---

(١) كامل الزيارة ص ٢١٩ . (٢) المصدر نفسه ص ٢٢١ . (٣) المصدر نفسه ص ٢٢٩ . (٤) المصدر نفسه ص ٢٣٠ . (٥) المصدر نفسه ص ٢٤٢ . (٦) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

السقيفة أن يخرج من السقيفة ويقف بحذاء قبور الشهداء في خارج السقيفة ويومئ إليهم أجمعين وهو يقول . ثم يدور بعد ذلك في الحائر ويقول كذا وكذا من الدعاء فان هذه الفقرة تؤيد ما ذهبنا إليه بأن الحائر هو ما كان يحيط بسقيفة قبر الحسين وبقبور الشهداء من جدار أو سور كان بمسافة عن المشهد ويدور حوله من جوانبه وأطرافه بحيث يتمكن الزائر من أن يدور في الحائر حول المشهد الشريف على وضع الرواق أو الصحن بالنسبة إلى الحرم المقدّس في هذا اليوم .

وقد جرت العادة في هذا العصر أن يسمى البناء في مجموعه بـ « صحن الحسين » أو « حرم الحسين » تارةً ، و « جامع الحسين » أو « مسجد الحسين » تارة أخرى ، و « الروضة الحسينية » حيناً ، و « الحضرة الحسينية » حيناً آخر وهي تعابير مستحدثة وجدت على مر الأيام والعصور بالتدريج وما كانت معروفة في أول العهد ، ولذلك فانهم في القديم كانوا ينعتونه بـ « حائر الحسين » أو « الحائر الحسيني » فقط كما يدل عليه أقوال اللغويين والمؤرخين مثل قول « معجم البلدان » : « والحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه » أو مثل قول لسان العرب : « والحائر كربلاء » أو الصحاح : « ومنه الحير بكربلاء » إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة .

أما اليوم ، فبخلاف ما كان عليه في دور الجحود من العصر الأموي الغاشم فقد كثرت الأوصاف والأسماء التي يُنعت بها قبر الحسين عليه السلام بالتفخيم والاجلال بدل إسم الحائر المتواضع البسيط . فهو والمرافد المشرّفة

الأخرى لأئمة العرب الخالصين من آل هاشم بالنجف والكاظمية وسامراء يعبّرعنها في العرف والرسميات بكلمة « العتبات المقدسة » إظهاراً لما حازه أئمة الحق والهدى على مر الأيام من الاحترام والتقدير والحب العميق في قلوب المسلمين كافة .

وبقي إسم الحائر قروناً عديدة علماً لقبر سيد الشهداء ورد ذكره في كل قرن في كتب اللغة والتاريخ والحديث ، غير أنه أخذ شيئاً فشيء بالأفول والزوال التدريجي حتى أصبح لا ذكر له في الكتب إلا نادراً ، ولا شيوع له في الأفواه بتاتاً ، فأصبح اليوم في خبر كان وأخواتها ولكن لماذا ومتى كان انقراضه ؟ ولعل آخر مرحلةٍ من حياته هي ما ورد عنه في القرن الحادي عشر الهجري في « مجمع البحرين » للطريحي .

الفصل الرابع

الحائر والحير والتحقيق في اسم

الحير تاريخياً

وقد كانت كربلاء تسمى قديماً بـ « الحَير » كما سبق . والحير وإن كان مخفف الحائر على ما يذهب اليه أهل اللغة كالجرث والحارث ، والمخفف يؤدي عادة نفس المعنى الذي يؤديه المخفف عنه ويقوم كل واحد منهما بدل الآخر بدون فرق أو تمييز ، غير أن العرف وإستعمال التاريخ كأنهما خالفا القاعدة في هذا المورد لاختلاف ظاهر في مدلول اللفظين وكيفية

إطلاقهما ، فخصص كل واحد منهما لمعنى غير الآخر وإن تقارب مدلولهما في الأصل . لأن الحير أصبح في الاستعمال - حسب الظاهر - علماً لمدينة كربلاء نفسها ، بينما صار الحائر علماً لقبر الحسين عليه السلام ، كما يستفاد ذلك من إطلاق المؤرخين والجغرافيين لهما . فمن ذلك قول معجم البلدان : « الحائر قبر الحسين بن علي رضى الله عنه . وأنهم يقولون الحير بلا إضافة إذا عنوا كربلاء » . ومفاد هذا القول أن الحير بذاته علم لكربلاء نفسها دون الحاجة الى تعريفه بطريق الاضافة ، مما يدل بأن الحائر والحير وإن كانا من أصل واحـد وأحدهما مخفف الآخر إلا انهما ليسا بمترادفين في الاستعمال، وليس لهما مدلول واحد لأن الفرق بينهما في الدلالة كالفرق بين اسم كربلاء وبين إسم حرم الحسين في هذا اليوم ، فالعمل من يقصد كربلاء دون أن يكون قاصداً لحرم الحسين وبالعكس .

ولم تتصف كربلاء بالحير - على ما يظهر - إلا بعـد أن تمصرت وأصبحت مدينة تكوّنت فيها البيوت والأسواق ، والحوانيت والصرائف كما يمكن أن يستفاد هذا المعنى من كلمة الحير نفسها قياساً على ما أراد بهـا صاحب « معجم البلدان » من بناء الحير في قضية يختصر مع تجار العرب بأنه : « جمع من ظفر به من تجار العرب وبنى لهم حيراً على النجف وحصنه ثم جعلهم فيه » . وكما فسرت معنى الحير في هذا المورد « دائرة المعارف الاسلامية » الفرنسية بأن يختصر « بنى هناك لتجار العرب الموجودين في بلاده حيراً أي محلاً على نحو سوق محلي جمعهم فيه » .

فمعنى الحير إذن ، على هذا الوصف ، مفهوم العمران والسكان ،

ومعنى المدينة ذات الاسواق والتجمع . ويؤيد ذلك ما رواه صاحب معجم البلدان في وجه تسمية الحير بأن « تبعاً الأكبر لما قصد خراسان خلف خَيمة جنده بذلك الموضع وقال لهم : حيروا به أي أقيموا به » ففي معنى الحير الاقامة والسكنى وما يتبعها من حياة وحضارة وإستقرار .

وما أقربنا بهذا المدلول الاصطلاحي التاريخي لكلمة الحير من مؤداه اللغوي الذي يعطينا اللغويون بقولهم : « والحير بالفتح ، شبه الحضيرة ، والحمى ، والبستان ، ومنه الحير بكربلاء » [1] . وفي كل هذه المعاني اللغوية لكلمة الحير تتغلغل روح الحياة والعمران ، والحضارة والحركة . ففي « الحضيرة » منها مفهوم التجمع واجتماع الاقوام ، وفي « الحمى » منها مدلول ما يحتمى به ويدافع عنه في الملمات كالبيت والبلد والموطن ، وفي « البستان » منها مفهوم ارض أدير عليها جدار فيها الشجر والزرع على تعريف أهل اللغة ، ومثله بالطبع لا يخلو من أناس يسكنونه ويعيشون فيه . أما قولهم الأخير « ومنه الحير بكربلاء » أي من هذا النوع الحير الذي في كربلاء .

ومتى ما أطلق اسم « الحير » على كربلاء لابد وان كربلاء آنذاك كانت آهلة بالسكان وعامرة بالاسواق . فمبدأ عمران كربلاء قديماً بالتجارة والسكان والأهلين كمدينة يقترن - حسب الظاهر - بمبدأ اطلاق اسم الحير عليها . واذا ما أردنا أن نعرف مبدأ عمرانها الحقيقي ، وبدأ حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يجب أن نعرف على الاقل مبدأ اطلاق هذا الاسم عليها .

---

(١) راجع : « الصحاح » وغيره من المعاجم .

ولا نريد بقولنا هذا أن ننفي كل حياة أو حركة أو تجارة أو عمران لكربلاء قبل تسميتها بالحير ، وانما المراد أن كربلاء اتصفت بالحير حين أن تمصرت فاصبحت مدينة ذات شأن ، لأن في الاخبار والروايات ما يدل على انها تواً بزمن يسير من بعد الوقعة أصبحت محط الرحال ومحطة التجارة والقوافل نظراً لأهمية موقعها الديني ، وثانياً لوقوعها بين المناطق الغنية بالحاصلات والمنتوجات الزراعية ، ولما نالته سريعاً من الشهرة الواسعة ومن إقبال الناس على زيارتها من كل حدبٍ وصوب . ومما جاء عن الحركة التجارية فيها بقليل من بعد وقعة الطف ما رواه سبط ابن الجوزي عن السُدى بأنه قال :

« نزلت بكربلاء ومعي طعام للتجارة . فنزلنا على رجلٍ فتعشينا عنده ، وتذاكرنا قتل الحسين عليه السلام ، وقلنا ما شرك أحدٌ في دم الحسين إلا ومات أقبح موتة . فقال الرجل : ما أكذبكم ، أنا شركت في دمه ، وكنت فيمن قتله وما أصابني شيء . فلما كان آخر الليل إذا بصياح ، قلنا ما الخبر ؟ قالوا قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبعه ثم دب الحريق في جسده فاحترق . قال السُدي : فانا والله رأيته كأنه حممة »[1] .

وهذا الخبر صريحٌ في أن كربلاء من بعد وقعة الطف صارت آهلة بالسكان والنفوس والبيوت ، وكانوا يتعاطون بالتجارة فيها ، كما وتدل أخبار أخرى على شخوص خلق كثير من أنحاء البلاد إلى كربلاء من

---

(١) راجع : « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٢٩٧ .

بعد الوقعة بقليل ، وأن القبر المطهر كان « ظاهراً عامراً يقصده الناس للزيارة وقضاء الحوائج ، ويظهر منه المعجز الباهر فيشهده الفاجر . وقد ورد في أصل نوادر علي بن أسباط وهو من أصحاب أبي عبدالله الصادق عليه السلام أن في العام الذي قتل فيه الحسين عليه السلام قصد قبره النساء العقم من أطراف البلاد حتى جاء الى قبره الشريف نحو مائة ألف امرأة فتخطين قبره الشريف فحملن كلهن وولدن » .(١)

ويظهر من هذه الأخبار أن بدأ العمران في كربلاء لم يتأخر بكثير عن حدوث الوقعة . ولكن متى ومن أي وقت صارت تعرف بالحير ؟ لعلها سميت بالحير من أول عهدها بالعمران فسمتها العامة بهذا الاسم بالنظر الى السور الموجود فيها ، ثم لازمها هذا الاسم حتى صار علماً لها في العصور الاولى من تاريخ الاسلام ، اذ نجد في أخبار الصادق عليه السلام اسم الحير في اوائل القرن الثاني من الهجرة ، وقد رأينا فيما سبق أن الطبري في حوادث سنة ١٩٣ يعبر عن كربلاء أيضاً بهذا الاسم في أواخر هذا القرن . ولكن لم يقدر له البقاء طويلاً على ما يظهر كما قدر لاسم الحائر فانقرض استعمال هذا الاسم وزال سريعاً مع الزمن اذ لم يعد له ذكر بعد القرن الثالث والرابع من الهجرة .

---

(١) راجع : « نزهة أهل الحرمين » ص ١٤ - وكتاب « خصائص الحسين » للشيخ جعفر التستري ص ١٦٠ طبع ايران ١٣٠٦ - و « بحار الأنوار » ج ١٠ ص ٢٤٤ .

البَابُ الثَالِثْ

الحائر وشؤونه العامة

١ ـ الحائر ووصفه في العصر الأول
٢ ـ الحائر ومكانته الدينية السامية
٣ ـ الحائر وأثره في العالم الاسلامي
٤ ـ الحائر ووضعه العام في العصر الأول
٥ ـ الحائر أرضه المباركة وتربته المقدسة
٦ ـ الحائر مراسم إتيانه وآداب زيارته
٧ ـ الحائر ومواسم زياراته
٨ ـ الحائر وأول من سكنه من الأشراف العلويين

الفَصْلُ الأوّل

الحائر ووصفه في العصر الاول

وكان الحائر في العصر الأول كما يتراءى للباحث الثاقب من خلال الاخبار والاحاديث هو بناء مربع الشكل يتراوح كل ضلع منه بين عشرين أو خمسة وعشرين متراً [1]، يستقر بناؤه على قاعدة مستوية ترتفع بعض الشيء عن سطح الأرض تبعاً للأصول المتبعة منذ القديم في هذا القسم الجنوبي من العراق خشية تسرب الرطوبة الى أسس البناء . وتعلو

(١) راجع الفصول السابقة في حدود الحائر ومساحته .

من جوانبه الجدران المرتفعة الهندسية الشكل، والمنظمة الهيئة، وهي مطلية من خارجها بالكلس الابيض الناصع، فيلمع للناظر عن بعيد كبيضة نعامة في وسط الصحراء. وفوق هذا البناء الجميل البسيط تستقر سقيفة تعلوها قبة هي أول قبةٍ من قباب الاسلام الخالدة التي خيّمت لأول مرة في الجانب الشرقي من الجزيرة العربية بين ضفة الفرات وحافة الصحراء في الاتجاه الشمالي.

وتخرج من وسط جدران الحائر ثغرتان، إحداهما نحو الجنوب وهي المدخل الرئيسي للحائر المقدس كما هو لحد اليوم، والاخرى من جهة الشرق وهي المدخل الذي يصل بين الحائر وبين المدينة إلى حيث مرقد أخيه العباس عليه السلام على مشرعة الفرات، وقد زين حول كل مدخل منهما بالخطوط والنقوش البارزة تحمل الآيات القرآنية العظيمة بالكتابة الكوفية القديمة، ولعل من بينها وبل في مقدمتها تلك الناطقة بفضل الشهادة وخلود الشهداء: ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون. لما لهذه الآية الكريمة من المناسبة الواقعية في مثل هذا المقام.

وقد ترك لنا الأقدمون في كتاباتهم لحسن الحظ بعض الشيء عن الحائر ووصفه في أوائل الربع الثاني من القرن الثاني من الهجرة مما يستطيع أن يصوّر الآن في أذهاننا بعض الفكرة عنه ولو عن بعد، ومن ذلك ما ورد بطرق عديدة عن الحسين إبن بنت أبي حمزة الثمالي من ثقاة الشيعة ورجالهم[1]، بقوله:

---

(١) أبو حمزة الثمالي هو في الرعيل الاول من ثقاة أعيان الطائفة وأركان حملة الحديث. خدم أربعة من الائمة الهداة وكفانا مؤنة التعريف له ما روي في تشريفه =

« خرجت في آخر زمن بني أمية وأنا أريد قبر الحسين عليه السلام، فانتهيت الى الغاضرية ، حتى إذا نام النـاس إغتسلت ، ثم أقبلت أريد القبر ، حتى إذا كنت على باب الحـائر خرج إليّ رجلٌ جميل الوجه ، طيّب الريح ، شديد بياض الثياب فقال : إنصرف فانك لا تصل .

فانصرفت الى شاطىء الفرات فآنست به ، حتى إذا كان نصف الليل اغتسلت ، ثم أقبلت أريد القبر ، فلما انتهيت الى باب الحائر خرج إليّ الرجل بعينه فقال :

يا هذا ، إنصرف فانك لا تصل .

فانصرفت . فلما كان آخر الليل إغتسلت ، ثم أقبلت أريد القبر ، فلما إنتهيت الى باب الحائر خرج إلي ذلك الرجل فقال :

يا هذا ، إنك لا تصل .

فقلت : فلِمَ لا أصل إلى ابن رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة ؟ وقـد جئت أمشي من الكوفة وهي ليلة الجمعة وأخاف أن أصبح هيهنا وتقتلني مسلحة [1] بني أمية . فقال : إنصرف فانك لا تصل .

فقلت : ولم لا أصل . فذكر السبب

فانصرفت ، وجئت الى شاطىء الفرات حتى إذا طلع الفجر اغتسلت

= عن الامامين الصادقين عليهما السلام من قولهما : أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه . وقد توفي أبو حمزة في سنة ١٥٠ هـ .

(١) المسلحة جمعها المسالح أي محل السلاح وهي المخافر القائمة في العهد الأموي على حدود كربلاء لمنع الزوار من الوصول اليهـا ومعاقبتهم باشد العقوبات حتى القتل .

وجئت ، فدخلت فلم أرَ عنده أحد . فصلّيت عنده الفجر ، وخرجت الى الكوفة »[1].

ويستفاد من هذا الخبر كما يستفاد من غيره من الأخبار التي سيأتي بيانها بأن الحائر المقدس في الربع الأول من القرن الثاني من الهجرة وربما في القرن الأول أيضاً ، كان ظاهراً ، عامراً ومعروفا يأتيه الزائرون من كل حدب وصوب ، وكان عليه بناء وسقيفة ، وقبة ومسجد[2]، وعلى مقربة منه سدرة عالية هي التي قطعها الرشيد في أواخر ايام حياته في عام ١٩٣ بعد أن هدم القبر المطهر وكرب موضعه ليغير بذلك مصرع الحسين عليه السلام حتى لا يقف الناس على قبره . وكان للحائر المقدس كما يظهر من ذلك نظام يقوم بتنظيمه وخدمته القوّامة والسدنة ولا يدخله أحد إلا عن إذنهم . وكان السدنة في غاية النظافة تفوح منهم الروائح الطيبة مرتدين الملابس البيض للقيام بالخدمة . وكان الزائرون يتهافتون عليه ويتوافدون من الاماكن القريبة والنائية الى زيارة القبر المطهر وبعضهم يقطعون الطريق مشياً على الأقدام وسعياً على الرأس لاسيما في ليالي الجمعة كما يتبين من الخبر المتقدم الذكر . وخوفا من المسالح القائمة على حدود كربلاء في العهد الاموي الجائر لمنع الزوار من الوصول اليها ومعاقبتهم بالعقوبات الشديدة

---

(١) راجع : ١ ـ « كامل الزيارة » لابن قولويه ص ١١١ ـ ١١٢ . ٢ ـ كتاب « الاقبال » لابن طاوس ، ص ٥٦٨ طبع ايران ١٣١٢ . ٣ ـ « بحار الانوار » ج ١٠ ص ٣٠٠ . ٤ ـ « نزهة أهل الحرمين » ص ١٤ ـ ١٥ طبع الهند ١٣٥٤ . ٥ ـ « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٣ .

(٢) راجع : ١ ـ « نزهة الحرمين » ص ١٥ . ٢ ـ « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٤ .

حتى القتل[١]، كان الزائرون من جانبهم يتخذون الغاضرية ملجأ ومحطاً لرحالهم لقربها من كربلاء، وكان الائمة ولاسيما الصادق عليه السلام يحثون شيعتهم على الاكثار من الزيارة للحائر المقدس ويأمرونهم باتخاذ المقام بنينوى أو الغاضرية إذ يستدل ذلك مما رواه أبو حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام بأنه قال: « اذا أردت الوداع بعد فراغك من الزيارات فاكثر منها ما استطعت، وليكن مقامك بنينوى أو الغاضرية. ومتى أردت الزيارة فاغتسل وزر زورة الوداع »[٢].

فمن الغاضرية أو نينوى بعد الغسل وفي جنح الظلام وستر الليل كان الزائرون يلجون أفراد أو جماعات الى داخل الحائر لزيارة القبر المطهر، ثم ينصرفون قبل طلوع الشمس خوفا من مسالح الامويين.

ويظهر أيضا ان شاطىء الفرات في هذا العهد كان على مقربة من الحائر بأقرب ما هو عليه الآن[٣] وله وضع جميل ومنظر بديع كان يأنس به الانسان.

وهذا هو الحائر خلف ستار الماضي السحيق على ما يتراءى منظره عن بعد في مستهل القرن الثاني من الهجرة أي بار بعين سنة تقريبا من بعد الوقعة.

---

(١) راجع: « كامل الزيارة » لابن قولويه بهامش صحيفة ٢٦١ عما ورد في الصفحة ١٧٦ منه عن زيارة الحسين اللابتي الكوفي من ثقاة الشيعة لقبر الحسين عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣) راجع أواخر حديث أبي حمزة الثمالي ويتبين منه ان قبر العباس كان يقع على شط الفرات حيث دفن على مسنانه راجعه في « نزهة أهل الحرمين » ص ١٦ و « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٤.

الفصل الثاني
الحائر ومكانته الدينية السامية

كان الأئمة الاطهار ومن ورائهم الشيعة في كل عصر يعلقون أهمية كبيرة على الحائر المقدس وزيارته ، فكانوا يحثون الناس ويشجعونهم على الزيارة ولو مرة واحدة في الحياة لما يعدّون لهذه الزيارة من المثوبة والأجر الجزيل عند الله . فقد وردت في ذلك روايات كثيرة عن الأئمة وأظهر تلك الروايات ما ورد عن السجاد والباقر والصادق والهادي عليهم السلام .

فمن ذلك ما ورد في فضيلة كربلاء وقدسيتها عن السجاد علي بن الحسين عليهما السلام إنه قال . اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركا قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً ، إلى آخر الحديث[1] .

ومثل ذلك ما ورد عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام : خلق الله تبارك وتعالى أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام ، وقدّسها وبارك عليها . فما زالت قبل خلق الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرضٍ في الجنة ، وأفضل منزلٍ ومسكن يسكن الله فيه أولياءه في الجنة[2] .

وهذا التقديس العظيم لكربلاء متأتٍ من أن بها مصرع الحسين ومدفنه كما ورد فيه عن الصادق عليه السلام أنه قال :

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » لابن قولويه ص ٢٦٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٠ .

« إن الله اتخذ بفضل قبره[1] كربلاء حرماً آمناً مباركا قبل أن يتخذ مكة حرماً »[2] .

فان مصرع الحسين عليه السلام ومدفنه في هذه الارض هو الذي منحها هذا الشرف العظيم في الاسلام ، وفضلها على بقية بقاع الارض كما نطقت به روايات أخرى ومن ذلك ما ورد في هذا التفضيل عن الصادق عليه السلام أنه قال :

« إن الله تباوك وتعالى فضل الأرضين والمياه بعضها على بعض ، فمنها ما تفاخرت ، ومنها ما بغت ، فما من ماءٍ ولا أرضٍ إلا عوقبت لتركها التواضع لله حتى سلط الله المشركين على الكعبة ، وأرسل إلى زمزم ماءً مالحاً حتى أفسد طعمه . وأن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرضٍ وأول ماءٍ[3] قدّس الله تبارك وتعالى ، فبارك الله عليها فقال لها تكلمي بما فضّلك الله فقد تفاخرت الارضون والمياه بعضها على بعض ، قالت : أنا أرض الله المقدسة المباركة ، الشفاء في تربتي وماءي ولا فخر ، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ولا فخر على من دوني بل شكراً لله . فأكرمها الله

---

(١) أي قبر الحسين عليه السلام .

(٢) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٦٧ .

(٣) وقد ذكر ياقوت في « معجم البلدان » في لفظة « الفرات » رواية عن الصادق (ع) في فضل ماء الفرات قال فيه : « وروي أن أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق شرب من ماء الفرات ثم استزاد واستزاد ، فحمد الله وقال : نهر ما أعظم بركته ! ولو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافته القباب . ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتسل فيه ذو عاهة الا برأ » . وقال صاحب المعجم ايضاً قبل ايراده الرواية المتقدمة : والفرات في أصل كلام العرب أعذب المياه . قال عز وجل : « هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج » .

وزادها لتواضعها وشكرها لله بالحسين عليه السلام وأصحابه . ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبّر وضعه الله تعالى »[١] .

ومثل هذه الروايات عن قدسية كربلاء وأفضليتها لكثيرة[٢] حتى وأن البعض منها جاءت معبّرة عنها بـ « قبة الاسلام » وذلك في رواية الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يُقبر ابني بأرضٍ يقال لها كربلاء هي البقعة التي كانت فيها قبة الاسلام التي نجّا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان »[٣] .

وكان الأئمة الاطهار يحثون الناس ويؤكدون على الشيعة زيارتها فكان الباقر عليه السلام يذكر فضيلة الغاضرية ويريد منها كربلاء ، ثم يؤكد عليهم وجوب زيارتها بقوله : « فزوروا قبورنا بالغاضرية »[٤] .

ومثله ابنه الصادق عليه السلام فكان يقول لشيعته :

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٧١ .

(٢) والعجب من الدكتور مصطفى جواد فقد أنكر أن تكون كربلاء أقدس المدن عند الشيعة اذ كان المستر لونكريك قد كتب في الصفحة ٢٣٢ من كتابه « أربعة قرون من تاريخ العراق » بهذا المعنى ما نصه : « حتى اذا وافت أخبار هجوم الوهابيين على كربلاء ونهبهم اياها وهي أقدس المدن الشيعية وأغناها » فأنكر الدكتور المزبور على المؤلف الانكليزي قوله هذا ورد عليه في هامش رقم (١) من نفس الصفحة بما نصه : « قول المؤلف (أقدس المدن الشيعية) فيه نظر لأن البلد الأقدس هو النجف الأشرف كما هو معلوم - م . ج - » .

(٣) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٦٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٩ .

« زوروا كربلاء ولا تقطعوها ، فان خير أولاد الانبياء ضمنته ، ألا وأن الملائكة زارت كربلاء ألف عام من قبل أن يسكنها جدي الحسين عليه السلام . وما من ليلة تمضي إلا وجبرائيل وميكائيل يزورانه . فاجتهد يا يحيى - ويحيى من رُوي عنه هذا الخبر - أن لا تفقد من ذلك الموطن » (١) .

فبمثل هذه الروايات الصادرة عن أهل بيت النبوة كانت تتأيد في النفوس أفضلية كربلاء وقدسيتها فيندفع الزائرون في موجاتٍ عظيمة منذ العصر الاول إلى زيارتها بغية كسب الأجر والثواب في الدارين .

فان ما كان يصدر من ناحية الائمة بهذا الصدد لم يكن مجرد إعلانٍ عن أمر ، أو محض دعايةٍ لقضية ، وإنما كانت قضية حقيقةٍ وعقيدةٍ ثابتة ، وقضية اسلام وايمان راسخ ، لأن عمل الائمة أنفسهم أيضاً كان على ذلك مما يدل على أن الرواية كانت منبعثة عن عقيدةٍ واقعية راسخة ، وبعيدة كل البعد عن الشوائب النفسانية والانانيات البشرية ، فمن ذلك ما ورد بالطرق المتعددة مرفوعا إلى أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي عليه السلام وهو في مرضه فقد روى أبو هاشم الجعفري قال :

« بعث إلي أبو الحسن عليه السلام في مرضه وإلى محمد بن حمزة . فسبقني إليه محمد بن حمزة فأخبرني أنه ما زال يقول : إبعثوا إلى الحائر .

فقلت لمحمد : ألا قلت أنا أذهب إلى الحائر ؟ ثم دخلت عليه فقلت له : جُعلت فداك ، أنا أذهب إلى الحائر . فقال انظروا في ذلك ،

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٩ .

ثم قال : إن محمداً ليس له سرٌّ من زيد بن علي وأنا أكره أن يسمع ذلك ، قال فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال : ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر ؟ فقدمت العسكر[1] فدخلت عليه فقال لي اجلس حين أردت القيام ، فلما رأيته أنس بي ذكرت قول علي بن بلال فقالي لي : ألا قلت له أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر وحرمة النبي (ص) والمؤمن أعظم من حرمة البيت ، وأمره الله أن يقف بعرفة إنما هي مواطن يحب الله ان يُذكر فيها . فأنا أحب ان يُدعى لي حيث يحب الله ان يُدعى فيها والحائر من تلك المواضع »[2] .

وفي نقل آخر عنه قال : « دخلت أنا ومحمد بن حمزة على أبي الحسن عليه السلام نعوده وهو عليل ، فقال لنا : وجهوا قوماً إلى الحائر من مالي . فلما خرجنا من عنده قال لي محمد بن حمزة المشير : يوجهنا إلى الحائر وهو بمنزلة من في الحائر ؟ قال فعدت إليه فأخبرته فقال لي : ليس هو هكذا ، إن لله مواضع يحب ان يُعبد فيها وحائر الحسين عليه السلام من تلك المواضع »[3] .

وزيادة على ما ورد في الخبرين السابقين فقد قال أبو جعفر الهاشمي : « دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وهو محموم عليل ، فقالي لي : يا أبا هاشم ابعث رجلاً من موالينا إلى الحائر يدعو الله لي . فخرجت من عنده فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال لي وسألته ان

---

(١) أي سامراء . (٢) كامل الزيارة ص ٢٧٣ ، ومزار البحار ص ١٤١ .
(٣) كامل الزيارة ص ٢٧٣ ، ومزار البحار ص ١٤١ .

يكون الرجل الذي يخرج ، فقال السمع والطاعة ولكنني أقول إنه أفضل من الحائر إذ كان بمنزلة من في الحائر ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له بالحائر . فأعلمته عليه السلام ما قال . فقال لي : قل له كان رسول الله (ص) أفضل من البيت والحجر وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر ، وإن لله تعالى بقاعا يحب ان يُدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحائر منها »[1] .

فيظهر من كل ذلك ما كان يعلقه الائمة من الأهمية العظيمة على الحائر وإنه افضل واشرف بقعة من بقاع العالم حيث يحب الله تعالى ان يعبد ويُدعى فيه ، وانه يستجيب لمن دعاه في الحائر . وكان عمل الائمة انفسهم على ذلك ايضاً .

الفصل الثالث

الحائر وأثره في العالم الاسلامي

إن قتل الحسين عليه السلام ودفنه في كربلاء تلك البقعة المقدسة جاء مغايراً لمرامي الحزب الاموي في قلب الاسلام[2] . فقد اصبح

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٧٤ ، ومزار البحار ص ١٤١ .

(٢) من أعمال بني أمية الكثيرة ومحاولاتهم لقلب الاسلام استنصار أبي سفيان وشعوره الروم ضد المسلمين يوم اليرموك فقد رآه عبدالله بن الزبير اذا كانت الروم ظهرت على المسلمين قال أبو سفيان : « ايه بني الأصفر » فاذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان : وبنو أصفر الملوك ملوك الروم لم يبق منهم مذكور (النزاع والتخاصم المقريزي ص ٢٩) . ثم دعوته للاموية واستهتاره بالمبادىء الاسلامية علناً يوم تولى عثمان ودخل عثمان داره فدخل عليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ثم اغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا لا . قال يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من =

الحائر بعد الحجاز مركزاً دينياً جديداً في قلب الامبراطورية الاسلامية الجديدة جاثياً ما بين ضفة الفرات وحافة الصحراء على مفترق الطرق من العالم القديم ليمدّ انوار النبوة المشعة من المدينة المنورة إلى بقية اقطار العالم من بلاد الهلال الخصيب وايران والهند وقفقازيا وتركستان والصين وغيرها ، ويجعل كربلاء وبيت الله الحرام في مصاف واحد ليدركها من لم يستطع ان يدرك ذاك من المسلمين الحقيقيين المتمسكين بتعاليم نبيهم العظيم ودينهم القويم .

وقد خطى الحائر بعد لأيٍ في مستهل القرن الثالث من الهجرة بخطوة أوسع من ذي قبل في الاتجاه الشرقي نحو اقطار الشرق الأقصى فحتى حرم الرضا عليه السلام على ابواب الهند في خراسان ليبعث بهذا النور في الاتجاهات المختلفة الاخرى من مصدره المدينة وكربلاء . فضربت هاشم قبابها الذهبية العالية في انحاء العالم المعمور في الحجاز وعلى ضفة الفرات ودجلة والنيل [1] ، والبحر الابيض المتوسط [2] ، وعلى ضفاف

= عذاب ولاحساب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة فانهره عثمان وساءه بما قال وأمر باخراجه (شرح النهج ٢ / ٤٠٠) . ثم ولما أفضى الأمر الى عثمان بن عفان أتى أبو سفيان قبر حمزة فركله برجله ثم قال : يا حمزة ان الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من بني تيم وعدي (النزاع والتخاصم ص٥٧) وان رسول الله (ص) لعن أبا سفيان في سبعة مواطن وآخرها يوم العقبة ليستنفروا برسول الله ناقته وكانوا اثني عشر رجلا منهم أبو سفيان (شرح النهج ج ٢ ص ١٠٢) ★ وأما أعمال بقية الأمويين فهي أظهر من الشمس ولا مجال للاطالة فيها .

(١) العتبات المقدسة في العراق وجامع رأس الحسين عليه السلام بالقاهرة .

(٢) وجامع رأس الحسين في عسقلان .

نهر بردى في الشام [١] ، وفي خراسان إلى الهند [٢] ، وإلى الصين [٣] . وبقيت أمية الطاغية مطمورة مخذولة ، وملعونة منكودة . ومع ان هذا الحزب قد توارى نهائياً غير ان آثاره بقيت مقتفية ، ومبادئه قائمة إلى يومنا هذا .

ولعل في ما تقدم سر بعض ما جاء في الرواية التالية وهي رواية قدامة بن زائدة المشهورة عن السجاد علي بن الحسين عليه السلام نذكرها بتمام سندها الطويل فيما يلي :

روى أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عياش قال حدثني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال حدثني أبو عيسى عبيدالله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري (ره) قال حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد قال حدثنا محمد بن سلام بن يسار (أو سيار) الكوفي قال حدثني احمد بن محمد الواسطي قال حدثني عيسى بن أبي شيبة القاضي قال حدثني نوح بن دراج قال حدثني قدامة بن زائدة عن أبيه قال :

« قال علي بن الحسين عليه السلام : بلغني يا زائدة إنك تزور قبر

---

(١) قبر الست زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهما السلام خارج دمشق . ومقابر السيدة سكينة والسيدة فاطمة الصغرى بنات الحسين (ع) ، والسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (ع) ، ومقام رؤوس شهداء كربلاء الستة عشر ، وجميعها في تربة باب الصغير بالشام . وكذلك قبر السيدة رقية بنت الحسين (ع) في وسط الشام قرب السوق الكبير .

(٢) قبر الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) بطوس . وفي الهند « امام بارات » وهي اماكن مصورة لحرم الحسين ومرقده يزورونها هناك .

(٣) وفي شمال الصين قبور لأئمة الشيعة وملوكهم من العلويين وقد جاء وصفها في كتاب « الشيعة وفتحها الدول الفسطورية في آسيا الوسطى » تأليف المستشرق الانكليزي (ا . بلوشة) وتعريب مؤلف هذا الكتاب ولم يطبع بعد .

أبي عبدالله الحسين عليه السلام أحيانا . فقلت : ان ذلك لكما بلغك . فقال لي : فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل احداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الامة من حقنا .

فقلت : والله ما أريد بذلك الا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من سخط ، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه . فقال : والله ان ذلك لكذلك فقلت: والله ان ذلك لكذلك ، يقولها ثلاثا واقولها ثلاثا فقال: ابشر ثم ابشر ثم ابشر ، فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون فانه لما اصابنا بالطف ما اصابنا وقتل ابي عليه السلام ، وقتل من كان معه من ولده واخوته وسائر اهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت انظر اليهم صرعى ولم يواروا . فعظم ذلك في صدري ، واشتد لما ارى منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام فقالت : مالي اراك تجود بنفسك يا بقية جدي وابي واخوتي ؟ فقلت : وكيف لا اجزع واهلع وقد ارى سيدي واخوتي وعمومتي وولد عمي واهلي مصرعين بدمائهم ، مرملين بالعرى ، مسلبين لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم احد ، ولا يقربهم بشر ، كأنهم اهل بيت من الديلم والخزر ؟

فقالت : لا يجزعنك ما ترى ، فوالله ان ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله الى جدك وابيك وعمك ولقد اخذ الله ميثاق اناس من هذه الامة لا تعرفهم فراعنة هذه الارض ، وهم معروفون في اهل السموات انهم يجمعون هذه الاعضاء المتفرقة وهذه الجسوم المضرجة فيوارونها ،

وينصبون بهذا الطف علما لقبر ابيك سيد الشهداء لا يدرس اثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والايام . وليجتهدن ائمة الكفر واشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد اثره الا ظهوراً وامره الا علواً . فقلت : وما هذا العهد وما هذا الخبر ؟

فقالت : نعم ، حدثتني ام ايمن ان رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الايام فعملت له حريرة ، واتاه عليّ عليه السلام بطبق فيه تمر . ثم قالت ام ايمن فأتيتهم بعُسّ [1] فيه لبن وزبد. فأكل رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله (ص) وشربوا من ذلك اللبن ، ثم اكل واكلوا من ذلك التمر والزبد ، ثم غسل رسول الله (ص) يده وعليّ يصب عليه الماء . فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ، ثم نظر الى علي وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه ، ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً ، ثم انه وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ، ثم خرّ ساجداً وهو ينشج [2] . فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه ، ثم رفع راسه واطرق الى الارض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر . فحزنت فاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام ، وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله (ص) وهبناه ان نسئله حتى اذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة : مايبكيك يارسول الله ؟ لا ابكى الله عينيك فقد اقرح قلوبنا ما نرى من حالك . فقال يا

---

(١) العس ، بالضم والسين المشددة القدح الكبير .

(٢) نشج الباكى نشيجاً ، أي غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .

اخي سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط ، واني لأنظر اليكم واحمد الله على نعمته عليّ فيكم اذ هبط عليّ جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك ، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة وهنأك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم يحبون كما تحبى[1]، ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ، ومكاره تصيبهم بأيدي اناس ينتحلون ملّتك ويزعمون انهم من امتك ، براء من الله ومنك خبطا خبطا[2]، وقتلاً قتلا . شتى مصارعهم ، نائية قبورهم ، خيرة من الله لهم ولك فيهم ؛ فاحمد الله عز وجل على خيرته وارض بقضائه . فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم .

ثم قال لي جبرئيل : يا محمد ، إن اخاك مضطهدٌ بعدك مغلوب على أمتك ، متعوبٌ من اعدائك ثم مقتولٌ بعدك يقتله أشرّ الخلق والخليقة ، وأشقى البرية يكون نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته وهو مغرس شيعته وشيعة ولده ، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ، ويعظم مصابهم . وان سبطك هذا واوماً بيده إلى الحسين مقتولٌ في عصابة من ذريتك واهل بيتك واخيار من امتك بضفة الفرات بأرض يقال لها كربلاء من اجلها يكثر الكرب والبلاء على اعدائك واعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته . وهي اطيب بقاع الارض واعظمها حرمة يقتل فيها سبطك وأهله ، وانها من بطحاء الجنة . فاذا كان ذلك

---

(١) الحبأ وهو العطاء بلا من ولا جزاء (٢) خبط خبطاً ضرب ضرباً شديداً .

اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الارض من أقطارها ، ومادت الجبال وكثر اضطرابها ، واصطفقت[1] البحار بأمواجها ، وماجت السموات بأهلها غضباً لك يا محمد ولذريتك ، واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك ، ولشرّ ما تكافئ به في ذريتك وعترتك ، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك ...

ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقولٍ ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم ، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز ، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة ، ويصلون عليه ، ويطوفون عليه ، ويسبحون الله عنده ، ويستغفرون الله لمن زاره ، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمنك متقرباً إلى الله تعالى وإليك بذلك .

وسيجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ، ويمحوا أثره ، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلا .

ثم قال رسول الله (ص) : فهذا أبكاني وأحزنني . قالت زينب : فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيت عليه أثر الموت منه ، قلت له : يا أبة حدثني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك . فقال : يا بنية ، الحديث كما حدثتك أم أيمن وكأني بكِ وبنساء أهلك

---

(١) اصطفقت الأشجار اضطربت واهتزت .

سبايا بهذا البلد ، أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبراً صبراً ، فوالذي فلق الحبة ، وبرء النسمة ما لله على ظهر الارض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم . ولقد قال لنا رسول الله (ص) حين أخبرنا بهذا الحديث إن إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحا فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته فيقول : يا معاشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة ، وبلغنا في هلاكهم الغاية ، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم ، وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم ، ولا ينجو منهم ناج . ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب إنه لا ينفع مع عداوتكم عملٌ صالح ، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر .

قال زائدة : قال علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث خذه إليك ما لو ضربت في طلبه أباط الابل حولاً لكان قليلاً »[1] .

ويظهر من قول السجاد لزائدة في مقدمة هذا الحديث وذلك « مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا » أن زائدة هذا كان من الموظفين الكبار أو المقربين في الدولة الأموية وكان في عين الوقت من الشيعة المخلصين والرواة الموثقين . وهو زائدة بن قدامة الثقفي ، وقد عدّه الشيخ الطوسي (ره) في رجاله من أصحاب الباقر عليه السلام .

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٦٠ - ٢٦٦ و ٥٨ ، و « البحار » ج ١٠ ص ٢٣٨ .

وجاء عن ابنه قدامة بن زائدة في كتاب « منتهى المقال ، في أحوال الرجال » لأبي علي بن اسمعيل (ص ٢٤٦ طبع ايران ١٢٩٩) أن « قدامة بن زائدة الثقفي أسند عنه ق » أي أنه من أصحاب الصادق . وجاء في ترجمته أيضاً في كتاب « تنقيح المقال » ما نصه : « وروى ابن قولويه في الكامل عن قدامة بن زائدة عن أبيه زائدة مسنداً عن علي بن الحسين عليه السلام حديثاً يتضمن ما يؤول إليه أمرهم بعد ما أصابهم بالطف مما أصابهم . والحديث متنه يدل على صحته كما تدل روايته على جلالة رواته وكمال إيمانهم ، إلا أنه ليس في الحديث وصف قدامة بالثقفي ، لكن الظاهر أنه هذا فانه ليس في رواتنا قدامة بن زائدة سواه »[1] .

الفصل الرابع

الحائر ووضعه العام في العصر الاول

كانت ترتسم على حدود كربلاء وأطرافها الحصون والمخافر أو المسالح المدججة بالعتاد والسلاح والرجال في العهد الأموي لمنع الزائرين من الوصول اليها ، وكان المخالف يعرض نفسه في الغالب الى انواع العذاب وحتى عقوبة الموت والقتل . وكانت المراقبة شديدة ، إذ كانت المسالح تراقب حركة المرور والسير في أطراف الحائر بشدة متناهية ، فقل من كان يستطيع من الزوار أو القادمين أن يفلت منها إلا بطرق غير اعتيادية

---

(١) راجع : « تنقيح المقال » للمامقاني ج ٢ باب القاف ص ٢٨ طبع النجف ١٣٥٠ .

من الغاضرية ونينوى كما سنرى فيما بعد . وهذا الخوف الشديد من المسالح القائمة على الحدود كان مانعاً قوياً من الوصول الى الحائر في تلك العصور الغابرة .

وسبب المنع هذا كان أمراً طبيعياً ، لأن توجه النفوس وتهافت الناس على زيارة قبر ريحانة الرسول كان يغاير سياسة الدولة الأموية كل المغايرة حتى وانه كان يهدد كيان هذه الدولة التي إرتكبت بالأمس جريمة محاربته وقتله فكيف بها اليوم أن تسمح وتتساهل مع الناس في أمر زيارة قبره ؟ لأن ذلك كان يؤل بالطبع الى ثبوت أحد الأمرين : أحقية هذا الشهيد او أحقيتهم ، فكانوا يتجنبون المغامرة في أمر يكون فيه سقوط ملكهم وفضيحتهم ، ولذلك فانهم كانوا يمنعون الزيارة ويشددون على الناس كل التشديد بأنواع العقوبات المختلفة على يد تلك المسالح القائمة في أطراف البقعة لهذا الغرض .

وبالرغم مما كان يناله الناس من الأذى والعذاب والتنكيل أو القتل والموت في هذا السبيل لم ينقطع مع ذلك حبل إتصالهم بالحائر المقدس فكانوا يأتونه أفراداً وجماعات في الليل وتحت جنح الظلام يزورون ثم يرجعون الى أماكنهم قبل طلوع الشمس كما مر معنا في حديث الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي في الفصل الاول من هذا الباب ، وبقي هذا الوضع سائداً اكثر من سبعين سنة على ما يظهر أي من بعد الوقعة بقليل إلى إنقراض الأمويين في عام ١٣٢ من الهجرة لأن الاحاديث الواردة تنطق كلها بهذا المعنى كما سنرى .

ويظهر لنا الحائر في هذا العهد قائماً في وسط هذه البقعة تحيط بها المسالح الأموية في دائرة من كل جانب وهي تراقب الحائر بعين يقظة عن بعد . وعندما يسدل الليل ستاره ترى أشباحاً متحركة قد انتشرت في هذه البقعة من كل جانب هي أشباح الزائرين يأتون الى الزيارة أفراداً وجماعات من الاماكن القريبة والبعيدة من الغاضرية ونينوى والقرى المجاورة ، ومن الكوفة وغيرها . وتجد الحائر في كل ليلة لاسيما ليالي الجمعة قد إكتظ بالوافدين فتجدهم بين باكٍ وناع ، وبين ساجدٍ وراكع ، وبين مُقبل ومودع دموعهم جارية والعبرات تخنقهم وهم مغتبطون على ما كتب الله لهم من الثواب العظيم في هذه الزيارة ثم تجد الحائر في النهار من قبل طلوع الشمس بقليل قد أسدلت ستائره وأغلقت أبوابه ، وبقي صائماً الى الليل من كل داخل او خارج ، وقادم او غادر ، لأنه عاد وصار تحت تلك المراقبة الشديدة من قبل المسالح الشاهرة السلاح على المارين . فانقطعت بذلك كل حركة بين هذه البقعة وغيرها .

هذه حالة الحائر ووضعه في العهد الأموي الجائر على ما يظهر لنا من خلال الاخبار والاحاديث الواردة .

ومهما بلغ من تشدد الأمويين في منع الزيارة خلال السبعين سنة الاولى من تاريخ الحائر المقدس مع ذلك لم يتمكنوا من السيطرة لا على العوامل الطبيعية ، ولا على معتقدات الناس الدينية وتمسكهم بآل بيت النبوة . فكلما كان يشتد المنع كلما كانت تزيد المقاومة ، فان المقاومة الفعالة لتلك القوة الطائشة كانت آخر وسيلةٍ تشبث بها المسلمون تجاه الفئة

الطاغية ، فكم من أعناقٍ ضربت ، ورؤس قطعت ، وأعضاءٍ مثلّت ، وأجسام علّقت أو أجسادٍ سحقت تحت حوافر الخيل ولم ينقطع الزائرون مع ذلك عن الزيارة لما إنطوت عليه النفوس من العقيدة الثابتة في أعماق قلوبهم .

واما تلك العوامل القوية التي كانت تدفع بالنفوس بهذه الكيفية الى زيارة الحائر بالرغم من وجود تلك الموانع العظيمة فهي كثيرة ولكن أهم تلك العوامل هي :

الايمان والعقيدة الدينية الكاملة بآل بيت الرسالة .

حث الائمة وتشجيعهم الشيعة على الزيارة والدعاء في الحائر .

وجود الملاجى القريبة للاختفاء كنينوى والغاضرية .

كان لهذه العوامل وغيرها مجتمعة ومتفرقة تأثيرها الفعّال على النفوس التواقة وتسهيل أمر زيارتها والتخاطر بها في مثل هذا السبيل ولو أدى بها إلى القتل والموت . وسنبحث فيما يلي تأثير كل واحدٍ من هذه العوامل على إنفراد .

أولاً ـ ان عقيدة الناس بآل بيت الرسالة ورسوخ هذه العقيدة في أعماق قلوب الأمة كانت هي العامل الأكبر في تشييد الحائر وإقامة شعائره والاقبال على زيارته من كل حدبٍ وصوب كما يحدثنا التاريخ به . وقد دلت الآثار والاخبار الكثيرة على ان الناس كانوا يقصدون القبر المطهر منذ أول عهده للزيارة وقضاء الحوائج فيظهر منه المعجز الباهر للبر

والفاجر[١]، ومن ذلك ما رواه علي بن أسباط وهو من أصحاب أبي عبدالله الصادق عليه السلام في « أصل النوادر » ونقله عنه العلامة السيد حسن الصدر في كتابه « نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين » بأن « في العام الذي قتل فيه الحسين عليه السلام قصد قبره النساء العقم من أطراف البلاد حتى جاء الى قبره الشريف نحو مائة الف إمرأة فتخطين قبره الشريف فحملن كلهنّ وولدن »[٢].

فأصبح القبر المطهر والحائر مزاراً عاماً للمسلمين ، ورمزاً خالداً للبطولة ، وشعاراً دائماً للتضحية ، وكعبة للاحرار والمفكرين أولئك الذين عاكستهم الظروف وخانتهم الأحوال او خالفتهم الايام فكانوا يؤمّون قبره ، ويعيدون ذكره ، ويعتبرون أمره . فمنهم مصعب بن الزبير ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، وقبلهم عبدالله بن الحر الجعفي بعد الوقعة بقليل في عام ٦١ من الهجرة ، والمختار الثقفي وأمثالهم الكثيرون.

ثانياً ـ حث الائمة الشيعة وتشجيعهم على زيارة الحائر والدعاء فيه . إذ كان الائمة عليهم السلام من السجاد علي بن الحسين فصاعداً يحثون ويشجعون شيعتهم وأتباعهم ومواليهم على زيارة الحائر والدعاء فيه ، فكلما كان يشتد المنع من ناحية الأمويين كلما كان يزداد الحث من ناحية الائمة على الزيارة وبيان ما لزيارته عليه السلام من الثواب العظيم والاجر الجزيل عند الله تعالى، فكانت تتعارض وتتحارب هاتان القوتان ، قوة السياسة

---

(١) راجع : « نزهة أهل الحرمين » ص ٤٠ .

(٢) البحار ج ١٠ / ٢٤٤ و « خصائص الحسين » للشيخ جعفر التستري ص ١٦٠ .

وقوة الدين وكان النصر في كسر قيود المنع لهذه الاخيرة بالنتيجة بما كان للدين من تأثير فعّال على النفوس . وكان هذا الحث المستمر على الزيارة بمثابة المقاومة الفعلية تجاه المنع وقد إنتصر الشيعة بالنتيجة على أعظم قوةٍ إرهابية عرفها التاريخ .

فما كان تخلو مجالس الائمة من ذكر الشهيد وفضائله واللعن على خصومه وأعدائه وقد مر معنا حديث قدامة بن زائدة الثقفي عن السجاد عليه السلام في الفصول المتقدمة . وكان الباقر عليه السلام مثل أبيه في أمر قضيتهم فكان يستهون الخَطب ويثبت بأن الثواب على قدر الخوف في زيارة الحسين عليه السلام ، فمن ذلك ما رواه محمد بن مسلم عنه في حديث طويل قال :

« قال لي أبو جعفر محمد بن عليّ عليه السلام : هل تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟ - قلت : نعم ، على خوفٍ ووَجلْ . فقال : ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف ، ومن خاف في إتيانه أمنّ الله روعته يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين وانصرف بالمغفرة وسلّمت عليه الملائكة[1] .. »

ثم كان عليه السلام يبين ما لزائر الحسين من حسنة في كل خطوة وهو ما رواه عنه سدير الصيرفي وهو من كبار صيارفة وتجار الكوفة في ذلك العصر ، فقال : « كنا عند أبي جعفر عليه السلام فذكر فتى قبر الحسين عليه السلام . فقال له أبو جعفر عليه السلام : ما أتاه عبدٌ فخطى

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٢٧ رقم ٥

خطوة إلا كتب الله له حسنة ، وحط عنه سيئة »[1].

وكأن المنع كان قد اشتدّ في أوائل عصر الصادق على عهد هشام بن عبدالملك وذلك على أثر خروج زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ومقتله في عام ١٢١ من الهجرة فصاروا يشددون في المنع ويمثلون بمن وقع بأيدي المسالح من الزائرين كما يستنبط ذلك من رواية مسمع بن عبدالملك البصري فقد قال : « قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟ قلت : لا ، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة ، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي . قال : أفما تذكر ما صُنع به ؟ قلت : نعم . قال : فتجزع ؟ قلت : إي والله واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ ، فامتنع عن الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي . قال : رحم الله دمعتك ، أما إنك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا »[2] .

وهذا الخوف الذي كان يخامر النفوس ويساور القلوب كان ينقلب سريعاً إلى راحةٍ وسكينة وطمأنينة بأحاديث الصادق الأكيدة عليه السلام فتحل العزيمة محل هذا الخوف الشديد من الأمويين ومسالحهم فكان الناس بعد ذلك يسيرون نحو الحائر بشوقٍ ولهفة متزايدة . فكانت تنعكس هذه الأحاديث في مختلف انحاء العالم الاسلامي تتناقلها الألسن

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٣٤ رقم ٧ (٢) المصدر ١٠١ - ٦

والمحابر من بلدٍ إلى بلد فتثير الهممَ وتهيّج النفوس التواقة إلى الزيارة من كل فج عميق ، من مختلف انحاء الجزيرة العربية ، ومن بلاد فارس وغيرها وهم يتحملون الصعاب والشدائد الجمة في هذا السبيل وقلوبهم خائفة وَجِلة إلى حين العودة إلى الأوطان . ومن ذلك ما رواه ابن بكير الأرجاني من بعض مقاطعات ايران الجنوبية . وقد روى ابن بكير عن الصادق عليه السلام وقال :

« قلت له : إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك ، فاذا خرجت فقلبي وَجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح . فقال يا ابن بكير ، أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً ؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش ، وأمنه الله من أفزاع يوم القيامة ، يفزع الناس ولا يفزع ، فان فزع وقرّته الملائكة وسكّنت قلبه بالبشارة »[1] .

ويظهر أنّ العقوبة قد اشتدت بعد ذلك ولم تقف عند حد التمثيل بالزائرين من قطع الأيدي والأرجل أو غيرها من الأعضاء ، بل تعدّت إلى فرض عقوبة الموت على المخالفين ليمنعوا بها كل حركةٍ بين الحائر المقدس وبين بقية الأقطار الاسلامية . ولكن جاءت الأحاديث فيها ملطّفة للقلوب بقدر ما جعلها الخوف متزجرجة متزعزعة بل وأكثر ، مستهونة الخطب وكاشفة لها الصراط المستقيم في محاربة الجور . وهذا ما رواه صفوان الجمّال عن الصادق عليه السلام وقال :

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٢٥ - ١٢٦ رقم ٢

« قلت : فما لمن قُتل عنده يعني عند قبر الحسين جار عليه السلطان فقتله ؟ قال أول قطرةٍ من دمه يغفر له بها كل خطيئة ، وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتى يخلص كما خلصت الأنبيـاء المخلصين ، ويذهب عنها ما كان خالطها من أدناس طين أهل الكفر والفساد . ويُغسل قلبه ويشرح ويملأ ايماناً ، فيلقى الله وهو مخلص من كل ما يخالطه الأبدان والقلوب ، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وإخوانه ، وتتولى الصلوة عليه الملائكة »[1] .

فبمثل هذه الاحاديث الصادرة عن الامام الصادق عليه السلام كانت تعود السكينة إلى النفوس فتستهون الموت في سبيل الجهاد لله .

وقد بقي هذا الوضع الارهابي سائداً على الحائر المقدس وقاصديه طول العهد الأموي الجائر ، فالزائرون من جهتهم في حالة خوفٍ ووجل ، والأحاديث تتوارد بالحث على الزيارة والاستخفاف بالموانع مهما كانت عظيمة . فكانت الحرب إذن سجالاً بين القوة والعقيدة ، وبين السياسة والدين ، تلك السياسة التي تلاشت وتلك القوة التي اندحرت بالنتيجة في هذا الميدان أمام العقيدة والدين ، فتقوضت بتلك المقاومة الفعالة أركان الدولة الأموية في عام ١٣٢ من الهجرة أي تماماً في أواسط عصر الصادق الطويل . ولما أثمرت الجهود المتواصلة ، وانقشعت غيوم الارهاب موقتاً في أفق العالم الاسلامي بزوال كابوس الأمويين وعهدهم تنفست كربلاء الصعداء مدة وجيزة من الزمن على عهد السفاح وأوائل حكم المنصور

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٦٥ ـ ١٦٦ رقم ٣

الدوانيقي ، وبذلك عادت الأمور إلى مجراها فصار الزائرون يؤمون كربلاء من مختلف الانحاء حتى من الأصقاع النائية بكل حرية واختيار لما ألفوا في زيارتها من البركة ، وقضاء الحوائج ، وحسن العاقبة كما يستنبط ذلك مما رواه موسى بن القسم الحضرمي من زيارة رجل يماني أتى من اليمن ليزور الحائر المقدس في اوائل عهد المنصور في صيف سنة ١٣٧ من الهجرة وإليك ما رواه موسى بن القسم المذكور بهذا الصدد وقد قال :

« قدم أبو عبدالله عليه السلام في اول ولاية أبي جعفر فنزل النجف فقال : يا موسى ، إذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق ، فانظر فانه سيأتيك رجلٌ من ناحية القادسية ، فاذا دنا منك فقل له هاهنا رجلٌ من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك ، فسيجيء معك .

قال : فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد ، فلم أزل قائماً حتى كدت أعصي وأنصرف وأدَعه إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير . فلم أزل أنظر إليه حتى دنا مني ، فقلت : يا هذا هاهنا رجلٌ من ولد رسول الله (ص) يدعوك وقد وصفك لي ، قال : إذهب بنا إليه . قال : فجئت به حتى أناخ بعيره ناحيةً قريباً من الخيمة ، فدعا به فدخل الاعرابي إليه ودنوت أنا فصرت إلى باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهم . فقال أبو عبدالله (ع) : من أين قدمت ؟ قال : من أقصى اليمن . قال : أنت من موضع كذا وكذا ؟ قال نعم : أنا من موضع كذا وكذا . قال : فما جئت هاهنا ؟ قال جئت زائراً للحسين عليه السلام . قال أبو عبدالله عليه السلام : فجئت من غير حاجةٍ ليس إلا للزيارة ؟ قال : جئت

من غير حاجة إلا أن أصلي عنده وأزوره فأسلم عليه وأرجع إلى أهلي . فقال أبو عبدالله (ع): وما ترون في زيارته ؟ قال : نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعايشنا وقضاء حوائجنا .

قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا اخا اليمن ؟ قال : زدني يا ابن رسول الله . قال : إن زيارة الحسين عليه السلام تعدل حجة مقبولة زاكية مع رسول الله (ص) . فتعجب من ذلك . قال : إي والله ، وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله (ص) . فتعجب . فلم يزل أبو عبدالله (ع) يزيد حتى قال : ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله (ص) »[1] .

فكان الزائر إلى مثل هذا الوقت يأتي من وطنه إلى زيارة الحائر راكباً فكانت الزيارة على الأكثر من نصيب الاغنياء والموسرين ولم تشمل الطبقات المتوسطة والفقيرة ممن كانوا يستطيعون تحمل نفقاتها الكثيرة فكانت تبقى محرومة من تلك الاجتماعات الاسلامية العظيمة التي كانت تنعقد في كربلاء حول قبر الحسين عليه السلام فيطلّع البعض على حالة البعض الآخر من إخوانهم من بقية الاقطار الاسلامية . ولاشتراك هذه الطبقات في درك فيض تلك المجتمعات العامة صارت تتوارد الاحاديث ناطقة بما للزائر ماشياً من الثواب في كل خطوة كما رواه الحسين بن ثوير بن أبي فاختة قال :

« قال أبو عبدالله عليه السلام : يا حسين ، من خرج من منزله يريد

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٦٢ ـ ١٦٣

زيارة قبر الحسين بن علي صلوات الله عليهما إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحى عنه سيئة . حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنتجبين ، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين »[1].

ثم تزداد الحسنات وتقل السيئات بنسبة أكثر من ذلك في حديث جابر المكفوف عن أبي الصامت فقد قال :

« سمعت أبا عبدالله عليه السلام وهو يقول : من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً فقد كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ، ومحى عنه ألف سيئة ، ورفع له ألف درجة . فاذا اتيت الفرات فاغتسل ، وعلّق نعليك ، وإمش حافياً ، وإمش مشي العبد الذليل ، فاذا اتيت باب الحائر فكبّر اربعاً ، ثم إمش قليلاً ، ثم كبّر اربعاً ، ثم إئت رأسه فقف عليه فكبّر اربعاً ، وصلّ اربعاً واسئل الله حاجتك »[2].

وقد أصبح الحائر في هذا العهد مجتمعاً إسلامياً عاماً بفضل هذه الاحاديث الواردة عن الصادق والائمة عليهم السلام والتي كانت تنعكس في الاقاليم الاسلامية القريبة والنائية تنقلها الالسن والرواة . فكان يجتمع في الحائر في المواسم المعينة الاغنياء والموسرين ، والفقراء والمستضعفين على حد سواء ولم يتخلف عن زيارته ممن إستطاع اليه سبيلا . حتى وانها أصبحت عادة مألوفة يزار في المواسم وغيرها . إذ كان لصدور هذه الاحاديث أثره الفعال في توجيه النفوس الى كربلاء وبكثرة متزايدة ، فصاروا يأخذون معهم الاطعمة اللذيذة والمآكل الطيبة والحلويات

---

(١) المصدر ص ١٣٢ (٢) المصدر نفسه ص ١٣٣ رقم ٤

وغيرها كأنهم ذهبوا يقضون الوقت في الحائر ، فصدر فيه النهي الشديد إذ روى أبو المضا وهو من أهل الرقة من أعمال الشام على الفرات بأن الصادق عليه السلام قال له :

« تأتون قبر أبي عبدالله عليه السلام ؟ قلت نعم . قال : أفتتخذون ذلك سفراً ؟ قلت نعم . فقال : أما لو أتيتم قبور آبائكم وأمهاتكم لم تفعلوا ذلك . قلت : أي شيء نأكل ؟ قال : الخبز واللبن »[1].

ومثله ماخاطب الصادق عليه السلام به المفضل بن عمرو بلهجة شديدة وهو يقول له :

« تزورون خيرٌ من أن لا تزورون ، ولا تزورون خيرٌ من أن تزورون . قال قلت : قطعت ظهري . قال : تالله ان أحدكم ليذهب الى قبر أبيه كئيبا حزينا وتأتونه أنتم بالسفر ، كلا حتى تأتونه شعثا غبراً »[2].

وعلى أثر صدور هذا النهي الشديد للزائرين من تطييب السفر وأخذ المآكل اللذيذة معهم الى الحائر المقدس أراد البعض من الصحابة إستعطاف الصادق عليه السلام في أمرهم فجاءه محمد بن مسلم يستعطفه في ذلك بأن الزائر في طريقه الى زيارة الحائر يحتاج ما يحتاجه في طريق الحج من انواع الزاد ومختلف المآكل والمشارب . غير ان الصادق عليه السلام في جوابه يصف له ما يحتاجه الزائر في هذا السبيل من المثل الاسلامية العليا من الاخلاق الكريمة ، والسجايا الرفيعة ، والخصال

---

(١) المصدر ص ١٢٩ - ١٣٠ (٢) المصدر نفسه ص ١٣٠ - ١٣١ .

الحميدة التي يتميز بها المسلم الحقيقي عن غيره . وقد قال محمد بن مسلم :

« قلت لابي عبدالله عليه السلام : إذا خرجنا إلى أبيك أفلسنا في حج ؟ قال : بلى . قلت : فيلزمنا ما يلزم الحاج . قال : من ماذا ؟ قلت : من الاشياء التي يلزم الحاج . قال : يلزمك حسن الصحابة لمن يصحبك ، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير ، ويلزمك كثرة ذكر الله ، ويلزمك نظافة الثياب ، ويلزمك الغسل قبل ان تأتي الحائر ، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة والصلوات على محمد وآل محمد ، ويلزمك التوقير لاخذ ما ليس لك ، ويلزمك ان تغض بصرك ، ويلزمك ان تعود إلى اهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً والمؤاساة ، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها ، والورع عما نهيت عنه ، والخصومة وكثرة الايمان والجدال الذي فيه الايمان . فاذا فعلت ذلك تمّ حجك وعمرتك ، واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك وإغترابك عن اهلك ورغبتك فيما رغبت ان تنصرف بالمغفرة والرحمة والغفران »[1] .

وقد بلغ الصادق عليه السلام بأن البعض عند زيارتهم للحائر المقدس يتخذونه مقاماً يقضون فيه اياماً وليالي فيضيقوا الآخرين . فأصدر الأمر بعدم اتخاذه موطناً ، والانصراف عنه بعد الزيارة وطلب الحوائج . وهذا ما رواه علي بن الحكم عن الصادق عليه السلام انه قال :

« إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيب حزين مكروب شعثاً مغبراً عطشاناً فان الحسين قتل حزيناً مكروباً شعثاً مغبراً

---

(٢) المصدر نفسه ١٣٠ - ١٣١ .

جائعاً عطشاناً ، وسله الحوائج وانصرف عنه ولا تتخذه وطناً »[1] .

بهذه الأحاديث التي كان لها قوة التشريع السماوي نظّم الصادق عليه السلام شؤون الحائر خير تنظيم . فانه في الخمسة والثلاثين سنة من عهده الطويل ما بين عام ١١٤ وعام ١٤٨ من الهجرة وجّه عنايته التامة نحو الحائر المقدس وتنظيم مختلف شؤونه وأحواله إن كان هو في المدينة أو في الكوفة أو في الحائر نفسه . إذ كافح في هذه المدة الارهاب الأموي وقاوم قوتهم الغاشمة بكل وسيلة ، وحث النفوس من الأقطار القريبة والبعيدة على الزيارة بالرغم من المخاطر والموانع وهذّب نفوس الزائرين من الادناس والارجاس ، ورسم حدود واجبات وتكاليف الوافدين والقادمين والزائرين نحو الحائر المقدس ولم يأل جهداً ـ حسب الظاهر ـ في تشييد وتوسيع وتحسين الحائر بقدر الامكان حسب ما كانت تسمح به الظروف والاحوال الراهنة بتوجيه الاموال إليه لهذا الغرض أو لانفاقها على الخدم والسدنة ، او الفقراء والمعوزين وابناء السبيل . فما كان يجري في الحائر شيء في هذا العهد إلا بأمرٍ او إشارةٍ منه عليه السلام .

ثالثاً ـ وجود نينوى والغاضرية على مقربة من كربلاء :

ومن العوامل المهمة في تسهيل أمر الزيارة وتردد الزائرين وجود نينوى والغاضرية بجانب الحائر. ومن هاتين القريتين فان الغاضرية بالأخص كانت تقع على الطريق فكان يستطيع الزائرون أن يجعلوها بالظاهر

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٣١ رقم ٣

هدفاً فيمكثون فيها حيناً لابعاد شبهه المسالح الأموية عنهم ثم يلجون منها سراً الى الحائر المقدس . ولعل الزوار في طول العهد الأموي الجائر سلكوا هذا السبيل للتخلص من العيون والرُقباء الصلفين ، وكان العمل على ذلك وجاءت الأحاديث مؤيدة له وبهذا المعنى ما رواه أبو حمزة الثمالي وهو من ثقاة الأصحاب ورواة الحديث عن الصادق عليه السلام إنه قال :

« إذا أردت الوداع بعد فراغك من الزيارات فأكثر منها ما استطعت ، وليكن مقامك بنينوى أو الغاضرية . ومتى أردت الزيارة فاغتسل وزر زورة الوداع ، فاذا فرغت من زيارتك فاستقبل بوجهك وجهه والتمس القبر وقل ... »[1] .

والظاهر أن لنفس هـذا السبب وردت أحاديث كثيرة في فضل الغاضرية فمنها ما ورد عن الصادق عليه السلام بأن « الغاضرية تربة من بيت المقدس »[2] . كما وأن بعضها الأخرى جاءت معبرة عن كربلاء باسم الغاضرية ، ومنها ما ورد عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وهو يحثّ الشيعة والموالين على الزيارة واتخاذ الغاضرية مقاماً لهم بقوله :

« فزوروا قبورنا بالغاضرية »[3] .

والغاضرية قرية عامرة في الصدر الأول كانت تمتد على رقعةٍ واسعة في الشمال الشرقي من كربلاء وفي طريقها كان يقع مرقد العباس عليه السلام حيث دفن على مشرعة الفرات في المحل الذي أستشهد فيه ، فيكون

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ٢٥٤ رقم ٢

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٩ رقم ٧ (٣) المصدر نفسه ص ٦٩ رقم ٦

موقع الغاضرية - حسب الظاهر - في البساتين الواقعة اليوم على الجهة اليمنى من نهر الحسينية في الشمال الشرقي من المدينة بين تل الهيتابي ومقام الامام جعفر الصادق و« أربع نهران »[1] وهي لا تزال معروفة باسم « الغاضريات » وهي جمع الغاضرية الاسم القديم لهذا الموضع . وكان يسكن الغاضرية قوم من بني عامر من بني أسد .

ومثلها نينوى فانها كانت قرية عامرة تقع في شرق الحائر إلى الجنوب الشرقي منه وقد ورد ذكرها أكثر من ذكر الغاضرية في التاريخ مما يدل على كثرة ارتياد الزائرين لها ، ومن هاتين الثغرتين كانوا يلجون إلى الحائر المقدس سراً ثم يعودون اليها في عهد الارهاب . وهذه العوامل الثلاثة هي أهم العوامل التي ساعدت الشيعة والموالين في العصر الأول على زيارة الحائر المقدس وتشييد معالمه وإقامة شعائره الاسلامية : الايمان ، والأحاديث ، والملاجيء للزائرين .

وبالرغم مما تقدم من إرهاب الأمويين وإضطهادهم للوافدين فقد يمكن أن تعتبر السنين السبعين التي مرت على الحائر بعد وقعة الطف إلى إنقراض الدولة الأموية بأنها كانت نسبياً خير سنين مضت على كربلاء وعلى القبر المطهر في عهد كل من الدولتين الأموية والعباسية ، لأن الأمويين وإن

---

(١) شيد هذا المقام أثراً تذكارياً في الموضع الذي كان يغتسل فيه الصادق عليه السلام في نهر الفرات قبل زيارته للحائر المقدس ، ولا زال المقام مشيداً الى حد كتابة هذه الأسطر ان قدر له البقاء بعد هذا من الهدم المنظم الذي يجري الآن للاماكن الأثرية وغير الأثرية في كربلاء على يد عبدالرسول الخالصي الذي جاء خلفاً لطاهر القيمي متصرف كربلاء السابق .

وأما « أربع نهران » فهو علم معروف بهذه الكيفية .

حاربوا الحسين عليه السلام وصرعوه قتيلاً فانهم اكتفوا بهذا الخزي فهادنوا قبره المطهر ولم يمسوه بسوء ، وإن ما أقاموه من المحافر والمسالح حوله لمنع الزائرين ومطاردتهم لم يكن القصد منها - حسب الظاهر - إلا لدرء الأخطار ومنع حدوث الثورات الداخلية التي كانت تحدث على أثر التجمع في الحائر كما كان من أمر كل من عبيدالله بن الحر الجعفي وسليمان بن صرد الخزاعي وغيرهم . ولكن العباسيين فكأنهم لعدم الاشتراك في دمه الطاهر إغتالوا القبر المطهر ، وسعوا في محوه وتطميسه مراراً عديدة حتى طالت عليهم الألسن وهجتهم الشعراء فقالوا :

لله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

ولعل السبب في عدم تعرض الأمويين للحائر المقدس وتعرض العباسيين له كرات عديدة كان يرجع بالأصل إلى موقع العاصمة في كل دور . ولايغرب عن البال ما كان لعواصم الدولتين من القرب أو البعد عن الحائر من التأثير الفعّال على مقدراته ، إذ أن الشام لبعدها عن هذه البقعة في العصر الأموي ما كانت لتستطيع أن تشرف تمام الاشراف على ما يجري فيه أو من حوله كما كان الحال في بغداد في الدور العباسي وبغداد على مقربة منه . كما وأن التدابير المتخذة في الشام ضد الحائر ما كانت تصل دور التنفيذ حرفياً مثل ما كانت تنفذ الأوامر في العهد الثاني لنفس الأسباب ، ولذلك لم يصب الحائر في العصر الأموي كما أصيب في الدولة العباسية من الخراب والهدم . وهذا هو السبب لاعتداء العباسيين على قبر الحسين وحائره .

الفصل الخامس

الحائر أرضه المباركة وتربته المقدسة

أولا ـ فضيلة كربلاء وقدسية تربتها في الاسلام

ثانياً ـ عادة تقديس التربة والتبرك بها في الاسلام

١ ـ تقديس التربة في الصدر الأول

٢ ـ تطور هذه العادة في العصور الوسطى

ثالثاً ـ وجه الاختلاف بين الشيعة وغيرهم في أمر السجود ومسئلة ما يجوز وما لا يجوز السجود عليه

رابعاً ـ سبب اختيار التربة من تراب كربلاء

١ ـ تربة حمزة سيد الشهداء في أحد ومصيبته على المسلمين الأولين

٢ ـ تربة الحسين سيد الشهداء في كربلاء ومصيبته على الاسلام

خامساً ـ عمل الائمة في السجود على تربة الحسين عليه السلام من بعد وقعة الطف وحث الشيعة على ذلك

سادساً ـ سر السجود على تربته عليه السلام

سابعاً ـ الخلاصة ودفع شبهة المفترين وبيان الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء

أولا ـ فضيلة كربلاء وقدسية تربتها في الاسلام

أعطيت كربلاء ، حسب النصوص الواردة ، بأكثر مما أعطي لأي أرضٍ أو بقعةٍ أخرى من المزية والشرف في الاسلام ، فكانت أرض الله المختارة ، وأرض الله المقدسة المباركة ، وأرض الله الخاضعة المتواضعة ،

وحرماً آمناً مباركا ، وحرماً من حرم الله وحرم رسوله ، وقبة الاسلام التي نجّـا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان ، ومن المواضع التي يحب الله أن يعبد ويدعى فيها ، وأرض الله التي في تربتها الشفاء [١] .

فان هذه المزايا وأمثالها التي اجتمعت لـكربلاء لم تجتمع لاي بقعة من بقاع الأرض حتى الكعبة كما يلاحظ .

وقد جرت على ألسنة الشعراء وأقلام الكتاب من بعد الوقعة وإلى يومنا هذا المقارنة بينها وبين الكعبة ، وتفننوا بمختلف أساليب النثر والنظم في إثبات فضلها ، وقداستها ، وشرفها ، واستطالة أرضها على جميع الأقطار بالفضل والشرف . وهذه الأرض المباركة لم تنل هذا الشرف العظيم في الاسلام إلا بالحسين عليه السلام كما نص عليه الحديث : « وزادها في تواضعها وشكرها لله بالحسين (ع) وأصحابه »[٢] .

وليس أحاديث فضل هذه التربة وقداستها منحصرة بأحاديث الأئمة عليهم السلام ، إذ ان أمثال هذه الاحاديث لها شهرة وافرة في أمهات كتب بقية الفرق الاسلامية عن طريق علمائهم ورواتهم وهي هذه التربة التي يسميها أبو ريحان البيروني في كتابه « الآثار الباقية » التربة المسعودة في كربلاء ، ومنها ما رواه السيوطي في كتاب « الخصائص الكبرى » طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٠ هـ في باب اخبار النبي (ص) بقتل الحسين وروى فيه ما يناهز العشرين حديثاً عن أكابر ثقاتهم كالحاكم والبيهقي وأبي نعيم وأمثالهم من مشاهير رواتهم عن أم الفضل بنت الحارث وأم سلمة

---

(١) كامل الزيارة ص ٢٦٧ ـ ٢٧٣ وغيره من كتب الحديث (٢) المصدر (٢٧١)

وعائشة وأنس بن مالك وأكثرها عن إبن عباس وأم سلمة وأنس ويقول الراوي في أكثرها انه دخل على رسول الله (ص) والحسين في حجره وعينا رسول الله تهرقان الدموع وفي يده تربة حمراء ، فيسأله الراوي عن التربة فيقوله له : « أتاني جبرائيل فأخبرني أن امتي ستقتل إبني هذا واتاني بتربةٍ من تربته حمراء وهي هذه » . وفي هـذه وفي البعض الآخر منها : « انه يقتل بارض العراق وهذه تربتها » وأنه اودع تلك التربة عند أم سلمة زوجته فقال : إذا رأيتها وقد فاضت دماً فاعلمي ان الحسين قتل . وكانت تتعهدها أم سلمة حتى إذا كان يوم عاشوراء عام شهادة الحسين (ع) وجدتها قد فاضت دماً ، فعلمت ان الحسين قد قتل[1].

فلا إختلاف إذن بين المسلمين على إختلاف مذاهبهم في فضل كربلاء وقدسية تربتها ولم نشأ أن نتوسع في هـذا الباب بأكثر مما يتصل بأصل الموضوع إتصالاً وضعياً لولا ما كان قد أثاره البعض من مروجي الكذب والباطل ، ممن دأبهم الاختلاق وديدنهم البهتان والافتراء ، فرأينا من الواجب توضيح الأمر وتنوير الأذهان رداً لأقوالهم ودحضاً لمزاعمهم الباطلة المخالفة للحقيقة والواقع . فقد أثار نفر من الجاهلين لأغراضٍ سياسية ومنافع ذاتية شبهة ضد الشيعة ، فأخذوا يوسعون هذه الشبهة حتى صوّروها حقيقة واقعية ، فادخلوها في أذهان العوام تدريجياً حتى أصبحت عقيدة راسخة في نفوس الجهال والمستضعفين ، فتعدت من هؤلاء الى الاوربيين البسطاء فانعكست تلك الأباطيل الواهية في كتابات المستشرقين المساكين ، البعيدين

---

(١) راجع « الأرض والتربة » ص ٥٦ للعلامة الجليل كاشف الغطاء .

كل البعد عن عوائد المسلمين واختلافاتهم المذهبية حتى أدت بالبعض من هؤلاء الاجانب الى الاستفسار عن هذه المسئلة من المراجع الشيعية العليا في العراق بغية تدوين ما يدلون به من معلومات في دوائر المعارف البريطانية [1]. فانظر الى أي درجةٍ تبلغ الدعايات الضارة ، وعلى ذلك يجب أن يقاس ما بلغت اليه هذه الشبهة من السخافة .

وتلك الشبهة هي أن صور البعض من خصوم الشيعة وأعداء التشيع بأن « التربة » التي يستعملها الشيعة للسجود عليها في الصلاة بدعة ، وأنها بدعة في الدين . والحالة أن الأمر بسيط جداً ، وعلى غاية البساطة ولا يستلزم أي طعن في أهم فرقةٍ من الفرق الاسلامية التي أثبتت تمسكها بمبادىء الدين القويم وآل بيت الرسالة بأكثر من الغير . ولما انبثّت دعوتهم الباطلة وإنتشرت بين العوام ، وإرتوت واينعت على مر الايام فأصبحت ثمرة ناضجة زادوها نغمة اخرى فقالوا أنها وثنية ، وأن السجود على تربة الحسين ضربٌ من عبادة الأصنام والاوثان دون ان يميزوا بين السجود على الشيء وبين السجود للشيء ، فسموا التربة أقراصاً ، ودعوها ألواحاً ، وحجراً و « حكراً » الى غير ذلك من اسماء وأوصافٍ خيالية أرادوا بها تقوية دعواهم وتأييد تقولاتهم الواهية .

ونحن خدمة للحقيقة ، وتنويراً للرأي العام الاسلامي المغلوب على أمره من قبل البعض من النفعيين والانتهازيين ، وإرشاداً للمستشرقين الأوربيين المخدوعين بأقوال المهوسين المضلين رأينا من الواجب أن

---

(١) انظر ما جاء في مقدمة كتاب « الأرض والتربة الحسينية » عن سبب تأليفه .

نستعرض هذا الموضوع من الناحيتين التاريخية والدينية لما له من الصلة بتربة الحسين عليه السلام وقدسيتها فنستعرض بالترتيب عادة تقديس التربة في الاسلام ، ثم اختلاف الشيعة مع الآخرين في ما يجوز وما لا يجوز عليه السجود ، ثم سبب إختيار تربة كربلاء وما ورد فيها من الحديث وعمل الائمة على ذلك ، ثم سر السجود على تربة الحسين من وجهة الدين مع بيان الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء ودفع شبهة المفترين على الشيعة لسجودهم على التربة .

ثانياً - عادة تقديس التربة والتبرك بها في الاسلام

١ - تقديس التربة في الصدر الأول :

إن عادة تقديس التربة عادة إسلامية عريقة يرجع عهدها إلى عصر النبوة في أواسط عصر الدعوة كما يستفاد ذلك من مختلف كتب العامة عن طريق رواتهم ولا من ذلك شيء عن طريق رواة الشيعة . فكانت عادة تقديس تربة الشهداء ، وتربة قبر النبي (ص) ، وتربة بعض الصحابة ايضاً والاستشفاء بها عادة مألوفة عند المسلمين الأولين . وقد نجد هذه العادة في المجتمع الاسلامي الأول منذ السنة الثالثة من الهجرة أي من بعد وقعة أحد بقليل ، فقد إستشهد فيها حمزة سيد الشهداء فصاروا يأخذون من تربته للاستشفاء ولمعالجة الصداع ، وكذلك كانوا يتبركون ويتداوون بتراب حرم الرسول (ص) كما يستفاد ذلك مما أورده السيد البرزنجي في كتابه « نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الاولين والآخرين » وننقله حرفيا :

« ويجب على من أخرج شيئاً من ذلك (أي من المدينة) رده إلى محله ولا يزول عصيانه إلا بذلك ما دام قادراً عليه . نعم إستثنوا من ذلك ما دعت الحاجة اليه للسفر به كآنية من تراب الحرم وما يتداوى به منه كتراب مصرع حمزة رضى الله عنه للصداع وتربة صهيب رضى الله عنه لاطباق السلف والخلف على نقل ذلك »[1].

ولما توفى النبي (ص) صاروا يأخذون من تربته الشريفة كما يستفاد ذلك مما نقله السيد نور الدين الشافعي السمهودي في كتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » بما نصه : « وعن المطلب قال : كانوا يأخذون من تراب القبر (يعني قبرالنبي) فأمرت عائشة بجدارفضرب عليهم ، وكانت في الجدار كوّة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسُدّت »[2]. غيرانه لم يبين سبب منع عائشة لهم ، ألكون الدار ملكاً لها ؟

وقد تعدت هذه العادة حدود تربة الشهداء والنبيين الى تربة البعض من الصحابة ، فكانوا يتبركون ويتداوون بتربة صهيب الرومي كما نصت عليه الفقرة الأخيرة مما رواه البرزنجي في « نزهة الناظرين » ولم يُعرف السبب في تقديسه دون الآخرين .

٢ ـ تطور هذه العادة في العصور الوسطى :

ويظهر أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فتطورت هذه العادة بمرور الزمن تطوراً تدريجياً فصاروا يتبركون بموضع أقدام الرجال ومن ذلك

---

(١) نزهة الناظرين ، للبرزنجي ص ١١٦ طبع مصر ١٣٣٢ هـ .

(٢) راجع : « وفاء الوفا » للسمهودي ج ١ ص ٣٨٥ طبع مصر ١٣٢٦ هـ .

ما رواه الشيخ عبدالقادر الفاكهي في كتابه « حسن التوسل في زيارة أفضل الرسل » بأن : « الشيخ الامام السبكي وضع خدّ وجهه على بساط دارالحديث التي مسّتها قدم النواوي لينال بركة قدمه وينوّه بمزيد عظمته كما أشار إلى ذلك بقوله :

وفي دار الحديث لطيف معنى ... على بسطٍ لها أصبو وآوي
لعلي أن أنال بخدّ وجهي ... مكاناً مسه قدم النواوي »[1]

ثم تجاوز الأمر بالتدريج مع الزمن في تقديس الرجال إلى التبرك لا بتراب الأقدام فحسب ، وإنما التبرك حتى بالتراب الذي تطئه بغلة المتبرك به ، فمن ذلك ما نقله ابن خلكان في ترجمة جلال الدولة بن ألب أرسلان السلجوقي بقوله : « وعاد الشيخ أبو إسحاق إلى بغداد في أقل من أربعة أشهر ، وناظر إمام الحرمين هناك . فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين للوداع وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق فظهر له في خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته ويتبركون به [2] » .

فيظهر من ذلك كله إن عادة تقديس التربة فالاستشفاء والتبرك بها من تربة الشهداء وتربة النبي (ص) وتراب الحرم ، حتى وتراب قبر

---

(١) راجع : « حسن التوسل » للفاكهي المطبوع بهامش كتاب « الاتحاف بحب الأشراف » في هامش الصفحة ٦٠ منه طبع مصر ١٣١٨ هـ . وأما النواوي المشار اليه فهو من أشهر رجال الجماعة .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٢٢ طبع مصر ١٣١٠ هـ والشيخ أبو اسحاق الشيرازي هو صاحب كتاب « المهذب والتنبيه » .

بصهيب الرومي كانت معروفة ومألوفة عند المسلمين الاولين في صدر الاسلام . ثم التبرك والاستشفاء بموضع أقدام الرجال من وضع حر الوجه وتمريغ الجبين على ترابِ وطئته أقدامهم طلباً لليمن والبركة ، أو ما هو أحط من ذلك بكثير وهو التبرك بترابِ وطئته حوافر بغلتهم إلى غير ذلك من الامور التي كانت مألوفة في العصور الوسطى وبعدها . فلا غرابة إذن في تقديس الشيعة لتربة الحسين عليه السلام وهي أطيب وأزكى وأنقى وأطهر من أي تربةٍ أخرى لما ورد فيها من حديث ولم يرد في غير تربة النبي وحمزة عند الآخرين شيء . وتربة الحسين هي من تربة الرسول الأكرم.

ثالثاً - وجه الاختلاف بين الشيعة وغيرهم في أمر السجود ومسئلة ما يجوز وما لا يجوز السجود عليه

يرجع عمل المسلمين عموما في أمر السجود على الارض إلى الحديث النبوي المأثور : « جُعلت لي الارض مَسجداً وطهوراً » . فمرجع عمل الشيعة وغيرهم من المذاهب الاسلامية الاخرى هوهذا الحديث لا غيره . ولكن ما هو ، إذن ، وجه الاختلاف بين الفريقين ؟ ولماذا يختلفان في هذا الامر إختلافهم في بقية الفروع ؟ فيجوّز الآخرون السجود على كل شيء ولا تجوّزه الشيعة إلا على الارض وما ينبت من الارض غير المأكول والملبوس والمعادن . ومنشأ هذا الامر - حسب الظاهر - هو إختلاف فقهي بين الفريقين في تأويل وتفسير ألفاظ الحديث المتقدم . فيظهر الاختلاف بينهما في نقطتين أدتا إلى الاختلاف بينهما في العمل ،

الاولى إختلافهم في معنى الارض ومدلولها ، والثانية في المسجد وطهارته - أي في موضع السجود وطهارته . وهذا ما سنبينه بالترتيب فيما يلي :

أولاً ـ الاختلاف بين الفريقين في معنى الارض ومدلولها :

وهذا الاختلاف هو الذي أدى بالنتيجة إلى إثارة حربٍ دينية من ناحية فرقةٍ على فرقةٍ أخرى من المسلمين لا يسع لأحد أن يناقش في صحة إسلامهم بأي وجه من الوجوه . والمسئلة في حد ذاتها بسيطة جداً بحيث لو ألقيت على أقل طفل أو أبسط عامي من أي ملةٍ أو دين فهمها واستساغها فوراً فكيف بالعقلاء والمثقفين والمهذبين من اهل الدراية والبصيرة في الامور الدينية والاجتماعية . فترى الشيعة ان القصد من « الارض » الوارد ذكرها في هذا الحديث هو ما يدل عليه لفظ الارض في اللغة ، وهي هذه الارض التي نفهمها ويفهمها كل إنسان ، ولذلك لا يصح السجود عند الشيعة إلا على الارض حسب منطوق الحديث ، والارض في نظرهم هي الارض وما ينبت من الارض غير المأكول والملبوس والمعادن لان المأكول والملبوس والمواد المعدنية هي غير الارض والصعيد ولا يجوز السجود عليها لله . فعند الشيعة لا يجوز السجود على الابسطة والاقمشة والطنافس ، ولا على الحديد والفضة والذهب والنحاس وغيرها من المعادن ، ولا على الصخور المعدنية من الرخام والغرانيت وامثالها ، ولا على الاثمار والفواكه وما يأكله الانسان من الحبوب واللحوم وغيرها مما لا يطلق عليه اسم الارض أو لا يشمله مفهوم الارض .

ولما لم يكن من السهل على كثير من الناس لاسيما العوام منهم فهم مثل

هذه المسئلة الفقهية ذات الفروع الكثيرة لتمييز الاشياء التي يجوز السجود عليها عن التي لا يجوز السجود عليها فتخلصاً من مشاكل هذه المسئلة صاروا يسجدون على التراب وهو القدر المتيقن من الارض بلا إشكال.

والى هذا الحد لم نجد ما يوجب التهويل على الشيعة وعلى سجودهم على التراب وهو الذي تتطلبه الآية الكريمة في أمر التيمم « فتيمموا صعيداً طيبا ».

وأما المرحلة الثانية من هذه المسئلة، فانه لما لم يتيسر وجود التراب في كل مكان وذلك في عيشة متحضرة، ولا حمله لانه يتناثر فاستلزم تحضير أو إستصحاب قطعة من التراب لهذا الغرض وكان الأصلح أن تكون من تراب مكبوس صلب لا يتفتت ولا يتناثر لتكون مسجداً وموضعا للجبهة حين السجود لله، وهذه هي التربة المربعة أو المدورة أو المستطيلة الشكل التي يسميها المخالفون بـ « الأقراص والالواح » طعنا وتهريعا وليست هي في الواقع غير قطعة من التراب وهو الصعيد الطيب إتخذها الشيعة مسجداً لأن لا يقع السجود على غير التراب. واتخاذهم لها ليس إلا تسهيلا للعوام الذين يصعب عليهم التمييز بين ما يجوز وما لا يجوز السجود عليه من الأشياء كما بيناه مع العلم ان الشيعة لا يقدسون تلك الالواح ولا يلتزمون بالسجود عليها كما يظنه المخالفون، فيصلون على كل ما يشمله مصداق الارض من الاخشاب والورق وخوص النخيل وغير ذلك على حد سواء.

والى هذا الحد لم نجد ايضا في عمل الشيعة ما يوجب تقريعهم

أو التهويل عليهم ، غير أنهم يختلفون مع الغير في مفهوم لفظ « الارض » فيجوّز غيرهم السجود على كل شيء ولا يجوّز الشيعة السجود لا على البُسط والاقمشة والطنافس ، ولا على المعادن من الحديد والنحاس والذهب والفضة وأمثالها ، ولا على الصخور المعدنية من الرخام والغرانيت وغيرها ، ولا على الطين المفخور بالنار ، ولا على الاثمار والفواكه وما يأكله الانسان من اللحوم والحبوب وغيرها ، ولا على الاوساخ وأمثالها لعدم إطلاق لفظ « الارض » عليها في العرف واللغة ، فعمل أي الفريقين أقرب الى الحقيقة والواقع ؟

ثانيا - إختلاف الفريقين في طهارة الارض والمسجَد :

أما الاختلاف الثاني بين الفريقين فيدور حول طهارة المسجَد في الصلاة ، فترى الشيعة أن الارض التي يسجد عليها الانسان لله يجب أن تكون طاهرة بقرينة « مسجداً » من جهة ، وبقرينة « طهوراً » صفة للارض من جهةٍ أخرى في هذا الحديث ، بينما غيرهم يرى أن موقف المصلي يجب أن يكون طاهراً ، ولكن بأي قرينة ؟ فالتزم الشيعة فيه بطهارة « المسجد » أي محل وضع الجبهة نظراً لما ورد في ذلك من احاديث عن الائمة ولذلك لم تجوّز الشيعة السجود على أذيال العبأ لشبهة تلوثها على الارض بالاوساخ ، كما والتزم غيرهم بطهارة « الموقف » أي بطهارة محل وضع القدمين في الصلاة ولذلك لم يجوزوا وضع القدمين في حالة الصلاة على أذيال العبأ لنفس الشبهة .

ولذلك صار الشيعة يختارون قطعة من تراب طاهر نظيف للسجود

عليها لسببين : الاول أن يكون المسجد طاهراً ، والثاني ان يكون السجود على ما يجوز السجود عليه من مدلول الارض ومفهومها في الشرع والعرف واللغة . وكنا نريد أن نمر مرور الكرام على هذه المسائل كلها لولا أن دعت الحاجة اليه لتنوير الاذهان ودفع شبهات المفترين . وقد لا يفوت الخبير في تعليل هذه المسائل بأن الدين قد تلقاه الشيعة من منهل عربي محض لم يكن للموالي من الفرس أو غيرهم يدٌ فيه حتى لا يدركوا مدلول الالفاظ الشرعية ومفاهيمها ، فانهم قد تلقوا الدين عن الائمة والائمة هم ولد من هو أفصح من تكلم بالضاد ، وفهم الائمة للدين والتشريع هو غير فهم الموالي وحتى غير فهم العرب أنفسهم له ، لأنهم عرب وثانيا لان التشريع كان في بيتهم ، والتشريع في الحقيقة هو تراثهم ونتاج عقلية وتفكير هذا البيت العظيم ، لا تراث ولا نتاج عقلية أي بيت في العرب غير بيت النبوة . فكان الائمة أعرف بأمور التنزيل والتشريع من غيرهم فان الكثير من الصحابة مع إتصالهم بعهد النبوة وقربهم من النبي (ص) ما كانوا يعرفون أسرار التشريع كما كان يعرفه آخر واحدٍ من أئمة الشيعة مع بعد الزمن بينه وبين المشرع لأن التشريع تراثهم ونتاج عقلهم. وأن الرومانيين في أمر الفقاهة كانوا يميزون بين الفقيه الروماني في روما وبين الفقيه في القوانين الرومانية من أهل المستعمرات . ولم ينقسم المسلمون في أحكام الدين إلا بعد أن أصبح الأمر بيد الموالي فكل واحدٍ منهم نظر الى الاسلام بمنظار عقليته العنصرية فكان هذا الانقسام والتفرق البغيض ، ثم زاده نفر من الضالين المضلين تصديعا وتفريقا . فياليت كان العود على الوحدة ونبذ الاختلاف .

رابعاً - سبب اختيار التربة من تراب كربلاء

١ - تربة حمزة سيد الشهداء في أحد ومصيبته على المسلمين الأولين .

٢ - تربة الحسين سيد الشهداء في كربلاء ومصيبته على الاسلام .

وأما سبب إتخاذ التربة من تراب كربلاء أو من تربة حائر الحسين عليه السلام لورود الحديث فيها عن الأئمة ، وأصل هذه العادة يرجع إلى عهد النبوة يوم وقعت تلك المعركة الهائلة في السنة الثالثة من الهجرة بين قريش والمسلمين في أحد وانهدّ فيها أعظم ركن للاسلام بقتل حمزة بن المطلب عم النبي (ص) وأخوه من الرضاعة وكان من أقوى حماة الاسلام فعظمت رزيته على الرسول الأكرم وعلى عموم المسلمين ولاسيما بعد أن مثلت به هند بنت عتبة وأم معاوية بن أبي سفيان تلك المثلة الفظيعة التي قطّعت بها أعضاء حمزة واستخرجت كبده فلاكته بأسنانها ثم لفظته وعملت من كبده أساور وخلاخل تزينت بها شماتة به لأنه كان قد قتل أباها عتبة رأس الكفر والشرك في يوم بدر الكبرى . وحزناً عليه وحداداً على مصيبته العظيمة أمر النبي نساء المسلمين بالنياحة عليه وإقامة المآتم له ، واتسع الأمر في تكريمه وتأبينه إلى أن صاروا يأخذون من تراب قبره فيتبركون به ويسجدون عليه لله تعالى ويعملون منه المسابح . وقد نصت بعض الأخبار أن فاطمة عليها السلام جرت على ذلك ولعلها كانت هي أول من بادر بذلك فاقتدى بها المسلمون . ولما استشهد حمزة في أحد لُقّب بسيد الشهداء وسمي أيضاً أسد الله وأسد رسوله .

وهذا ما نص عليه المجلسي في « المزار » نقلاً عن « المزار الكبير »

باسناده عن ابراهيم بن محمد الثقفي عن أبيه عن الصادق عليه السلام قال : « إن فاطمة بنت رسول الله (ص) كانت سبحتها من خيط صوف مفتّل معقود عليه عدد التكبيرات ، وكانت (ع) تديرها بيدها تكبّر وتسبّح حتى قتل حمزة بن عبدالمطلب فاستعملت تربته وعملت التسابيح فاستعملها الناس . فلما قتل الحسين (ع) عدل بالأمر إليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية » [1] .

وكان لقب « سيد الشهداء » في الاسلام يختص بحمزة بن عبدالمطلب وكانوا يسجدون على تراب قبره ، ولما قتل الحسين عليه السلام إنتقلت إليه هذه المرتبة العظيمة كما نقله العلامة الجليل كاشف الغطاء في كتاب « الأرض والتربة » بما نصه : « حمزة دفن في أحد وكان يسمى سيد الشهداء ويسجدون على تراب قبره . ولما قتل الحسين عليه السلام صار هو سيد الشهداء وصاروا يسجدون على تربته » [2] .

ومما يلاحظ أن مزية الشهادة والتضحية في سبيل المُثل الانسانية والاسلامية العليا إنحصرت في هذا الفرع الناضر من الهاشميين ولم تتعد إلى غيرهم فتسلسلت في فرعين فقط من هذا البيت وذلك في ولد علي وفاطمة . وكان عمل الشيعة في أمر السجود إلى زمن الصادق عليه السلام كما يظهر من الأخبار بأنهم كانوا يحملون معهم « خُمرة » وهي عبارة عن مقدار من تراب في صرّة أعدّوها ليكون السجود على التراب حسب

---

(١) راجع : « مزار البحار » ص ١٤٦ .

(٢) راجع : « الأرض والتربة الحسينية » ص ٤٩ طبع النجف

منطوق الحديث ، وقد جرى العمل على ذلك إلى أن تطورت الخُمرة تطوراً عملياً إلى قطعةٍ من تراب بصورة لوح حفظاً له من التفتت والتبعثر وتسهيلاً للمصلين .

ولما كان تعفير الجبين بالتراب والسجود على الأرض فريضة لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله ، وعلى ما ينبت من الأرض من الورق والخشب وغيره سنّة [1] ، فلماذا لا يكون السجود على أنقى وأزكى وأجود وأطيب وأقدس تربة في الأرض وهي تربة الحسين عليه السلام تلك التربة الزاكية الطيبة المقدسة التي نطقت بفضلها الأحاديث الكثيرة ؟ والانسان سائر في الحياة نحو الكمال على سنّة التدرج والتكامل ويتطلب من الأشياء أجودها وأحسنها . وتربة الحائر هي تلك التربة الفُضلى ، وتؤخذ هذه التربة من هذا الطين الأحمر الطاهر النظيف الذي يأتي به الفرات من أعالي الجبال وبطون الوديان فيتركه على جانبيه في أرض كربلاء ، فيمتزج بتربة كربلاء الطاهرة النقية ومن هذا الطين المترسب في بطون النهر تصنع عادة تلك الألواح المختلفة الشكل من الحجم الكبير والصغير التي تستعملها الشيعة في الصلاة . ولا غرابة في أي ناحية من هذا الأمر ولا يجد الانسان الكامل ما يوجب هذا التهويل والتفريع على عملهم مع العلم بأنه قلما تصنع هذه الألواح من تراب القبر ، بل وليس من الممكن صنعها منه لعدم امكان الوصول إليه وهو مشيد في بناءٍ ضخم من الرخام والصخور المعدنية الصلبة . ولعله في العصور الأولى كان يمكن أخذ بعض الشيء من تراب

---

(١) راجع : « الحدائق الناضرة » للبحراني ج ٣ ص ١٧٨

المحاجر أو تراب الأطراف القريبة من القبر الشريف ، أما اليوم فليس ذلك إلا من الأمور المستحيلة و كل من يدعي ذلك هو بهتان وإدعاء لا ظل له من الحقيقة . والقول بأنها من تربة القبر المطهر قول بالتقريب أي من تراب كربلاء وهذا هو الواقع .

خامساً ـ عمل الائمة في السجود على تربة الحسين (ع)

من بعد وقعة الطف وحث الشيعة على ذلك

وأما العمل في العصر الأول فانهم كانوا يأخذون التربة من القبر المطهر أو من جوانبه القريبة ولاسيما من جانب الرأس الشريف . وأول من صلّى على هذه التربة واستعملها هو « زين العابدين الامام الرابع من أئمة الشيعة الاثنى عشر المعصومين [1] . فانه بعد أن فرغ من دفن أبيه وأهل بيته وأنصاره أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف فشدّ تلك التربة في صرّة وعمل منها سجادة ومسبحة وهي التي كان يديرها بيده حين أدخلوه بالشام على يزيد فسئله ما هذه التي تديرها بيدك ، فروى له عن جده رسول الله (ص) خبراً محصّله أن من يحمل السبحة صباحاً ويقرأ الدعاء المخصوص لا يزال يكتب له ثواب التسبيح وإن لم يسبّح . ولما رجع الامام عليه السلام هو وأهل بيته إلى المدينة صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها ، ويعالج بعض مرضى عائلته بها . فشاع هذا عند العلويين وأتباعهم ومن يقتدي بهم »[2] .

---

(١) راجع : « الأرض والتربة الحسينية » ص ٥١

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠ ـ ٥١

فيظهر من ذلك أن السجاد هو أول من صلّى على هذه التربة وجرى على ذلك الأئمة من بعده ، إذ أن إبنه « الباقر الخامس من الأئمة تأثره في هذه الدعوة فبالغ في حث أصحابه عليها ونشر فضلها وبركاتها »[١] .

وفي عهد الصادق عليه السلام فقد زاد على ذلك ونوّه كثيراً بفضل هذه التربة وقدسيتها لشيعته وكان الشيعة في هذا الوقت قد تكاثروا فصاروا من أهم الطوائف الاسلامية في الثقافة والعلم والفنون المختلفة ، فكان بحثهم على التبرك بتربته والسجود عليها كما رواه الشيخ الطوسي قدس سره في « المصباح » عن معاوية بن عمار قال :

« كان لأبي عبدالله الصادق عليه السلام خريطة من ديباج صفراء فيها تربة أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، فكان إذا حضرته الصلاة صبّها على سجادته ويسجد عليه ، ثم قال : إن السجود على تربة أبي عبدالله عليه السلام يخرق الحجب السبع »[٢] . وكان هذا عمل الصادق (ع) طول حياته ، وقد روى صاحب « الوسائل » عن الديلمي قال : « كان الصادق عليه السلام لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذللاً لله واستكانة إليه »[٣] . وقد بقيت الأئمة من ولده على ذلك يحركون عواطف شيعتهم ويحفّزون هممهم ويوفرون لهم الدواعي إلى السجود عليها والالتزام بها لما كانوا يذكرون في أحاديثهم من الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن يتبرك بها ويواظب عليها ، فالتزمت الشيعة بها هذا الالتزام في جميع

---

(١) المصدر ص ٥٢ .

(٢) « مصباح المتهجد » للطوسي ص ٥١١ طهران ١٣٣٨ و « المزار » ص ١٤٢

(٣) راجع : « الأرض والتربة » ص ٥٣ .

الادوار وإلى يومنا هذا مع مزيد الاهتمام وعظيم الاعتناء . ولم تمض غير مدة يسيرة - حسب الظاهر - حتى صارت الشيعة تصنع من هذه التربة أو على الاكثر من تربة كربلاء ألواحا يحملونها لوقت الصلاة كما هو المتعارف إلى اليوم ، إذ نجد لهذه الالواح المصنوعة من تربة الحائر سنداً تاريخياً يرجع إلى أواسط النصف الثاني من القرن الثالث من الهجرة أي إلى عصر الامام الثاني عشر حجة بن الحسن عليه السلام ، فقد روى الطبرسي في كتاب « الاحتجاج » عن محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري عن صاحب الزمان عجل الله فرجه إنه كتب إليه يسئله عن السجود على لوح من طين القبر هل فيه فضل . فأجاب عليه السلام : يجوز ذلك وفيه الفضل [١] .

ومثل ذلك ما ورد عنه عليه السلام أيضاً في فضيلة التسبيح بتربته وهو ما رواه الشيخ في « التهذيب » عن نفس الراوي محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري قال : « كتبت إلى الفقيه أسئله : هل يجوز أن يسبّح الرجل بطين القبر وهل فيه فضل ؟ فأجاب : وقرأت التوقيع ومنه نسخت ، تسبّح به فما من شيء من التسبيح أفضل منه ... » [٢] . والتوقيع المشار إليه في هذا الخبر هو ما كان يصدر من الاجوبة أو الاوامر للشيعة من الناحية المقدسة أي من ناحية الامام الثاني عشر عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى كما هو معلوم .

---

(١) راجع : « الحدائق الناضرة » للبحراني ج ٣ ص ١٧٩

(٢) المصدر ص ٣٤٤ والمزار ص ١٤٦

سادساً - سرّ السجود على تربة عليه السلام

أما السرّ في إختيار التربة من القبر المطهر أو الحائر أو كربلاء على الاكثر للسجود عليها في الصلاة ، فعدا ما ورد في فضلها وقدسيتها ، وعدا كونها أطيب وأزكى وأنقى وأطهر وأقدس من أي تربة أخرى ، وعدا ما ورد في فضل السجود عليها لله تعالى من خرق الحجب السبع ، وعدا ذلك مما ذكر أو لم يذكر فلعل السر فيه أيضاً من بعض النواحي الروحية أن يتذكر المصلي في معراجه في الاوقات الخمس ما أصاب الاسلام والدين من قتل الشهيد بن الشهيد وأبي الشهداء على يد تلك الفئة الباغية التي ما برحت تكيد للدين والمسلمين في جاهليتها وإسلامها .

إذ أن في الأولى ارتكبت قتل حمزة سيد الشهداء والتمثيل به أفظع تمثيل فانهد بقتله أعظم ركن للاسلام ، وقد حاولوا بذلك إقتلاع الدعوة من جذورها ، فاتخذ المسلمون تربته شعاراً يتبركون به ويستشفون بها تخليداً لذكراه في الاسلام . وفي إسلامها أقدمت تلك الفئة على قتل الشهيد لاقتلاع جذور النبوة إذ لم يبق على وجه الأرض يومئذ سليل للنبوة غير الحسين عليه السلام ، وبقتله سيقضى في زعمهم على الدعوة الاسلامية والنبوة في آن واحد . ولما قتل الحسين ظلماً وعدواناً اتخذ المسلمون تربته شعاراً يسجدون عليها لله تعالى فيتذكرون أن الصلاة بعد الحسين قامت على تضحية الحسين بنفسه وأهله وذويه على ساحة المجد والشرف بأرض كربلاء .

فكلما سجد المصلي لله تعالى على هذه التربة في مشارق الأرض ومغاربها إخترقت أمام بصره وبصيرته تلك الحجب المادية الكثيفة التي تحجب بينه وبين الحقيقة وما الصلاة إلا معراج المؤمن من حضيض المادة إلى سماء الحقائق ، فيتمثل أمامه مصرع الحسين ، ويتذكر مصابه ، ويتصور ما حل بالاسلام من موجة كفر وطغيان ، فيسجد لله شكراً على تربته الطاهرة المقدسة بأن الحسين لولاه وتضحيته لما كان يتنعم أحد بنعمة الاسلام إذ ما كان يبقى على وجه البسيطة للاسلام ذكر أو خبر .

وإلى مثل هذا الرأي يذهب أحد أساطين العلم في هذا الوقت في سر السجود على تربة الحسين عليه السلام بقوله : « ولعل من جملة المقاصد السامية أن يتذكر المصلي حين يضع جبهته على تلك التربة تضحية ذلك الامام نفسه وآل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ وتحطيم هياكل الجور والفساد والظلم والاستبداد . ولما كان السجود أعظم أركان الصلاة وفي الحديث (أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده) ناسب أن يتذكر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية أولئك الذين وضعوا أجسامهم عليها ضحايا للحق ، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع ، ويحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة . ولعل هذا هو المقصود من أن السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر »[1] .

ثم يصف مزايا هذه الأرض الطبيعية وما كان لها من المكانة والحرمة

---

(١) راجع : « الارض والتربة الحسينية » ص ٤٢ ـ ٤٣

عند الأمم القديمة قبل الاسلام بقوله : « وإن أسمى تلك البقاع وأنقاها تربةً ، وأطيبها طينةً ، وأزكاها نفحة هي تربة كربلاء ، تلك التربة الحمراء الزكية وكانت قبل الاسلام قد اتخذت نواويس ومعابد ومدافن للامم الغابرة كما يشعر به كلام الحسين عليه السلام في إحدى خطبه المشهورة حيث يقول : « وكأني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ـ ص ٣٧ » .

ثم يستمر في التعليل بأن كيف تسامت هـذه التربة بانضمام شرفها الجوهري إلى طيبهـا العنصري فأصبحت بذلك أشرف بقاع الأرض بالضرورة والفطرة بقوله : « أليس من صميم الحق والحق الصميم أن تكون أطيب بقعةٍ في الأرض مرقداً وضريحاً لأكرم شخصية في الدهر ؟ نعم ، لم تزل الدنيا تمخض لتلد أكمل فردٍ في الانسـانية وأجمع ذاتٍ لأحسن ما يمكن من مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية ، وأسمى روح ملكوتية في أصقاع الملكوت وجوامع الجبروت ، فولدت نوراً واحداً شطرته نصفين : سيد الانبياء محمداً ، وسيد الاوصياء علياً ، ثم جمعتهما ثانياً فكان الحسين مجمع النورين وخلاصة الجوهرين كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : حسين مني وأنا من حسين . ثم عقمت أن تلد لهم الانداد أبد الآباد . وإذا كان من حق الارض السجود عليها ، وعدم السجود على غيرها ، أفليس من الافضل والاحرى أن يكون السجود على أفضل وأطهر تربةٍ من الارض ؟ وهي التربة الحسينية ، وما ذاك إلا لأنها أكرم مادةً ، وأطهر عنصراً ، وأصفى جوهراً من سائر البقاع ، فكيف وقد

انضم شرفها الجوهري إلى طيبها العنصري ، ولما تسامت الروح والمادة ، وتساوت الحقيقة والصورة صارت هي أشرف بقاع الارض بالضرورة كما صرح بذلك بعض الافاضل من كتاب هذا العصر[١] . وشهد به الكثير من الاخبار والآثار وإليه أشار السيد قدس سره في منظومة الفقه الشهيرة بالبيت المشهور :

ومن حديث كربلا والكعبة لكربلا بان علو الرتبة »[٢]

سابعاً - فهرسة البحث ودفع شبهة المفترين

وبيان الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء

أما المخالفون وتهويلهم على الشيعة في أمر السجود على تربة الحسين عليه السلام فيظهر أنهم لم يميزوا مع الاسف تلك المسئلة الدينية البسيطة في الفرق بين السجود للشيء وبين السجود على الشيء ، فانهم لم يميزوا بينها أو تعمدوا أن لا يميزوا بين الحالتين لاغراء العوام والجهّال وحملهم على إظهار العداء للشيعة ليؤدي الحال إلى التفرقة بين صفوف الامة كما أرادوه ، وهذا أتعس وأنكى مما لو كانوا يجهلون المسئلة لان تجاهلهم أدى إلى صدع الوحدة وتفريق الكلمة . مع العلم أن السجود في كل حال هو لله تعالى وحده إن كان على التراب أو على البسط والطنافس الحريرية فان السجود له وحده على كل حال . غير أنه أبلغ في التذلل والاستكانة إلى الله إذا كان على التراب لان السجود على التراب فريضة ، وعلى غير

---

(١) هو العلائلي في كتابه « سر المعبد » . والعقاد في « أبو الشهداء » ص ١٥٤

(٢) راجع : « الأرض والتربة » ص ٣٨ - ٤١

التراب سنّة والفرق ظاهر بين الفريضة والسنة في أداء الاعمال الدينية ، وكان الصادق عليه السلام « لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذللاً لله وإستكانة إليه »[1] وكم لسجوده من الفضل عند الله على تربة صرع عليها جده الحسين وهو يقدّم تلك التربة إلى الله ويسجد عليها شكراً له على قضاه صابراً محتسباً ، وفي ذلك منتهى الخشوع والرضا . وعلى ذلك أيضاً عمل الشيعة صابرين محتسبين على محن كثيرة .

فالسجود هو لله تعالى، وهل يمكن أن يقال بأن السجود على البسط الحريرية هو سجود للبسط ، كذلك لايمكن أن يقال بأن السجود على تربة الحسين هو سجود للحسين لان الحسين ليس بمعبود وإنما هو عبد من عباده الصالحين وفي السجود على تربته سجود للواحد القهار لا لشيء آخر كما أراد أن يصوّره المغرضون في أذهان العوام ، وكفاهم بهذا جواباً إن كانوا يؤمنون .

وإليك ما يقوله علم من أعلام الدين والعلم في هذا العصر بهذا الصدد : « ومن السخافة أو العصبية الحمقاء قول بعض من يحمل أسوأ البغض للشيعة أن هذه التربة التي يسجدون عليها صنم يسجدون له ، هذا مع أن الشيعة لا يزالون يهتفون ويعلنون في ألسنتهم ومؤلفاتهم أن السجود لايجوز إلا لله تعالى ، وأن السجود على التربة سجود له لا سجود لها . ولكن أولئك الضعفاء من المسلمين لا يحسنون الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء ، السجود لله عز شأنه ولكن على الارض

---

(١) الأرض والتربة ص ٥٣ نقلا عن « الوسائل »

المقدسة والتربة الطاهرة ، وسجود الملائكة كان لله وبأمر من الله تكريماً لآدم . نعم ، قد صار السجود على التربة الحسينية من عهدٍ قديم شعاراً شائعاً لهذه الطائفة الشيعية يحملون ألواحها في جيوبهم للصلاة عليها ويضعونها في سجاداتهم ومساجدهم ، وتجدها منثورة في مساجدهم ومعابدهم . وربما يتخيل بعض عوامهم أن الصلاة لا تصح إلا بالسجود عليها — الارض والتربة ص ٤٧ ـ ٤٨ » .

ومع ذلك كله فانه لمن الخطل الظن بأن الشيعة يلتزمون ذلك أو يعتبرون بأن الصلاة لا تصح إلا عليها . وما أشبه قول المقترين من بعض نواحيه بلزوم تحريم كل ما يحصل للانسان من تدرج وتقدم نحو الكمال وما ذلك إلا مبلغ إدراك من يجهل الحياة ومقتضياتها الضرورية . وقد ذهب بعض هؤلاء المخدوعين إلى النجف الاشرف فقصدوا أحد رجال العلم المعروفين ، فسئلوه أثناء الحديث عن « لوح التربة » الذي تستعمله الشيعة في الصلاة زاعمين بأنهم سيحصلون على معلوماتٍ تساعدهم على تأييد تقولاتهم الباطلة ضد الشيعة ، فأدرك الشيخ ما أضمروه ، فأجابهم بجوابٍ عملي بسيط مقنع . فأخذ لوحاً من التربة فقبّله أولاً ووضعه على جبينه ورأسه وقال : أحترمه لكونه موضع الجبهة حين السجود لله تعالى . ثم سحقه برجله وقال : لانه قطعة من التراب لا غير . فخابت ظنون القوم ولم يحيروا جواباً . ولم نشأ أن نذكر أسماء هؤلاء الدساسين بين صفوف الامة . وقبل ذلك حوالي عام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ زار كربلاء المستر رايلي وكيل مستشار المعارف إذ ذاك يصحبه سكرتير الوزارة وكان الرجل بالاصل

قساً يتتبع مثل هذه الامور ولاسيما في بغداد كانوا قد أدخلوا في ذهنه بعض المسائل ، فعندما كان يتجوّل في أسواق كربلاء وصل إلى حانوت لبيع التراب على الزائرين ، فسئل السكرتير مستغرباً كأنه لايعرف ذلك : ما هذا الذي يبيعونه في هذا الحانوت ؟ فأجابه السكرتير إرتجالاً : هذه تربة كربلاء وهي مثل حصى كنيسة القديس بطرس عندكم التي تباع كل واحدةٍ منها بفرنك واحد (أي بدرهم) على الزائرين . وما كان ينتظر المستشار هذا الجواب الفجائي غير المنتظر ، فضحك وقال : صدقت ، نحن أيضاً في أوربا عندنا مثل هذه العوائد ولا غرابة في ذلك . إذ أن كل من يزور تلك الكنيسة في روما يشتري من حصاها للتبرك والاستشفاء . فتجد أن مثل هذه العادات في تقديس بعض الاشياء الدينية لا تخلو منها أمة وحتى عند الامم الاوربية المتحضرة الراقية توجد بأكثر من ذلك ، فما قيمة أقوال المبتعدين كل الابتعاد عن مرامي الحياة الانسانية في تأسيساتها الدينية .

ومع ذلك كله ، يجب ان لا يشك المرء في أن أمثال هؤلاء لايجهلون مثل هذه الحقائق العلمية الواضحة وهم على تلك الدرجة من قوة المغالطة والتظاهر بالايمان . فلا يعقل بأنهم لايميزون بين السجود للشيء والسجود على الشيء وهم على جانب غير قليل من الفطنة ، ولكن العصبية الحمقاء هي التي حالت بينهم وبين الحقيقة . فان في تعظيم الشيعة للنبوة وآل بيت النبوة ولاسيما في تعظيمهم للحسين عليه السلام والسجود لله على تربته تحطيم للاموية والامويين فهذا الذي يغضبهم ويؤلمهم في صميمهم

فيشنون الحرب على الشيعة لماذا يسجدون لله على تربة من قتله الامويون ، والامويون في نظرهم اصل العروبة وجوهر الايمان ، ومعدن الاسلام ، وحقيقة الدين . وإذا لم نبالغ فيعتقد البعض منهم ان الامويين هم صفوة البشر وخلاصة الكون كما صرحوا به غير مرة بأن « مجد الامويين رسالة السماء » هذا العنوان المزيف الذي لا زال يعلق بذهني من مهرجان المربّي . ولم نجد سبباً حقيقياً لهذه التهم الباطلة غير هذا . ولا ينكر بأن الحركة الاموية في جوهرها ومادتها ضد الهاشميين إن كان في الجاهلية أو في الاسلام كانت حركة نفعية ومادية قوية وجدت لها في كلا العهدين مناصرين من ذوي المطامع والشهوة فباءت الحركة المثالية التحررية بالفشل المستمر تجاه الكتلة المادية المتطرفة .

ولذلك يجب ان لا يستغرب الانسان من كل ما يرى أو يسمع .

الفصل السادس

الحائر ، مراسم أتيانه وآداب زيارته

لم يكن الحائر ، على ما يظهر من غضون الاخبار والتاريخ من تلك المعابد الدينية البسيطة المعدة للزيارة فحسب ليزوره الزائر متى اراد أو كيفما شاء دون ان يكون ملزماً فيه برعاية آداب معينة ومراسيم خاصة . ومن هذه الناحية فقد أعطي الحائر منذ العهد الاول من تاريخه حقه من التعظيم والتجليل والتقديس ، واعترف له بالمنزلة والمكانة العليا في

الاسلام ، بحيث أن رعاية تلك الآداب ، وملاحظة تلك المراسيم من قبل الزائر وذلك بكل دقةٍ واعتناء كانت شرطاً أساسياً من شروط الزيارة . إذ أن حائر الحسين عليه السلام وحرمه المقدس كان « حرماً من حرم الله وحرم رسوله » كما ورد في الحديث (١) .

ولذلك جاءت الاحاديث عن الائمة وكلها ناطقة بهذا المعنى فجعلوا لزيارة بطل الاسلام ، الشهيد ابن الشهيد أبي الشهداء ، وزيارة مرقده الخالد مناسك مثل ما لحج بيت الله الحرام ، لأن الزائر بحضرته أمام شخصية إسلامية عظيمة لم تمت بمنطوق الآية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . وأي شهيد أعظم منزلة ، وأعلى قدراً ومكانة عندالله من الحسين سيد الشهداء وأبي أئمة العرب الاطهار و من أصحابه ؟ وهم شهداء ليس مثلهم إلا شهداء بدر الذين ضحوا بأنفسهم لتثبيت دعائم الدعوة الاسلامية .

وتلك المناسك تنقسم إلى نوعين : فمنها ما يختص بتزكية النفس ، وتجريد الروح وتحريرها من قيود المادة والشوائب النفسانية ، والتمثل بالمثل الاسلامية العليا من الاخلاق والسجايا الرفيعة التي يتميز بها المسلم الحقيقي عن غيره . ومنها ما يختص بكيفية الاتيان من حين خروج الزائر من بيته بقصد الزيارة إلى حين دخوله حدود البقعة التي يقع الحائر المقدس في قلبها ، فعند عبور الفرات إلى الوصول إلى نينوى أو الغاضرية ، ومن هناك إلى أن يدخل الحائر ، وإلى ان يصل القبر المطهر بآداب ومراسيم كأنه في حج بيت الله الحرام .

---

(١) راجع : « كامل الزيارة » ص ١٩٨

أما القسم الاول من هذه المناسك لزيارة الحائر المقدس فهو ما جاء في رواية محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ، قال : « قلت له إذا خرجنا إلى أبيك أفلسنا في حج ؟ قال : بلى . قلت : فيلزمنا ما يلزم الحاج ؟ قال : مِن ماذا ؟ قلت : من الاشياء التي يلزم الحاج - (وهنا يشرح له الصادق عليه السلام ما يلزم الزائر في هذا الطريق من متاع الروح) - فقال : يلزمك حسن الصحابة لمن يصحبك ، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير ، ويلزمك كثرة ذكر الله ، ويلزمك نظافة الثياب ، ويلزمك الغسل قبل ان تأتي الحائر ، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة ، والصلوة على محمد وآل محمد ، ويلزمك التوقير لأخذ ما ليس لك ، ويلزمك أن تغض بصرك ، ويلزمك ان تعود إلى اهل الحاجة من اخوانك إذا رأيت منقطعاً والمواساة ، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها ، والورع عما نهيت عنه ، وكثرة الايمان ، والجدال الذي فيه الايمان . فاذا فعلت ذلك تمّ حجك وعمرتك ، واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك وإغترابك عن اهلك ، ورغبتك فيما رغبت ان تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان - كامل الزيارة ص ١٣٠ - ١٣١ - » .

ومن هنا يتبين ما كان يعلقه أئمة الدين من الخطورة والأهمية على الحائر وزيارته في تهذيب النفوس وصقل الارواح ونشر المبادئ والفضائل الاسلامية بين الشعوب ، إذ أن الحجاز كان قد تغلبت عليه الاهواء وخرج نهائياً من القبضة فلم يبق غير هذا البيت المعمور الجديد ليكون أكبر مدرسة دينية في الاسلام . فما قيمة تقولات المغترين بعد هذا ؟

أما القسم الثاني منها فهو في مراسم إتيان الحائر وآداب زيارته وقد إرتسمت كلها في روايات كل من الحسن بن عطية وهو أبو ناب المحاربي الكوفي من ثقاة الأصحاب ، والحسين بن ثوير إبن أبي فاختة وهو من أجلاء الشيعة وثقاتهم ، وأبي حمزة الثمالي وهو من ثقاة أعيان الطائفة وأركان حملة الحديث وقد خدم أربعة من الأئمة الهداة ، وروى في تشريفه عن الصادقين (ع) : « أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه » وقد توفي في سنة ١٥٠ هـ أي بسنتين بعد وفاة الصادق عليه السلام . غير أن رواية أبي حمزة من بين هذه الروايات جاءت صورةً كاملة لما يجب على الزائر من رعاية تلك الآداب والمراسيم فنكتفي بها في هذا الباب مع ذكر سندها . وقد روى أبو عبدالرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمد بن الحسن جميعاً عن الحسن بن علي بن مهزيار عن أبيه علي بن مهزيار عن محمد بن أبي عمير عن محمد بن مروان عن أبي حمزة الثمالي قال :

« قال الصادق عليه السلام : إذا أردت المسير الى قبر الحسين (ع) فصُم يوم الأربعاء والخميس والجمعة . فاذا اردت الخروج فاجمع أهلك وولدك وادع بدعاء السفر ، وإغتسل قبل خروجك وقل حين تغتسل كذا وكذا . فاذا خرجت فقل كذا وكذا . ولا تدهن ، ولا تكتحل حتى تأتي الفرات ، وأقلّ من الكلام والمزاح ، وأكثر من ذكر الله تعالى ، وإياك والمزاح والخصومة . فاذا كنت راكباً أو ماشياً فقل ... فاذا خفت شيئاً فقل ... فاذا أتيت الفرات فقل قبل أن تعبره ... ثم أعبر الفرات وقل ... ثم تأتي نينوى فتضع رحلك بها ، ولا تدهن ولا تكتحل ، ولا

تأكل اللحم مادمت مقيماً بها . ثم تأتي الشط بحذاء نخل القبر وإغتسل وعليك الوقار وقل وأنت تغتسل ... ثم إلبس أطهر ثيابك ، فاذا لبستها فقل ... ثم إمش حافياً وعليك السكينة والوقار « فانك في حرم من حرم الله وحرم رسوله »[1] وعليك بالتكبير والتهليل لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم .. ثم إمش قليلاً وقصّر خطاك ، فاذا وقفت على التل فاستقبل القبر فقف وقل ... ثم إمش عشر خطوات وكبر ثلاثين تكبيرة وقل وأنت تمشي ... ثم إمش قليلاً وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهليل والتمجيد لله ، والتحميد والتعظيم لله ولرسوله (ص) وقصّر خطاك .

فاذا أتيت الباب الذي يلي المشرق فقف على الباب وقل ... ثم تدنو قليلاً وقل ... ثم ادخل الحائر وقل حين تدخل . السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحائر بأذن ربهم ، السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحائر يعملون ولأمر الله مسلّمون ... ثم إمش وقصّر خطاك حتى تستقبل القبر ، واجعل القبلة بين كتفيك واستقبل بوجهك وجهه وقل ... ثم ضع خدك الايمن على القبر وقل .. ثم ضع خدك الايسر على القبر وتقول ... ثم تدور من عند رجليه الى عند رأسه ... ثم تحوّل عند رجليه وضع يدك على القبر وقل ... ثم تضع خديك عليه وتقول ... ثم صر الى قبر علي بن الحسين فهو عند رجل الحسين (ع) فاذا وقفت عليه فقل ... ثم انكب على القبر وضع يديك عليه وقل ... ثم ضع خدك على

---

(١) هذه الفقرة في رواية ابن أبي قاختة ص ١٩٨ من كامل الزيارة .

القبر (قبر علي بن الحسين) وقل ... ثم تدور من خلف الحسين عليه السلام الى عند رأسه وصلّ عند رأسه ركعتين ... ثم تنكب على القبر وتقول ... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومىء اليهم أجمعين وتقول ... ثم دُر في الحائر وأنت تقول ... »[1]

هذا هو حائر الحسين عليه السلام ، وتلك هي مناسكه ، ومراسم إتيانه ، وآداب زيارته كما وضعته له الأئمة الاطهار منذ أول عهده تعظيما وتجليلاً لشعائره الاسلامية العالية . أليس من الغريب أن هذا المشعر الاسلامي العظيم وهذا المركز الديني العميم يُعامل اليوم بما لا يليق بمقامه وكرامته الدينية السامية فيهدم أهم آثاره وتوابعه من المساجد والجوامع والمدارس الدينية والمعاهد العلمية الكثيرة وأكثرها من الآثار الفنية المهمة وكانت تحيط بالحائر المقدس من كل جانب إحاطة النجوم بالبدر ، فتهدم مرةً واحدة جميع هذه الآثار التاريخية والدينية لأجل فتح شارع واسع يدور حول الصحن الشريف وينشأ فيه الحوانيت المختلفة والمقاهي ومحلات العطالة واللهو في أطراف الحائر من كل جانب فيكون ملهى للناس يدورون في الاعراس بالآت الطرب والطبول في السيارات حول هذا المشعر الاسلامي العظيم كما وقع بالفعل منذ شهرين وسيقع مثله في المستقبل . ثم جُلبت أنظار الاوقاف العامة أن تستملك لها جميع العرصات الواقعة حول الحائر على جانبي الشارع لبناء الحوانيت فيها من موارد الاوقاف العامة فتصبح حي كربلاء من موقوفاتها . وهذا المشعر الاسلامي العظيم الذي يلزم للانسان فيه

---

(١) راجع : كامل الزيارة من صحيفة ٢٢٢ الى ٢٤٥ .

« التوقير لأخذ ما ليس له » حسب ما جاء في رواية محمد بن مسلم المتقدمة أصبح اليوم ولا إحترام لأملاك الناس وحقوقهم فيه فتهدم مرةً واحدة لفتح الشوارع شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ومن كل جهة فيه وذلك بدون أي حساب او تعويض لمجرد الشهوة والارادة لدى الموظفين الاداريين . ذلك هو الحائر المشعر الاسلامي العظيم في آدابه ومناسكه ومنزلته فاصبح اليوم هذا .

الفصل السابع

الحائر ومواسم زيارته

لما كان الحائر من الاماكن الدينية المعظمة وإعترفت الأحاديث بفضله ونوّهت عن قدره ، وإعتبرته ثالث الحرمين في الاسلام وله ما لتلك من المكانة والمنزلة عند الله أصبح الحائر مزاراً عاماً للمسلمين يُزار كما يُزار بيت الله الحرام ، ولكن الفرق أن هذا يزار مرةً واحدة في السنة فيزوره من يستطيع اليه سبيلا على الأكثر ، وذاك يزار مراتٍ عديدة في السنة وحثّت الاخبار على الاكثار من زيارته مدة الحياة لما عدّوا لزائره في كل مرة من الثواب ما يعدل حجة واحدة وأكثر .

وللحائر نوعان من الزيارة : زيارة إعتيادية وزيارة رسمية . أما زيارة الحائر الاعتيادية فانه يزار في كل وقت دون تحديد لزيارته ، فيزار في الليل كما يزار في النهار ، ويزار قبل الفجر كما يزار بعد الزوال وقبله ، ويزار بعد العصر كما يزار قبل العشاء أو بعده لأن أبوابه مفتوحة

للزائرين من مختلف الشعوب والأقوام بدون أي إستثناء من قبل طلوع الفجر الى قبل منتصف الليل طول السنة في الشتاء والصيف على حدٍ سواء . وعدا هذه الزيارات الاعتيادية فان للحائر في السنة من حيث المجموع ثماني زيارات رسمية يزار فيها الحسين عليه السلام بصورة عمومية وهي التي تسمى بالزيارات المخصوصة ، فيقصده الشيعة من كل حدبٍ وصوب من البلاد القريبة والنائية . وفي فضل أكثرها أحاديث كثيرة وردت عن ائمة بيت الرسالة ، وهذه الزيارات الرسمية العمومية إبتداءً من أول السنة الهجرية الى آخرها هي : ١ ـ زيارة يوم العاشر من محرم وهي التي تعرف بزيارة عاشوراء ، ٢ ـ زيارة الأربعين في العشرين من صفر وتسمى ايضاً بزيارة « مرد الرأس الشريف » ، ٣ ـ زيارة أول رجب ، ٤ ـ زيارة نصف رجب ، ٥ ـ زيارة نصف شعبان ، ٦ ـ زيارات ليالي القدر في ١٩ و ٢١ و ٢٣ رمضان ، ٧ ـ زيارة عيد الفطر ، ٨ ـ زيارة عرفة وعيد الأضحى .

وهذه الزيارات الثمانية ليست كلها على درجةٍ واحدة من تهافت الناس وإقبال الزائرين على زيارة كربلاء من الأقطار القريبة والنائية فبعضها أعمّ من البعض الآخر . ففي البعض منها يخفّ وفي البعض منها يشتدّ الازدحام فيفوق الموقف بمكة المعظمة أضعافاً مضاعفة ، بحيث لا يبقى من شدة الزحام محطّ للارجل في هذه المدينة المعظمة على سعتها . وشدة الازدحام الخارق الشاذ في بعض المواسم من بعض السنين هي التي كانت بالظاهر سبباً لاصرار الحكومة الى تلك الدرجة على فتح تلك الشوارع

العظيمة التي خرقت بيوت الناس وأملاكهم إلى مسافة بعيدة وقضت نهائياً على المعاهد العلمية ، والمعابد الدينية ، والأماكن الأثرية والفنية والتاريخية التابعة للحائر المقدس وبهدمها تجردت كربلاء اليوم من منزلتها العلمية الرفيعة التي كانت قد هيئتها لها القرون السالفة تدريجياً بمرور الزمن على يد الأمراء والملوك السابقين من البويهيين في العصر العباسي والجلائريين ثم الصفويين والقاجاريين في العهد المتأخر ، فكانوا قد زوّدوا الحائر المقدس بتلك الآثار الفنية ، وتلك المعاهد العلمية ، وتلك المدارس الدينية الاسلامية فقضت عليها معاول الهدم مرة واحدة في الأشهر الأولى من هذه السنة على يد عبدالرسول الخالصي متصرف لواء كربلاء باسم الاصلاح والتخفيف عن الزائرين . وقد جرى هدمها بدون أي إشفاق على حفظ آثارها الفنية الثمينة أثناء الهدم كأنهم يهدمون أكواماً من تراب لا أماكن أثرية ذات قيمة فنية وتاريخية ولكن عدم تقدير الفن والتاريخ دعا إلى مثل هـذا العمل . وقد كان بالامكان ـ حسب الظاهر ـ فتح هذه الشوارع وتجنب تلك الخسارة العظيمة للحائر بابعاد المشروع عشرين متراً عن جدران الصحن المقدس فكان الشارع يتم ، والغرض يحصل ، وتوابع الحائر كانت تبقى محفوظة أيضاً . ومن لطيف الحديث فقد سئلناه عن سبب عدم إبعاد المشروع عن منطقة المعاهد الدينية كما جرى بالفعل في خراسان ، فقال : إن فتح الشارع في وسطها كان يكلف أقل ، وهذه نظرية غالية لا جواب لها إلا السكوت ، ولكن هل تعوّض الحكومة كربلاء عن هذه الخسارة العظيمة التي ألحقت بالحائر المقدس فتبني لها المعاهد والمدارس الدينيـة

بدلاً عن تلك ؟ نحن لا نشك في حسن نية حكومتنا الوطنية وسوف أنها تقدم على ذلك سريعاً لما تحمله من الاحترام والتعظيم نحو الحسين عليه السلام وحرمه المطهر . إذ لا يخفى على الحكومة الموقرة بأن الذين تبنّوا قضية كربلاء ليس لهم أي صلة بها حتى ولا بالذي يشرّفها .

وأما البحث في الزيارات الرسمية أو المخصوصة للحائر المقدس فهي كما يلي :

١ ـ زيارة عاشوراء ، وهي زيارة الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من محرم من كل سنة إذ أنه اليوم الذي قتل فيه هو وأصحابه الكرام على ساحة هذه الأرض في عام ٦١ من الهجرة . فيفد إليه الزائرون من أول يوم من المحرم إلى الثالث عشر منه وهو يوم « ثالث الامام » لما ورد في فضل زيارته في اليوم العاشر من أحاديث فمنها ما رواه جابر الجعفي وهو من ثقاة الأصحاب عن الصادق (ع) : « ومن زار قبر الحسين (ع) يوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه . كامل ١٧٣ » أو ما رواه المدايني عنه : « من سقى يوم عاشوراء عند قبر الحسين (ع) كان كمن سقى عسكر الحسين (ع) وشهد معه . كامل ١٧٤ » . وغيرها من الروايات في فضيلة زيارته في ذلك اليوم إذ كان ذلك إعلاناً لأمرهم وإحياءً لقضيتهم وحياةً للدين والاسلام بعد ما اقترفته تلك الفئة الباغية من الاجرام الفظيعة في مثل ذلك اليوم . ولذلك تكثر فيه الجماعات وتزداد الاجتماعات ، وتقام المآتم في كربلاء وغيرها من الأقطار في طول البلاد الاسلامية وعرضها ، حتى وأن الهندوس في الهند على ما يروى

يغرقون الأطعمة والمآكل ، ويسقون الناس الشرابت والحليب المحلّى بالسكر ، ويدخلون النيران على حب الشهيد . فان قضايا يوم عاشوراء لمن أغرب القضايا في العالم ولا مجال للاطالة فيها .

٢ ـ زيارة الاربعين ، وهي في يوم عشرين صفر من كل سنة ، وهي من أعظم زيارات كربلاء إذ تحتشد فيها مئات الالوف من الزائرين الذين يشدّون الرحال اليها من مختلف الأقطار الاسلامية القريبة والنائية ، فيزورها خلق عظيم على الأخص من المدن العراقية من الشمال إلى الجنوب فتسير فيها المواكب العظيمة باسم « مواكب الانصار » يتراوح عدد من يسيرون في كل موكب منها بين الخمسمائة والالف نسمة . فيخرج كل موكبٍ من العزاء بكل سكينة ووقار في مظهر من الحزن العميق البادي على الوجوه حاسري الرؤوس وحافي الاقدام ، مرتدين الملابس السود علامة الحداد ، يبكون ويلطمون على الصدور والخدود يعزّون النبي بقتل سبطه الحسين عليه السلام ، محتجين على جفاء الأمة له ، وتخفق الرايات السود شعار العزاء والحزن أمام كل موكبٍ وقد كتب عليها بالكتابة الواضحة إسم الموكب والبلد الذي ينتمون إليه . وهذا الحزن العظيم على الشهيد هو الذي إقتلع من أعماق قلب أحمد أمين مؤلف كتاب « فجر الاسلام » تلك الصرخة المتألمة الداوية بأن « الشيعة قد صبغوا مذهبهم بالحزن العميق » لأنه ما يرى في ذلك إلا تقضيحاً علنياً لنزعته الأموية المكينة . وقد تحتفل الشيعة بهذا اليوم هذا الاحتفال العظيم لسببين: وصول أهل البيت كربلاء في مثل هذا اليوم وهم في طريق العودة إلى المدينة

وقد سبقهم إليها في نفس اليوم جابر بن عبدالله الأنصاري وجماعة من بني هاشم . والثاني أن الرأس المطهر قد ردّ إلى البدن وذلك تسمى بزيارة « مرد الرأس » . وقد يتراوح عدد الزائرين لكربلاء في هذه الزيارة بين نصف المليون وثلاثة أرباع المليون ، وقد بلغ هذا المبلغ الأخير في عام ١٣٦٥ هـ كما أحصتها جريدة « الأخبار » البغدادية بعددها ١٥٤٦ المؤرخ يوم الأحد ٢٣ صفر ١٣٦٥ الموافق لـ ٢٧ / ١ / ١٩٤٦ تحت عنوان « يوم الأربعين في كربلاء » وهو عدد جسيم لم يبلغ ثلثه عدد حجاج بيت الله الحرام في السنوات التي يكثر فيها الحاج .

٣ ـ زيارة أول رجب ، وهي من الزيارات الرسمية غير أنها محلية ويكثر فيها الأعراب من أهل البادية والأرياف بالانضمام إلى الخواص من أهل المدن وورد في فضلها عن الصادق (ع) : « من زاره أول يوم من رجب غفر الله له البتة . كامل ١٧٢ و ١٨٢ » .

٤ ـ زيارة نصف رجب ، هي من الزيارات المخصوصة أيضاً يجتمع فيها خلق عظيم من أنحاء البلاد وأطرافها لما ورد فيها من أحاديث تحث الشيعة على زيارة الحسين (ع) في النصف من رجب ومثله في النصف من شعبان مثلما رواه محمد بن أبي نصر البزنطي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال : « سئلت أبا الحسن الرضا (ع) في أي شهر نزور الحسين عليه السلام ؟ قال: في النصف من رجب والنصف من شعبان . كامل ١٨٢ » .

٥ ـ زيارة نصف شعبان ، وهي بلا ريب أهم وأعظم وأقدم الزيارات لكربلاء إذ نجد لها مستندات تاريخية في طيات الكتب تدلنا على تهافت

الناس في العصر الأول على زيارة الحائر المقدس في النصف من شعبان ، وإلى اليوم هي من الزيارات التي يكثر فيها الزائرون بكثرة متزايدة تفوق أحياناً الزيارات الأخرى في العدد والكيفية ، فيقصده الزائرون من أنحاء البلاد الاسلامية القريبة والبعيدة وقد سبق فضل زيارته عليه السلام في مثل هذا اليوم ، ومثل ذلك ما رواه صافي البرقي عن الصادق (ع) أنه قال : « من زار أبا عبدالله الحسين عليه السلام ثلاث سنين متواليات لا فصل فيها في النصف من شعبان غفر الله له ذنوبه . كامل ١٨٠ » .

٦ ـ زيارة ليالي القدر ، وقد يكثر الزائرون ليلة ١٩ و ٢١ و ٢٣ رمضان لزيارة الحائر المقدس من أطراف البلاد ولا سيما من المدن العراقية وبعد ذلك يتوجهون إلى زيارة النجف الأشرف .

٧ ـ زيارة عيد الفطر المبارك ، كذلك هي من الزيارات التي يزورون فيها الحائر بكثرة لاسيما الخواص من الناس .

٨ ـ زيارة عرفة وعيد الأضحى ، وهـذه الزيارة هي مفتتح الزيارات المهمة التي تليها في المحرم وصفر ولذلك تتوجه النفوس بكثرة إلى كربلاء في عرفة لاسيما من بلاد ايران لتدرك بعدها زيارة عاشوراء والأربعين . وهذه الأشهر الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر هي أهم مواسم زيارة الحسين عليه السلام . ومما جاء في حث الأئمة على زيارته في عرفة ما رواه يعقوب بن عمار عن الصادق عليه السلام قال : « من فاتته عرفة بعرفات فادركها بقبر الحسين (ع) لم يفته وإن الله تبارك وتعالى ليبدأ بأهل قبر الحسين قبل أهل العرفات ، ثم قال : يخالطه بنفسه أو في نفسه . كامل ١٧٠ » .

وهذه خلاصة عن مواسم زيارات الحائر الرسمية خلال كل سنة وكانت بحاجة تامة إلى الشرح والبسط من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرانية لما لهذه الزيارات من التأثير الفعلي ولكن لضيق المجال أجلنا الاسهاب فيها .

الفصل الثامن

الحائر وأول من سكنه من الاشراف العلويين

ظهر مما تقدم في الفصول السابقة أن الاقبال على الحائر أخذ يزداد يوماً فيوم من بعد وقعة الطف بفعل العقيدة والايمان وصار الناس من مختلف الشعوب والأقوام يتهافتون على زيارته من الأماكن القريبة والنائية . وسرعان ما أصبح الحائر المقدس من المعابد الدينية ومن المدن الاسلامية ذات المنزلة العظيمة في النفوس . ونظراً لموقعه الجغرافي والاقتصادي في وسط الأرياف العامرة على ضفة الفرات وحافة البادية المتصلة بالأقسام الغربية من بلاد الهلال الخصيب أصبح محطاً للرحال ومركزاً نشطاً للحركة التجاريه بين مختلف المدن في هذا القسم الجنوبي من العراق كما نوهنا عنه في فصل « التحقيق في إسم الحير تاريخياً » فيما سبق .

وهذا من ناحية إقبال الناس ونشاط الحركة التجارية من بعد الوقعة فبقي أن نعرف الأسر العلوية التي جاورت الحائر لأول مرة بدافع

العقيدة والصلات النسبية والمعنوية فان أول من جاوره من الاشراف الحسينية هم حسب الظاهر آل ابراهيم المجاب المعروف بابراهيم الضرير الكوفي إبن محمد العابد إبن الامام موسى الكاظم عليه السلام . فان آل ابراهيم المجاب هم اول من سكنوا الحائر ولم يتقدم عليهم أحد في المجاورة من العلويين، لأن علماء النسب كلهم ينسبون إبنه محمداً بالحائري بينما يصفون ابراهيم المجاب نفسه بالكوفي . ولعل ابراهيم المجاب جاور الحائر ايضاً مع ولده فمات به ودفن فيه لأن قبره الآن في الزاوية الشمالية الغربية من الرواق وهو معروف بقبره وعليه ضريح لطيف الصنع من البرونز . وكون ابراهيم المجاب هو دفين الحائر امر متفق عليه ، وقد كتب السيد الشريف النسابة احمد بن علي بن الحسين الحسني في كتابه « عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب » ما نصه : وقبر ابراهيم المجاب في الحائر معروف مشهور ، وإنما لقب أبوه محمد بالعابد لكثرة عبادته وصومه وصلاته كما ذكر المفيد طاب ثراه في الارشاد وغيره .

وهناك خلاف بأن ابراهيم صاحب هذا القبر هل هو إبن محمد العابد أو هو ابراهيم المرتضى إبن الامام الكاظم لأن السيد بحر العلوم في كتابه في « الرجال » كتب في ضمن ترجمة السيد المرتضى علم الهدى بأنه « والظاهر ان قبر السيد وقبر أبيه وأخيه في المحل المعروف بابراهيم المجاب ، وكان ابراهيم هذا هو جد المرتضى وابن الامام موسى عليه السلام ، وصاحب أبي السرايا الذي ملك اليمن والله أعلم »[1]. وهذا

(١) راجع « نزهة أهل الحرمين » ٢٢

القول يستند حسب الظاهر على ما جاء في « عمدة الطالب ص ١٧٨ » من كلام الشيخ أبي الحسن العمري بأن ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم وهو الاصغر ظهر باليمن أيام أبي السرايا ، ولكن على قول أبي نصر البخاري فان ابراهيم الاكبر بن موسى الكاظم (ع) هو الذي ظهر باليمن وهو أحد ائمة الزيدية ولم يعقب . وهذا ما ذهب اليه السيد الشريف جمال الدين أحمد بن المهنا العُبيدلي النسابة فذكر ابراهيم المجاب في مشجرته وقال: « إنه كان عالماً عابداً زاهداً وليس هو صاحب أبي السرايا إنما ذاك أخوه الأكبر لا ابراهيم الاصغر . وذكر أن قبر ابراهيم الأصغر خلف ظهر الحسين بستة أذرع » . ويظهر من هذا بأنه لا يقصد القبر المعروف باسم إبراهيم المجاب لأنه أبعد بكثير من ستة أذرع ولا يقع خلف الظهر وإنما يقع في الشمال الغربي من الرأس المطهر . والظاهر أن قبر الشريفين الرضي والمرتضى وقبر أبيهما رحمهم الله تعالى يقع في الصفة المقابلة للضريح من خلف الظهر في شمال المسجد ولا علامة له اليوم وبهذا الاعتبار يقع ما بعد المشهد على بعد ستة أذرع تقريبا .

ولما سكنوا الحائر تفرع آل ابراهيم المجاب الى فروع ، فمن ولد محمد الحائري ابن ابراهيم المجاب في الحائر هم (آل أبي الفائز) وأبو الفائز هو محمد بن محمد بن علي بن أبي جعفر محمد الحبر إبن علي المجدور إبن أحمد بن محمد الحائري إبن ابراهيم المجاب . ومن بني أحمد بن محمد الحائري المذكور هم (بنو أبي مزن) وأبو مزن هو علي بن الحسن بن محمد بن أبي جعفر محمد بن علي المجدور إبن أحمد بن محمد الحائري

المذكور . ومنهم (آل الرضي) وهم من ولد هبة الله بن علي المجدور إبن أحمد بن محمد الحائري المذكور . ومنهم (آل الأشراف) وهم بنو علي بن هبة الله بن علي المجدور إبن أحمد بن محمد الحائري المذكور . ومنهم (آل أبي الحارث) وهو محمد بن هبة الله بن علي المجدور إبن أحمد بن محمد الحائري المذكور . وهذه الفروع الخمسة ينتمون كلهم الى علي المجدور إبن أحمد بن محمد الحائري وهؤلاء كلهم بالحائر (عمدة الطالب ص ١٩٣) .

ومن آل ابراهيم المجاب بالحائر هم (بنو أبي مضير) وأبو مضير هو محمد بن أبي تغلب بن محمد بن أبي فوزة علي بن أبي الطيّب أحمد بن الحسن بن محمد الحائري المذكور . ومنهم (آل بشير) وهو بشير بن سمد الله بن الحسن بن هبة الله بن أبي مضير المذكور . ومنهم (آل أبي مضر) وهم ولد أبي مضر محمد بن هبة الله بن أبي مضير المذكور . و (آل حترش) وهم ولد حترش واسمه محمد بن أبي مضر بن محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي المضير المذكور . ومنهم (آل أبي ريه) وهو الحسين بن أبي مضر الثاني المذكور وكلهم بالحائر إلا من شذ منهم إلى غيره . و (آل معصوم) وهو معصوم بن أبي الطيّب أحمد بن أحمد بن الحسن بن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب . وأبو الطيّب أحمد هذا هو جد آل معصوم بالحلة والحائر[1] .

وأما (آل زحيك) وقد ذكرهم الرحالة المشهور ابن بطوطة في الربع

---

(١) راجع : « عمدة الطالب » ص ١٩٣ طبع بمبي ١٣١٨ هـ

الأول من القرن الثامن الهجري في رحلته عند ذكره لكربلاء وقال فيها : « وأهل هذه المدينة طائفتان : أولاد زحيك ، وأولاد فائز وبينهما القتال أبداً وهم جميعاً إمامية يرجعون إلى أبٍ واحد ولأجل فتنهم تخربت هذه المدينة »[1] . وزحيك هو يحيى بن منصور بن محمد بن أبي الحارث محمد بن أبي محمد عبدالله بن أبي الحرث محمد بن علي المعروف بابن الديلمية أبوالحسن بن أبي طاهر عبدالله بن أبي الحسن محمد المحدّث بن أبي الطيّب طاهر بن الحسين القطمي بن موسى الثاني أبي سبحة بن ابراهيم الأصغر المرتضى بن الامام موسى الكاظم . وأول من سكن الحائر من هؤلاء هو أبو محمد عبدالله بن أبي الحرث محمد المذكور وكان بالكرخ فانتقل إلى الحائر وصار عقبه بالحائر من أربعة رجال : الاول - أبو الحرث محمد المذكور ومن ولده آل زحيك يحيى بن منصور بن محمد بن أبي الحارث محمد المذكور . والثاني - علي الحائري جد آل دخينة وهو جعفر بن حمزة بن جعفر دخينة بن أحمد بن جعفر بن علي الحائري المذكور . والثالث - النفيس ويقال لولده بنو النفيس بالحائر ، وذكر ابن بطوطة منهم الشريف الفاضل أبا عبدالله محمد بن أبي القاسم بن النفيس الحسيني الكربلائي الشهير ببلاد المغرب بالعراقي . والرابع - ابو السعادات محمد ويقال لولده آل أبي السعادات بالحائر[2] .

ومن الموسوية بالحائر (آل المليط) والمليط هو محمد بن مسلم بن موسى

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٩ طبع مصر ١٣٥٧ هـ

(٢) « نزهة أهل الحرمين » ص ٢٣ وعمدة الطالب ١٩١

بن علي بن جعفر بن الحسن الملحق بن موسى بن جعفر بن موسى الكاظم عليه السلام ، والحسن الملحق قيل له بذلك لأنه ألحق بأبيه وهو صحيح الولادة وهو جد آل المليط بالحلة والحائر كما جاء في عمدة الطالب ص ١٩٤ . وأما من بالحائر من وُلد الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد ابن الامام على بن الحسين السجاد فطوائف بنو هنفاله وهو أبو الحسن علي المعروف بابن هنفاله بن محمد بن احمد الناصر بن ابي الصلب بن يحيي بن ابي العباس احمد بن علي بن عيسى بن يحيي بن الحسين ذي الدمعة المذكور ، وهؤلاء بنو هنفاله لهم بالحائر نقابة وبأس وشجاعة كان جدّهم علي يعرف بابن هنفاله أعقب من وُلده ابي طاهر محمد وكان متوجهاً بالحائر ، فمن وُلد ابي طاهر محمد ابو الحسن علي بن محمد يقال لولده بنو هنفاله ، وطاهر بن محمد يقال لولده (بنو عيسى) لأن عقبه من عيسى بن طاهر وحده . ومنهم ابو عبدالله الحسين المقري ابن محمد بن عيسى المقري ابن محمد بن عيسى المذكور وكان يقال لولده (بنو المقري) كان كلهم بالحائر منهم (بنوطوغان) منهم السيد بدر الدين حسن بن مخزوم بن ابي القاسم طوغان بن عبدالله الحسين المقري بن محمد بن عيسى المذكور [1] . وأما (بنو الضنك) وهو ضنك بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسين الحسيني من ولد الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد فهم بالحائر . وقد قيل ان بني الضنك محمديون من ولد محمد بن الحنفية ابن امير المؤمنين (ع) كما في عمدة الطالب ص ٢٣٣ .

---

(١) عمدة الطالب ص ٣٣٧ و « نزهة أهل الحرمين » ص ٢٣ - ٢٤

وكان في الحائر (بنو طوري) وهو لقب أبي العز زيد الملقب بطوري بن الحسن بن أبي الخطاب زيد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد المطبقي بن عيسى بن محمد الرئيس بن علي بن عبدالله بن جعفر الطيار[1].

فكان مجموع الأسر من الاشراف العلويين الذين يسكنون الحائر اثنتين وعشرين أسرة ست عشرة اسرة منها من أولاد الامام الكاظم عليه السلام وهم آل أبي الفائز ، وبنو أبي مزن من ولد محمد بن علي المجدور. وآل الرضى وآل الاشراف ، وآل أبي الحارث من ولد هبة الله بن علي المجدور . وبنو أبي مضير ، وآل بشير ، وآل أبي مضر ، وآل حترش ، وآل أبي ريه وكلهم من ولد الحسن بن محمد الحائري ابن ابراهيم المجاب . وآل معصوم من ولد أبي الطيّب احمد بن احمد بن الحسن بن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب . وآل زحيك ، وآل دخينة ، وبنو النفيس ، وآل أبي السعادات وهم من ولد ابراهيم الأصغر المرتضى ابن الامام الكاظم (ع) وابراهيم الاصغر هو عم ابراهيم المجاب . وآل المليط وهم من ولد الحسن بن موسى بن جعفر بن الامام الكاظم (ع) .

وخمسة منها من ولد الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن السجاد (ع) وهم : بنو هنفاله ، وبنو عيسى ، وبنو المقري ، وبنو طوغان ، وبنو الضنك ، غير أنه اختلاف في هذا الاخير وقيل في بني الضنك انهم محمديون من ولد محمد بن الحنفية . وواحدة منها من ولد عبدالله بن جعفر الطيار وهم بنو طوري .

---

(١) عمدة الطالب ص ٣٧ و « نزهة أهل الحرمين » ص ٢٤

ومن هذه الأسر العلوية التي سكنت الحائر في أوائل عهده فان نسب أسرة مؤلف هذا الكتاب يرجع إلى أبي الفائز محمد . فهو الدكتور عبدالجواد بن السيد علي الكليدار بن السيد جواد الكليدار[1] بن السيد حسن بن السيد سليمان بن السيد درويش بن السيد أحمد بن السيد يحيى بن السيد خليفة بن السيد نعمة الله بن السيد طعمة نقيب الاشراف (وهو الواقف لفدان السادة على أولاده الذكور في سنة ١٠٢٥ هـ) ابن السيد علم الدين بن السيد طعمة (وهو الذي يقال لولده آل طعمة) ابن السيد شرف الدين بن السيد طعمة الاول نقيب الاشراف ابن أبي جعفر أحمد (أبوطراز) ابن ضياء الدين يحيى ابن أبي جعفر محمد بن السيد أحمد الناظر لرأس العين (المدفون في شفيثة والمكنى بأبي ضراس وقبره يزار وله كرامات) بن أبي الفائز محمد بن أبي جعفر محمد بن علي الغريق بن أبي جعفر محمد الحبر الملقب بخير العمال بن أبي الحسن علي المجدور بن أبي عانقة أحمد (ويقال لولده بنو أحمد) ابن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن أبي ابراهيم الامام موسى بن جعفر (ع) ابن الامام جعفر بن محمد (ع) ابن الامام أبي جعفر محمد الباقر (ع) ابن الامام أبي محمد علي بن الحسين (ع) ابن الامام السبط الحسين بن علي (ع) ابن الامام علي بن أبي

---

(١) وقد تولى سدانه الحائر المقدس في سنة ١٢٨٩ هـ وتولى السدانة من بعده في عام ١٣٠٦ هـ ابنه الحاج سيد علي الكليدار المتوفى في يوم ٢ محرم ١٣١٨ هـ وكان هذا الاخير رحمه الله على ما يروون من اوتاد عصره وأخيار زمانه فما كان يملك لنفسه شيئاً وانما كان ينفق كل ما عنده على افراد عشيرته وعلى المعوزين والمحتاجين دون ان يعلم أحد به . وقد خلف ستة اولاد ذكور .

طالب (ع) وابن البتول فاطمة الزهراء (ع) بنت محمد (ص) بن عبدالله ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي .

ومما تجب ملاحظته بهذا الصدد بأن هذا النسب الشريف من أبي الفائز محمد بن أبي جعفر محمد فصاعداً يذكره السيد الشريف النسّابة أحمد بن علي بن الحسين الحسني في كتابه « عمدة الطالب » كما تقدم . ومن أبي الفائز محمد المذكور إلى السيد نعمة الله يذكره ابن شدقم في كتابه « تحفة الازهار وزلال الانهار في نسب أولاد الائمة الاطهار عليهم الصلاة والسلام » ومن السيد نعمة الله المذكور فنازلاً في الشجرات العائلية الموجودة عند كل أسرة .

وقد تكاثرت هذه الأسر العلوية في الحائر فبلغ مجموع أفرادها من الذكور حوالي ألفين ومائتي رجل في منتصف القرن الرابع الهجري كما يستفاد ذلك مما رواه السيد بن طاوس في كتابه « فرحة الغري ص ٥٩ » وفي جملة ما رواه عن زيارة عضد الدولة الديلمي للحائر المقدس في جمادى الاولى سنة ٣٧١ من الهجرة وبذله بأنه « تصدّق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم وجعل في الصندوق دراهم ففرّقت على العلويين فأصاب كل واحدٍ منهم إثنان وثلاثون درهماً وكان عددهم ألفين ومائتي إسم ، ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم » . فيؤخذ من ذلك بأن عدد الذكور من العلويين في ذلك الوقت كان يبلغ ألفين ومائتي رجل فاذا أضفنا إليه مثل هذا العدد أوأكثر منه للاناث والاطفال بلغ عددهم من حيث المجموع خمسة آلاف نسمة من الرجال والنساء . وقد بلغ ما أنفقه

عضد الدولة من النقود على العلويين في تلك المرة مبلغ سبعين ألف واربعمائة درهم تقريباً عدا ما انفق عليهم من الدقيق والتمر والملابس بسخاء فائق منقطع النظير ، لانه كان متفانياً في حب آل البيت وتعظيم شعائرهم وحفظ ذراريهم .

الباب الرابع

أدوار الحائر التاريخية وعمارته

١ ـ الحائر وبناؤه الشامخ العظيم في هذا العصر .

٢ ـ الحائر وعمارته الاولى من بعد الوقعة في القرن الاول من الهجرة .

٣ ـ الحائر وعمارته الثانية من بعد عام ١٩٣ من الهجرة على عهد الأمين والمأمون

٤ ـ الحائر وعمارته الثالثة في أواخر سنة ٢٤٧ من الهجرة على عهد المنتصر بالله العباسي .

٥ ـ الحائر وعمارته الرابعة في عام ٢٨٣ من الهجرة على يد الداعي الصغير محمد بن زيد بن الحسن الحسني ملك طبرستان

٦ ـ الحائر وعمارته الخامسة في عام ٣٦٩ من الهجرة على يد السلطان عضد الدولة البويهي . ومقابر الملوك البويهيين في الحائر .

٧ ـ الحائر وعمارته السادسة في عام ٤٠٧ من الهجرة على يد الوزير ابن سهلان الرامهرمزي من بعد الحريق في حرم الحسين (ع)

٨ ـ الحائر وعمارته السابعة في عام ٦٢٠ من الهجرة على يد أحمد الناصر لدين الله العباسي

٩ ـ الحائر وعمارته الثامنة في عام ٧٦٧ من الهجرة على يد السلطان أويس الجلائري

الفصل الأول

الحائر وبنائه الشامخ في هذا العصر

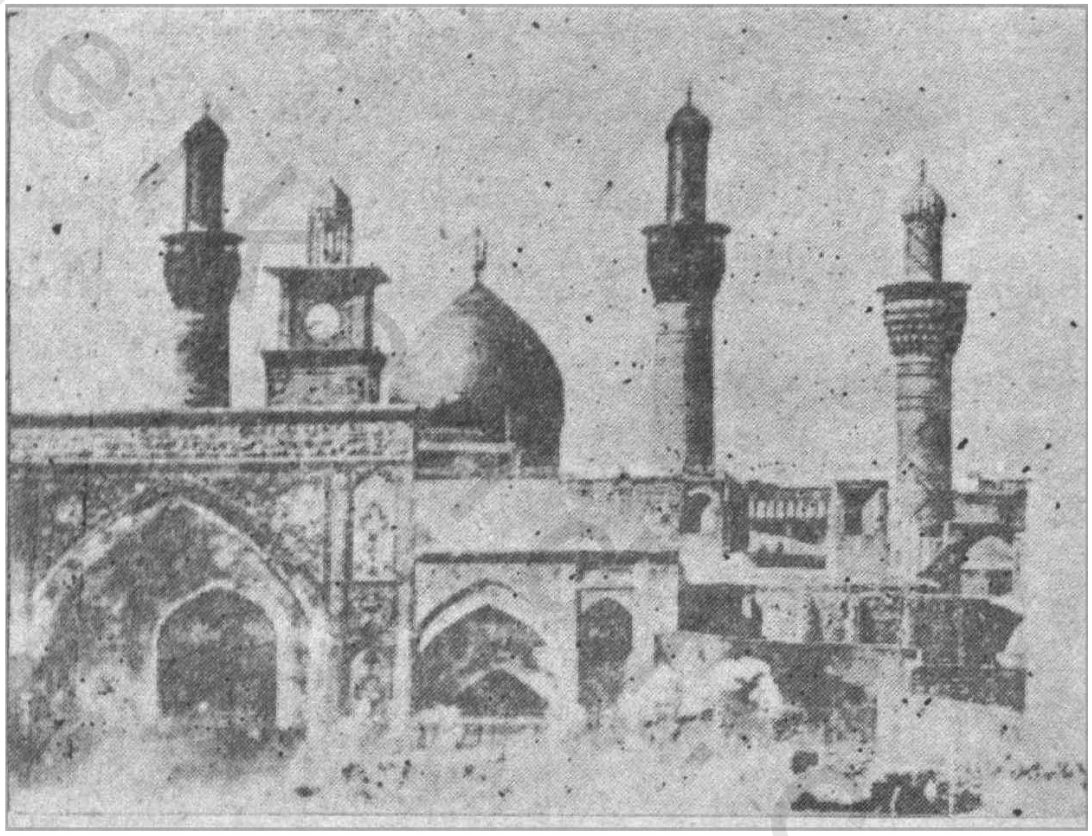

مرقد الحسين عليه السلام في كربلاء

وترى في الجهة الشرقية منه مأذنة العبد المشهورة التي هدمت في عام ١٣٥٤ هـ

إن هذا البناء الشامخ العظيم الذي يعلو اليوم على مرقد الحسين عليه السلام بحسن ريازته ، وجمال هندسته ، وإتساع ساحته ، وعظم قاعدته ، وفخامة بنيانه ، ونفاسة زخرفه ، ودقة صنعته بالمآذن والقباب الذهبية الفخمة ، وأبراج الساعات الرنّانة المرتفعة ، والذي على أسلوبه وغراره أقيم

مثله في العتبات المقدسة على مراقد أئمة العرب الهداة من العترة الطاهرة من سلالة هاشم في العراق وايران من النجف والكاظمية وسامراء ، وفي مشهد الرضا بخراسان ، فانه يرجع في الاصل إلى ذلك البناء البسيط الذي شيّد لاول مرة من بعد وقعة الطف على القبر المطهر بعد أن واروا تلك الاجساد الطاهرة في التراب فبنوا عليه سقيفة أوشبه سقيفة ، فتطورت بالتدريج تلك السقيفة البسيطة مع الايام والعصور بما أدخل عليها بفعل العقيدة والايمان من التوسع والتحسين والتجميل إلى أن بلغت إلى ما هي عليه الآن من الفخامة والعظمة والجلال ، وذلك بعد أن انتابها الهدم والخراب مرات عديدة في مختلف الظروف والاحوال على عهد الطغاة من الملوك الامويين ، والعباسيين من المنصور والرشيد والمتوكل وغيرهم .

وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على معالم كربلاء القديمة والحديثة أي من حين أن شيد أول بناء بسيط على القبر المطهر في بداية الامر إلى أن بلغ إلى ما هو عليه الآن من الفخامة والعظمة نجد ان الحائر المقدس قد بني وأعيد بناؤه خلال القرون والاجيال الماضية بأكثر من ثماني مرات كان يبنى فيهدم ، ثم يبنى من جديد ويعاد البناء مرة أخرى بأحسن وأفخم من ذي قبل ثم تهدمه الايادي العابثة . وهكذا توالى البنيان والهدم المتواليين على القبر المطهر بأكثر من ثماني مرات كما سنبحث فيه .

الفصل الثاني

الحائر وعمارته الاولى من بعد الوقعة

في القرن الاول من الهجرة

أول ما بني على القبر المطهر من بعد وقعة الطف كان على عهد الدولة الأموية . فقد بني عليه في هذا الوقت سقيفة ومسجد كان له باب شرقي وبابٌ آخر غيره . ولا يُعلم بالضبط من الذي أقام البناء على القبر المطهر لأول مرة ، وكل ما قيل بهذا الصدد هو من باب الحدس والتخمين . فزعم البعض بأن بني أسد الذين دفنوا الحسين عليه السلام هم الذين بنوا عليه المسجد[١] . وذهب صاحب « كنز المصائب » الى أن المختار بن أبي عبيدة الثقفي هو الذي قام بتشييد البناء على القبر واتخذ قرية من حوله[٢] . ولنا رأي آخر بهذا الصدد سنأتي على بيانه في كتابنا « تاريخ كربلاء العام » .

وبقي هذا البناء قائماً طيلة حكم الأمويين والمسالح قائمة من حوله لمنع الوافدين اليه من الزيارة . ولم يزل هذا البناء والمسجد الى قيام الدولة العباسية ، والقبر المطهر بعيدٌ في هذه الفترة عن كل انتهاك لانشغال العباسيين من جهة بتوطيد دعائم الملك ، ومن جهةٍ أخرى لظهور دُعاة هذه الدولة

---

(١) راجع : « نزهة أهل الحرمين » ص ١٤

(٢) راجع : ١ ـ المصدر نفسه ص ١٤ ـ ٢ ـ كنز المصائب ـ ٣ تاريخ كربلا المعلى ص ١٠ طبع النجف ١٣٤٩ هـ ـ ٤ ـ « مجالي اللطف » ص ٣٨

بادىء الأمر بمظهر القائم بارجاع السلطة الى أصحابها الشرعيين من آل البيت الطاهر ، مع العلم أن القائمين بأمر الدعوة كانوا من أهل خراسان فكان اكثرهم إن لم نقل كلهم من أنصار العلويين . ولما توطد الملك والسلطان للعباسيين وتمكنوا من التغلب على الثورات الداخلية والقضاء نهائياً على خصومهم الامويين صاروا يجاهرون شيئاً فشيئاً بمعاداة آل أبي طالب وشيعتهم معاداةً مستورة وخفيفة الوطأة في بادىء الأمر على عهد السفاح ، ثم استفحلت بصورة علنية أيام المنصور الدوانيقي بوقيعته المشهورة في وجوه وأعيان آل الحسن وابادتهم بالقتل عن بكرة أبيهم . وخفت الوطأة حيناً من الدهر على عهد المهدي والهادي لتنبعث مرةً من مكامنها بتمام القوة والشدة على عهد الرشيد الذي طارد العلويين تحت كل حجر ومدر وناهضهم أشد المناهضة فسجن كبارهم ، وفتك بساداتهم ، وأهان عظائهم، وفي أواخر أيام حياته دفعه بغضه الشديد لعلي وآله من الأحياء والاموات منهم أن أمر بهدم كربلاء وكرب قبر الحسين عليه السلام وقطع السدرة التي كانت نابتة عند القبر ليمحو بذلك كل أثر للقبر المطهر كما نقله السيد محمد بن أبي طالب في تاريخه « تسلية المجالس » بقوله : « وكان قد بني عليه (أي قبر الحسين عليه السلام) مسجد ، ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس إلا على زمن هرون الرشيد فانه خرّبه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر »[1]. فكان عمر هذه العمارة الاولى الى عام ١٩٣ من الهجرة في زمن الرشيد .

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ ر ٢٠٤ - ونزهة أهل الحرمين ص ١٦

الفصل الثالث

الحائر وعمارته الثانية من بعد عام ١٩٣

من الهجرة على عهد الامين والمأمون

والعمارة الثانية هي التي أقيمت على القبر تواً من بعد هدم الرشيد له في عام ١٩٣ هـ . وبقي هذا البناء قائماً عليه ما يقرب من أربعين سنة الى أيام المتوكل حفيد الرشيد الذي فاق جده في بغض العلويين وهدم كربلاء . ولعل هذه العمارة الثانية من بعد الرشيد هي كما يزعمها البعض للمأمون ، لانها كانت قد أعيد بناؤها في عهده الذي توجه باظهار الحب لآل البيت ، ومن ذلك انه اعترف بحق العلويين بالخلافة فأعطى ولاية العهد للامام علي بن موسى الرضا عليه السلام استرضاءً لمناصريه من أهل خراسان ، واستبدل السواد شعار العباسيين بلبس الخُضرة شعار العلويين فارتاح الشيعة الى حكمه ، واستنشقوا نسيم الحرية في عهده ، وعاشوا نسبياً عيشة هادئة في أيامه .

ومما لا ريب فيه بأن في عهد المأمون أعيد موضع القبر المطهر وأقيم للحائر بناءٌ شامخ بقي على هذا الحال الى عام ٢٣٢ هـ حين تبوء جعفر المتوكل عرش الخلافة ، وكان مفتتح عهده أن ضيّق الخناق على الشيعة وطاردهم في الآفاق مطاردة عنيفة ، وفي الخمس عشرة سنة من حكمه من عام ٢٣٢ الى عام ٢٤٧ أمر أربع مرات بهدم قبر الحسين عليه السلام وكربه ومحوه وحرثه ، أولها في مفتتح عهده في عام ٢٣٢هـ على أثر ذهاب مغنّيته الى

زيارة كربلاء في شعبان . وثانيها في عام ٢٣٦ هـ . وثالثها في السنة التالية لها أي في عام ٢٣٧ هـ . والأخيرة منها في عام ٢٤٧ هـ وقد قتل على أثر ذلك قتله قواده الاتراك باشارة من إبنه المنتصر ويأتي تفصيل ذلك في كتابنا « تاريخ كربلاء العام » . وقد أقام المتوكل المسالح طيلة حكمه على أطراف كربلاء يترصدون لكل من يأتي لزيارة قبر الحسين عليه السلام أو يهتدي الى موضع قبره الشريف فيطاردونهم ويعاقبونهم بأشد العقوبات ومنها القتل والصلب والتمثيل .

وقد وضع المتوكل يده على أوقاف الحائر وصادر أموال خزينة الحسين عليه السلام ووزّعها على جنوده قائلاً ان القبر ليس بحاجة الى الأموال والخزائن[١] . وقد أصبحت الشيعة على عهد المتوكل في كرب عظيم ولم تنل شيئاً من الحريّة إلا على عهد ابنه المنتصر الذي إشترك مع الاتراك في شوال ٢٤٧ هـ في قتل أبيه المتوكل نيرون العرب كما وصفه المؤرخون . ولم يقدم الولد على قتل أبيه إلا غيرةً وتعصباً لآل البيت الطاهر، لان المتوكل كما يحدثنا ابن خلكان وغيره من المؤرخين ، كان كثير التحامل على علي وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم ، فهدم هذا المكان - يعني كربلاء - باصوله . ودوره وجميع ما يتعلق به وأمر أن يبذر ويسقى موضع قبره ومنع الناس من إتيانه[٢] .

وقد قوى عزم المنتصر على قتل « نيرون العرب »[٣] على ما رواه

---

(١) ناسخ التواريخ ، ج ٦ ر ٤٣٨ طبعة ايران ١٣١٢ هـ

(٢) راجع : « وفيات الاعيان » لابن خلكان . ج ١ ص ٤٥٥

(٣) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٤٧ طبعة مصر ١٩٣٨ فانه يلقب المتوكل بـ « نيرون العرب »

ابن شهراشوب في « المناقب » بأنه سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام فلم يطق الصبر على ذلك . فسأل عالماً عن ذلك . فقال له : قد وجب عليه القتل ، إلا أن من قتل أباه لم يُطل عمره . فقال المنتصر : لا أبالي إذا أطعت الله بقتله ألا يطول عمري . وكان جميع ذلك في يومين[1].

الفصل الرابع

الحائر وعمارته الثالثة في أواخر سنة ٢٤٧

من الهجرة على عهد المنتصر بالله العباسي

والعمارة الثالثة هي التي شُيّدت تواً على القبر المطهر باعتلاء المنتصر عرش الخلافة في أواخر عام ٢٤٧ هـ بعد مقتل أبيه . إذ لم تنفرج الكُربة عن كربلاء إلا بقتل المتوكل وقيام المنتصر . وكان المنتصر بخلاف أبيه ورعاً عادلاً سمحاً كريماً عفيفاً أمينا يحرص كل الحرص على توفير أسباب السعادة والرفاهية للشعب ، فشيد من جديد قبر علي والحسين ، وأطلق أوقاف آل البيت التي كان المتوكل قد صادرها ، كما منع التعرض للذميين، ولكنه توفي لسوء الطالع بعد حكم لم تطل مدته غير ستة أشهر[2].

ففي تلك المدة القصيرة من حكمه تلافى المنتصر أخطاء أبيه . ويحدثنا التاريخ بما أسداه من الخدمات الجليلة نحو البيت الطاهر وشيعتهم ، ومن العناية والاهتمام بالحائر والغري ، وعدم التعرض لقبور الائمة ولقبور آل

---

(١) «المناقب» لابن شهراشوب ج ٢ ر ١٩٠ ايران ١٣١٦ ايران و«البحار» ١٠ر٢٩٦ (٢) راجع : « تاريخ العرب » السيد أمير علي ص ٢٤٨ - ٢٤٩

أبي طالب بصورة مطلقة . ومما ذكره المسعودي في « مروج الذهب » بهذا الصدد : « وكان آل أبي طالب قبل خلافة المنتصر في محنةٍ عظيمة وخوفٍ على دمائهم ، قد منعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة . وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بـ « الدبريج » بالمسير الى قبر الحسين بن علي رضى الله عنهما ، وهدمه ومحو أرضه ، وازالة اثره ، وان يُعاقب من وجد به . ثم يقول المسعودي: ولم تزل الأمور على ما ذكرنا الى أن استخلف المنتصر ، فأمن الناس ، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب وترك البحث عن أخبارهم ، وأن لا يمنع أحدٌ زيارة الحيرة وقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل أبي طالب . وأمر برد الفدك الى ولد الحسن والحسين . وأطلق أوقاف آل أبي طالب ، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم ... »[1]

وبعطفه الشديد على العلويين وآل أبي طالب أحسن المنتصر اليهم في مدة حكمه وفرق فيهم الأموال وأعاد القبور الى ما كانت عليه من قبل . فأمر ببناء الحائر من جديد بعد أن هدمه المتوكل مراتٍ عديدة في أيام حكمه . وبنى على المرقد الشريف ميلاً عالياً يرشد الناس اليه ، وشجع الناس على زيارته[2]. والعمارة الثالثة للحائر المقدس على قبر الحسين عليه السلام هي التي أمر بها المنتصر في مفتتح عهده في عام ٢٤٧ من الهجرة .

---

(١) « مروج الذهب » بهامش الجزء التاسع من تاريخ ابن الاثير ص ١٦٤-١٦٥ وقد ورد فيه اسم « الدبريج » وصوابه الدبزج كما جاء في بقية الكتب

(٢) ١ - « نزهة أهل الحرمين » ص ١٧ - ٢ - « اعيان الشيعة » ٤ ر ٣٥٠

الفصل الخامس

الحائر وعمارته الرابعة في عام ٢٨٣

من الهجرة على يد الداعي الصغير محمد بن زيد بن الحسن الحسني ملك طبرستان

والعمارة الرابعة للحائر المقدس هي التي شيدت حوالي عام ٢٨٣ من الهجرة تقريباً. لان البناء الذي أقيم على القبر المطهر في عهد المنتصر في عام ٢٤٧ - ٢٤٨ هـ كان قد سقط مرةً واحدة في ذي الحجة سنة ٢٧٣هـ. وقد سقطت سقيفة الروضة المطهرة، حسب الظاهر، دفعةً واحدة وبلا سابق انذار على الزائرين في شهر ذي الحجة من هذه السنة، فذهبت ضحيتها على ما يظهر خلق كثير نجا الكثيرون منهم. ويظهر ان الحادث وقع في موسم في كربلاء حينما كان الزوار محتشدين في حرم الحسين عليه السلام، اي في موسم زيارة العرفة التي هي حسب النصوص الواردة عن الائمة من الزيارات المخصوصة لكربلاء. وعلى هذا التقدير يكون الحادث قد وقع في اليوم التاسع او العاشر من ذي الحجه من تلك السنة. وهو يوم يكثر فيها الزائرون، ومن الذين حضروها ونجوا من الحادث هو ابو عبدالله محمد بن عمران بن الحجاج، وكان هذا على ما يظهر من سياق الخبر من وجوه أهل الكوفة لان إبن عمه أبا الحسن علي بن الحسن بن الحجاج الذي هو السند الاخير لهذه الرواية يروي بأنهم: « كانوا جلوسا في مجلس إبن عمه أبي عبدالله محمد بن عمران بن الحجاج وفيه جماعة من

أهل الكوفة من المشايخ ، وفيمن حضر العباس بن احمد العباسي . وكانوا قد حضروا عنده يهنئونه بالسلامة لانه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبدالله الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام في ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ »[1].

وهذا هو كل ما وصلنا عن الحادث دون ان نعرف اليوم هل كان سقوط السقيفة على الزائرين في الحقيقة ونفس الواقع أمراً طبيعيا في مثل تلك الزيارة العظيمة ولم يكن للسياسة اي دخل او صلة فيه ، فكان قد حصل من تلقاء نفسه لتزعزع سابق في اركان البناء او خلل في الاساس؟

ام كان للسلطة الحاكمة يدٌ في تدبير الامر من قبل كما سبقت نظائره على عهد المنصور والرشيد والمتوكل بصورة مكشوفة علنية ، وإنما اتى الهدم في هذا الدور بهذه الصورة المدبرة الغامضة ولكن بشكل اروع وافظع من ذي قبل ، لانه كان في عين الوقت هدماً للقبر المطهر وقتلاً للنفوس البريئة ممن اتوا الى زيارة الحسين عليه السلام في مثل هذا الوقت؟

ولا عجب من أفانين السياسية وطرقها الملتوية . واي نفس تطمئن إلى تدخل من لم يتصل بأي صلة بهذا البيت ؟ وكم يتحدثون اليوم[2] عن

---

(١) راجع :١- اعيان الشيعة، ج ٣ وذكر تعمير قبر أمير المؤمنين و ج٤ر٣٠٥
٢- نزهة « اهل الحرمين» ص ٢٠ نقلا عن كتاب «امان الاخطار» و«فرحة القري » للسيد بن طاووس ص ٦١

(٢) أي قبل سنتين حين كتابة هذه الفصول في أيام طاهر القيسي وكان كثير التدخل في أمور تعمير داخل الروضة المقدسة واركان القبة السامية حسب رأيه الخاص كما كانت تتحدث عنه الناس بمزيد الخوف والقلق على مصير الحائر المقدس . ومن الغريب ان اكثر المتصرفين لكربلاء من بعد عام ١٩٣٤ كانوا يبدون نشاطاً معمارياً خارقاً كأنمـــا خلقوا بنائين أكثر من اداريين . وما كان يظهر=

تزعزع في اركان القبة السامية لما اجرى فيها من تجريد الجدران وتقليل قوة اسنادها دون أن نعرف ما يخبئه لنا الغد من مفاجئة ؟

وبعد سقوط السقيفة في عام ٢٧٣ هـ بقي الحائر المقدس مكشوفا ، حسب الظاهر ، لمدة عشر سنين إلى ان جدد عمارته في عام ٢٨٣ هـ محمد بن زيد بن الحسن بن محمد بن اسمعيل جالب الحجارة بن الحسن دفين الحاجز بن زيد الجواد بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب الملقب بالداعي الصغير . ومحمد الداعي الصغير هذا كان قد ملك طبرستان بعد اخيه الحسن الملقب بالداعي الكبير مدة عشرين سنة ، وهو الذي قام بتشييد البناء للمشهدين العلوي والحسيني بالغري والحائر على عهد المعتضد العباسي .

وقد قال محمد بن ابي طالب في كتابه « تسلية المجالس » بهذا الصدد بعد ان ذكر إعادة القبور وتعميرها في ايام المنتصر فقال : « إلى ان خرج الداعيان الحسن ومحمد ابنا زيد بن الحسن ، فأمر محمد بعمارة المشهدين ، مشهد امير المؤمنين ومشهد أبي عبدالله الحسين ، وأمر بالبناء عليهما »[1] .

إن الحسن بن زيد الملقب بالداعي الكبير ، أي الداعي إلى الدين الاسلامي ، استطاع في أوائل النصف من القرن الثالث ان يفصل بلاد

= نشاطهم المعماري الا في دائرة ضيقة ولذلك أهملت بقية شؤون اللواء الادارية لعدم وجود الوقت لدى الموظف الاداري لها ، ولذلك لم يتقدم اللواء في نواحيه الصحية والادارية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها في هذه الحقبة الاخيرة من الزمن .

(١) « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٦ ، و « نزهة أهل الحرمين » ص ٢٠ ، و « ترجمة الغري » لابن طاوس ، و « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١٤

طبرستان عن جسم الامبراطورية العباسية وينشر الدين الاسلامي بين اهلها ، وان ينادي بنفسه حاكماً عليها [١] . ومن بعده حكمها اخوه محمد الملقب بالداعي الصغير مدة عشرين سنة تقريباً تمكن من تحسين روابطه اخيراً مع المعتضد العباسي الذي حكم من عام ٢٧٨ الى ٢٩٩ وحصل منه على الموافقة ان يعمّر المشهدين الشريفين . فزار الداعي الصغير كربلاء ثم النجف الاشرف . وارسل الاموال والكنوز من بلاد العجم لتشييد العمارة عليهما . فشيّد للحائر المقدس قبة عالية لها بابان ومن حول القبة سقيفتين . ثم عمّر السور من حول الحائر وبنى المساكن . واجزل بالعطاء بقدر المستطاع على سكان ومجاوري الروضة المقدسة . وقد بالغ محمد بن زيد في فخامة البناء وحسن الريازة ، ودقة الصنعة في عمارة الحائر بما يتناسب ومنزلة مشرّفه [٢] .

وتفصيل خبر الداعيين الكبير والصغير كما جاء في « مدينة المعاجز » و « تحفة العالم » هو كما يلي :

إن محمد بن زيد بن محمد بن اسمعيل جالب الحجارة ابن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام المعروف بالداعي الصغير الذي ملك طبرستان في سنة ٢٧٣ هـ بعد ان ملكها اخوه الحسن بن زيد الملقب بالداعي الكبير الاول وكان ظهوره بطبرستان سنة ٢٥٠هـ وتوفي سنة ٢٧٠ وله كتاب « الجامع في الفقه » وكتاب « البيان » وكتاب « الحجة في الامامة » ولم يعقب . واستولى على الامر بعده ختنه على اخته ابو الحسين

---

(١) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٥٩

(٢) راجع : « مجالي اللطف » للشيخ محمد السماوي ص ٣٩ - ٤٠

أحمد بن محمد بن ابراهيم بن علي بن عبدالرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام . وكان أخو الداعي محمد بن زيد بجرجان . فلما وصل إليه الخبر زحف إلى أبي الحسين من جرجان سنة ٢٧١ فقتله وملك طبرستان . وأقام بها سبع عشرة سنة وسبعة أشهر ، واستولى على تلك الديار حتى خطب له رافع بن هرثمة بنيشابور . ثم لما بلغه أسر عمرو بن ليث توجه نحو تسخير خراسان فتقدم لدفعه محمد بن هارون السرخسي صاحب اسمعيل بن أحمد الساماني فقتله في ظاهر جرجان عند قبر الديباج محمد بن الصادق عليه السلام . وكان فاضلاً متديناً حسن السيرة . وكيف ما كان فمحمد بنى على المشهد الشريف قبّة وحائطاً حتى قيل انه أول من أظهر مشهد جده عليه السلام (يعني مشهد أمير المؤمنين) . وهو الذي أخبر الصادق عليه السلام عنه بأنه : لا تذهب الأيام حتى يبعثُ الله رجلاً ممتحناً في نفسه في القتل يبني عليه حصناً فيه سبعون طاقاً . قال حبيب الحسين سمعت هذا الحديث قبل أن يبنى على الموضع شيء (أي قبر أمير المؤمنين) . ثم أن محمد بن زيد وجه فبنى عليه ، فلم تذهب الأيام حتى امتحن محمداً في نفسه بالقتل [1] .

---

(١) « تحفة العالم » للسيد جعفر آل بحر العلوم ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ طبع النجف ١٣٥٤ .

الفصل السادس

الحائر وعمارته الخامسة في عام ٣٦٩

من الهجرة على يد السلطان عضد الدولة البويهي

ومقابر الملوك البويهيين في الحائر

والعمارة الخامسة للحائر المقدس هي التي قام بها عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه الديلمي الذي ملك بغداد بعد أبيه في زمن الطائع بن المطيع العباسي . ولم تطل أيام عضد الدولة لأن مدة حكمه كانت خمس سنين وتوفي في سنة ٣٧٢ هـ . وقد زار عضد الدولة كربلاء والنجف وبلغ الغاية في تعظيم وتجليل المشهدين الشريفين بالغري والحائر ، والقيام بعمارتهما والأوقاف عليهما . وكان عضد الدولة يزور كربلاء والنجف في كل سنة . وقد ازدهرت كربلاء في عهده وعهد البويهيين ، وتقدمت معالمها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فاتسعت تجارتها ، واخضلّت زراعتها ، وأينعت علومها وآدابها ، فدبّت في جسمها روح الحياة والنشاط ، فتخرّج منها علماء فطاحل وشعراء مجيدون ، وتفوّقت في مركزها الديني المرموق.

وقد أطنب ابن الأثير في تاريخه في مآثر عضد الدولة وما تقدم به من الخدمات الجليلة نحو الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، ونحو المشهدين المقدسين في الحائر والغري . ولا تنكر أعماله العظيمة ومآثره الاسلامية الجليلة فقد بالغ في تشييد الأبنية حول المشهد الشريف في الحائر فجدد تعمير

القبة ، وشيّد الأروقة من حوله ، وبالغ في تزيينها وتزيين الضريح بالساج والديباج ، وعمّر البيوت والأسواق من حول الحائر ، وعصم مدينة كربلاء بالأسوار العالية فجعلها كحصن منيع . ثم اهتم بالماء لسكان البلد والضياء للحائر المقدس ، فساق المياه الجارية للطف من مسافات بعيدة ، وخصص أوقافاً جارية للانارة والاضاءة [١] . فأحيا كربلاء من جديد باخلاصه لآل البيت الطاهر بعد أن كادت تلفظ أنفاسها الأخيرة من سياسة العباسيين الجائرة وأساليبهم الهدامة للحائر .

وجاء ذكر عضد الدولة وبنائه قبة الأمير وقبة الحسين (ع) في رسالة للشيخ بهاء الدين العاملي في « معرفة شهور السنة » وفي أحوال شهر شوال يقول : « وفي الثامن من شوال توفي السلطان الفاضل عضد الدولة الديلمي وذلك في سنة ٣٧٢ هـ وكان رحمه الله شديد الرسوخ في التشيع ومن بنيانه قبة أمير المؤمنين وقبة الحسين (ع) »[٢] .

وقد جاء وصف إحدى زيارات عضد الدولة للحائر المقدس والنجف الأشرف في « فرحة الغري » و « تحفة العالم » بما نصه : « كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الأولى سنة ٢٧١ وورد مشهد الحائر لمولانا الحسين صلوات الله عليه لبضع بقين من جمادى الأولى . فزاره صلوات الله عليه وتصدّق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم ، وجعل في الصندوق دراهم ففرّقت على العلويين

---

(١) راجع : « مجالي اللطف » ص ٤٠ (٢) راجع : كتاب « تظلم الزهراء » المؤلف وعام ١١٨ هـ لرضي الدين القزويني ص ٢٢٢ طبع طهران ١٣١٢هـ .

فأصاب كل واحدٍ منهم إثنان وثلاثون درهماً ، وكان عددهم ألفين ومائتي اسم . ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم . وفرق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة ألف رطل ، ومن الثياب خمسمائة قطعة . وأعطى الناظر عليهم ألف درهم . وخرج وتوجه إلى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرخ ودخلها وتوجه إلى المشهد الغروي يوم الاثنين ثاني يوم وروده ، وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحدٍ منهم أحد وعشرون درهماً ، وكان عدد العلويين ألفاً وسبعمائة اسم ، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة وألف درهم ، وعلى المترددين خمسمائة وألف درهم ، وعلى الناحية ألف درهم ، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم ، وعلى المرتبين من الخازن والبواب على يد أبي الحسن العلوي وعلى يد أبي القسم ابن أبي عابد وأبي بكر بن سيّار رحمه الله »[1] .

وفي أيام عضد الدولة قام عمران بن شاهين في الحائر ببناء المسجد والرواق المعروف بـ « رواق عمران »[2] . وعمران بن شاهين هو بالأصل من أهل الجامدة ارتكب جريمة فاضطر أن يهرب منها إلى البطائح في الجنوب خوفاً من السلطان ، فاستفحل أمره هناك بالتدريج فشكل له إمارةً مستقلة بالبطائح خلفوه عليها أولاده في الحكم . وفي أيام عضد الدولة شقّ عليه عصا الطاعة فالتجأ بحرم أمير المؤمنين (ع) وعفى عنه عضد الدولة . وهو الذي « بنى الرواق المعروف برواق عمران في المشهدين الشريفين

---

(١) راجع : « رحلة الغزي » ص ٥٩ و « تحفة العالم » ج ١ ص ٢٧٣

(٢) « مجالي اللطف » ص ٤٠ و « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٦

لغروي والحائري على مشرفها السلام [١] » . وقيل في سبب ذلك إنه « نذر لله تعالى إن نجّاه من بأسه أن يبني له في كل من المشاهد الثلاثة في النجف والحائر والكاظمية مسجداً . فلما نجا منه بنى المساجد المذكورة . وكان مسجد النجف متصلاً برواق الحرم المقدس ثم فصل عنه بالصحن الشريف الذي بناه الشاه عباس الصفوي وله اليوم بابان : باب عند الباب الطوسي ، وباب في الصحن اندرست آثاره . ويعرف هذا المسجد حتى اليوم بمسجد عمران »[٢] .

مفاير الملوك في الحائر المقدس

إن الخدمات الجليلة التي قام بها الملوك البويهيون نحو البيت الطاهر هي مما لا تنكر ولا تنسى والتاريخ أقوى شاهدٍ على ذلك . فقد خدموا العتبات المقدسة في حياتهم باخلاص منقطع النظير ، وبعد الموت التجأوا إلى تلك المشاهد فمنهم من اتخذوا أرض النجف الأشرف لهم مقراً أبدياً ، ومنهم من استجاروا بالحائر المقدس واختاروا مدافنهم الخالدة في شرقي حرم الحسين عليه السلام حيث يقع الآن ما يسمى بالصحن الصغير لتميزه عن صحن الحسين (ع) . وهذا الصحن الصغير هو هذه الساحة المسوّرة الفخمة الأثرية القديمة من العصر العباسي الثاني ، والتي يزيّن جدرانها العالية الرفيعة ذلك الكاشاني الأثري البديع الصنع ، وتزيّن سقوف مداخلها المقرنصات الفنية البديعة المعلقة على طول السقف في شبه

---

(١) « فرحة الغري » لابن طاوس ص ٦٧ ويذكر القصة مفصلا .

(٢) « آثار الشيعة الامامية » لعبد العزيز الجواهري ص ١٢٧ طهران ١٣٤٢هـ .

اسطوانات هندسية الشكل ذات الأضلاع والزوايا المتداخلة المتنوعة والدقيقة الصنع والتركيب ، والمتلبسة كلها بأحسن تلبيس فني هندسي كامل بالفسيفساء والكاشاني المعرّق من النوع القديم الممتاز النادر والثمين لأن البناء كله يرجع إلى ألف سنة بالضبط من عهد البويهيين إلى اليوم .

ومقرنصات سقوف مداخل هذا الصحن الصغير هي على شاكلة المقرنصات الموجودة لكن من نوع أوطأ منها في سقوف بعض المداخل الأخرى لصحن الحسين (ع) وتتصل هذه البناية المجللة التاريخية ، أو الصحن الصغير كما يعبّر عنه اليوم ، من جهة الغرب بصحن الحسين عليه السلام وبينهما دهليز واسع كبير مزين تقريباً بنفس التزيين الفني ولكن من نوع أوطأ من ذلك بالفسيفساء والكاشاني القديم مما تتنافس متاحف العالم على إقتناء أمثالها . وأما من جهة الشرق فتقع على مفترق طرق البلدة الشمالية والشرقية والجنوبية بجانب السوق الكبير في قلب المدينة ، ولها مدخلان : مدخل شمالي ويدعى اليوم بـ « باب الصحن الصغير » ومدخل شرقي يدعى بـ « باب الصافي » نسبة إلى مقبرة تقع على جانب الباب وهي عائدة إلى بيت السيد مهدي الصافي من سادات ووجهاء كربلاء السابقين . ومن هذا المدخل أو الآخر يقصد الزائر عادة حرم العباس (ع) بعد أداء الزيارة لحرم الحسين عليه السلام .

وقد اتخذ الملوك البويهيون هذا المحل مدافن لهم في الحائر المقدس لتكون قبورهم على طريق الزائرين بين الحرمين الشريفين ، فشيدوا هذا البناء الهندسي الجميل الطرز والأسلوب ، وهو بمجموعه آية في الفن والصنعة

وهو من الابنية الأثرية التاريخية القديمة يرجع عهده إلى العصر العباسي في القرن الرابع والخامس من الهجرة وجعلوه من ملحقات الحائر وتوابعه . وكانت تقع بعض مقابرهم في وسط الساحة في سرداب منظم تحت الأرض والبعض الاخرى على جانبي المدخل الرئيسي الذي هو المدخل الشمالي لها وذلك في داخل حجرتين مجللتين مبنيتين بأجمل طرز من طراز المقابر القديمة وجدرانها مزينة من الداخل والخارج بالكاشاني القديم البديع الصنع ، وفي صدر كل مقبرة منها حجرة خاصة في وسطها مأذنة أثرية قديمة يرجع عهدها إلى زمن البويهيين ، وهكذا تقع على جانبي المدخل الشمالي لهذا البناء تلك المأذنتان البويهية القديمة والمنقوشة عليها الآيات القرآنية بالكتابة الكوفية وقد قطعت رؤوسها في التعميرات التي جرت خلال العصور المتأخرة حسب الظاهر فاصبحتا مخبوئتين في داخل البناء إلى حد السطح وكان لها درج لولبي من داخل المأذنة يصعد إليها، وللمأذنة الغربية منها «ديدبان» أي منظار كان يجلس فيه محافظ مقابر الملوك المراقبة والمحافظة في تلك العصور الخالية وكان ينتهي هذا « الديدبان » من المأذنة المذكورة إلى فوق مقبرة الطباطبائية الحالية من الشباك الذي كان يشرف على باب هذه المقبرة .

وهذا وصف جامع لبناء مقابر الملوك الموجود الآن في الجهة الشرقية من صحن الحسين عليه السلام عند مدخل أسواق المدينة والذي هو جزء من الحائر المقدس . ولكن ألم يوقف البويهيون مع ثروتهم الطائلة وسطوتهم الفائقة في عصرهم أملاكاً وأوقافاً لمدافنهم أو لحرم الحسين عليه السلام ؟

فأين صارت تلك الأوقاف ؟ أصارت فيما صادره السلطان العثماني مراد الرابع من أملاك الشيعة وأوقافهم عند فتحه العراق في سنة ١٦٣٨ م ؟ إذ ان المستر لونكريك الانكليزي يحدثنا في كتابه « أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٧٩ - ٨٠ طبع بغداد ١٩٤١ » بأن السلطان مراد الرابع « رسم للمفتي يحيى أن يعيد بناء قبة الشيخ عبد القادر الكيلاني وأوقفت لها أوقاف كثيرة معظمها من أملاك الشيعة » . ولعل أن خان الباشا الكبير بقرب الصحن في كربلاء وأوقاف التكية الخالدية في سوق النجف وغيرها أيضاً هي من جملة ما صادره مراد الرابع من أوقاف العتبات المقدسة . وإلا بأي مناسبة يكون للكيلاني أو لخالد بن الوليد أوقاف في العتبات المقدسة في كربلاء والنجف ؟ فأين صارت إذن تلك الأوقاف ؟ ومثل تلك الأوقاف أيضاً الأوقاف الحسينية لمأذنة العبد المشهورة التي هُدمت ظلماً في عام ١٣٥٤ من الهجرة لبناء فخامة صُوّرية زائلة من أنقاض فخامتها التاريخية الصامدة ، فكان هدمها تعميراً للآخرين .

وهذا الوصف لمقابر الملوك والصحن الصغير التابع للحائر المقدس كان قبل أن تتناولها وتتناوله معاول الهدم ، وأما اليوم فقد أصبحا في خبر كان وازيلا من عالم الوجود زوال الأوراد بسموم القيظ ، ولم يبق لها من أثر إلا في أعماق النفوس الحريصة على الآثار الفنية القديمة التي تعد مفخرة للشعب الذي يملك مثلها وكان لنا أمثالها ولم نقدرها مع الأسف . ومن الغريب الاختلاف في هذا البلد بين البلديات التي تهدم الآثار التاريخية لأتفه سبب وبين مديرية الآثار القديمة التي تبذل قصارى جهدها في

المحافظة حتى على أقل أثر تاريخي حفظاً للتاريخ ودعاية للعراق في الخارج ، فنجد كيف أن هذه تحافظ مثلا على جبهة باب بسيط لخان أورطمة بسوق العطارين في بغداد لأنها من الآثار القديمة ، وكيف أن تلك تهدم المباني التاريخية للعصر العباسي الواحدة تلو الأخرى في كربلاء بدون أي مانع أو رادع . أهذا يجري في بلدٍ واحد حفظها في جهة وهدمها في جهة أم في بلدين ؟ والحق أن ذلك لغريب جداً ولا يقبل التأويل . تعين عبدالرسول الخالصي متصرفاً لكربلاء قبل المحرم ببضعة أيام وفوراً باشر بالهدم في موسم الزيارات في ذلك الشتاء القارص في صباح يوم الأربعاء ٢٢ محرم ١٣٦٨ هـ الموافق لـ ٢٤ / ١١ / ١٩٤٨[1] سلط المعاول على الصحن الصغير تسليط القنابل الذرية فدمرها وآثارها الفنية الثمينة تدميراً خلال أقل من يومين أو ثلاث كأنه يهدم اكواماً من تراب لا أبنية تاريخية وآثاراً فنية ثمينة . فقد شاهدنا هذا الهدم وكان قد استعملوا لأجله قوات الحكومة كلها من الشرطة والمفوضين والمعاونين وفراشي البلدية والمحاسب والمهندس وأتباعه وقد سدوا الاطرق من كل صوب وقطعوا حركة المرور من كل جهة ، وكان التهديم يجري بسرعة عجيبة ، وتتطاير قطع المآذن

---

(١) وقبله كان قد باشر الموما اليه في يوم الاثنين ١٣ محرم ١٣٦٨ = ١٥ / ١١ / ٤٨ وهو يوم ثالث الامام (ع) ويوم مجيء بني أسد الى كربلاء وفيها خلق عظيم من الزائرين بهدم المدرسة الزينبية وهي من أمهات المعاهد الدينية للحائر المقدس . كما وان في يوم الخميس ١٦ محرم ١٣٦٨ = ١٨ / ١١ / ٩٤٨ باشر بهدم مدرسة السردار حسن خان وكانت أفخم وأعظم مؤسسة دينية اسلامية تخرج منها كثير من فحول أساطين العلم في كربلاء .

البويهية وكتل الجدران الضخمة في الفضاء . والسبب في كل ذلك أن البعض من رجال الدين أضربوا عن صلاة الجماعة حزناً على هدم تلك الاماكن الدينية فهددوا البعض منهم بالسوق إلى المحاكم العرفية كما وهدد الذين قطع عن بيوتهم التيار الكهربائي فيما بعد وقد بلغ عددهم ما يقرب الخمسين[1] بمثل هذا التهديد أيضاً ، كأن تلك المحاكم في نظره وجدت لا لمكافحة الصهيونية وانقاذ فلسطين من الخطر وإنما لمثل هـذه الامور التافهة ، وهدّد الآخرين منهم بالتبعيد والتسفير من العراق مستسيغاً ذلك وبهذا النوع قضى بعد ألف سنة كاملة على تلك البناية التاريخية الجليلة فأصبحت جزءاً من شارع ما كان يضر لو كان يبتعد عنها بعض الأمتار فكان الحائر المقدس أيضا يحتفظ بآثاره وتوابعه . ولا يظن أحد بان باب التفاهم كان مسدوداً مع الحكومة لان الحكومة هي التي ترأف بالاهلين وتشرف على مصالحهم وتحقق آمالهم وتمنياتهم الوطنية والدينية وقد كان للحائر بهذا الصحن الصغير من جهة الشرق مدخل ملوكي لائق الداخل والخارج من الامراء والملوك والعظماء ، وأما اليوم فقد أصبح له ذلك المدخل المنخفض المظلم المسرّح كأنه ينزل الى سرداب تحت الارض . وأما تلك البناية التاريخية الاثرية فأصبحت اليوم أرضا خالية على عرض ١٥ متراً في خمسة وعشرين متراً في شرقي المدخل الواقع في الساحة الكبيرة التي

---

(١) ولذلك عاق قطعة كبيرة على غرفة التصرفية مكتوب عليها « لا تراجعوا فى قضية الكهرباء رجاء » فاصبح البلد فى هلم وجز ع من كل جهة ، واعترض البعض عليه بأن هل يوجد متصرف غيرك حتى نراجعه فى مهامنا .

يمتد في شرقيها « شارع على الاكبر » الى حرم العباس عليه السلام فكأنها لم تكن . ولم نستعرض هذه الحوادث إلا لصلتها بالحائر وذلك لما يتحتم على المؤرخ من واجب الصدق والامانة لا لأيّ شيء آخر .

الفصل السابع

الحائر وعمارته السادسة على يد الوزير

ابن سهلان السرامي من بعد الحريق

في حرم الحسين (ع) في عام ٤٠٧ من الهجرة

تجدّدت عمارة الحائر المقدس في أوائل القرن الخامس من الهجرة للمرة السادسة ، لأن البناء الذي كان قد شيده عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي على القبر المطهر حوالي عام ٣٦٩ - ٣٧٠ هـ لم يُقدّر له البقاء فانهار هذا البناء قضاءً وقدراً أو بغيره على أثر حادثٍ غريب فجائي في الحائر الشريف ، وهو ان حدث حريقٌ هائل في داخل الروضة المطهرة أثناء الليل في شهر ربيع الاول سنة ٤٠٧ هـ إلتهمت النار أولاً التأزير والستائر ثم تعدت الى الاروقة والقبة السامية فانهار البناء بأجمعه ولم يبق منه - على ما يظهر - غير السور الخارجي وشيءٌ من الحرم .

وقد وصف الحادث وأسبابه الظاهرية بعد قرنٍ ونصف من حدوثه أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « تاريخ الملوك والامم » وهو أقرب مؤرخ اليه بقوله :

« وفي شهر ربيع الأول سنة ٤٠٧ من الهجرة إحترق مشهد الحسين

عليه السلام والأروقة . وكان السبب أن القوام أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في جوف الليل على التأزير فاحترقتاه ، وتعدت النار »[١].

ثم يصف الحادث من بعده بصورة اكثر توضيحاً وتفصيلا ابن الاثير في تاريخه في حوادث عام ٤٠٧ من الهجرة بقوله :

« وفي هذه السنة في ربيع الاول إحترقت قبة مشهد الحسين والاروقة وكان سببه أنهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في الليل على التأزير فاحترق ، وتعدت النار »[٢]. وهذا الحريق في الحائر كان قد وقع حسب القرائن إما في آخر العشرة الاولى أو في أوائل العشرة الثانية من ربيع الاول الأمر الذي ينفي كونه حصل بدون مسبب وما كان القادر بالله العباسي بمعزل عن هذه الحوادث والفتن التي إنتشرت في تلك السنين على عهده في طول البلاد الاسلامية وعرضها كما سنبحث عنها ببعض التفصيل في الفصول القادمة . ولما إضطرب حبل الأمن من دسائسه إضطروا إلى إسناد منصب الوزارة إلى رجل مخلص قدير من ذوي الخبرة والمقدرة السياسية لتهدئة الاحوال ، وإعادة الامن ، وإرجاع الطمأنينة والسكينة الى النفوس ، فتعين في أوائل الشهر التالي لتلك الحوادث إبن سهلان الرامهرمزي وزير سلطان الدولة البويهي كما ذكر إبن الجوزي في تاريخه (ج ٧ ر ٢٨٢) : « وفي ربيع الآخر خلع على أبي محمد الحسن بن الفضل

---

(١) راجع : « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » لأبي الفرج ابن الجوزي ج ٧ / ٢٨٢ ط حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .

(٢) ابن الأثير ج ٩ / ١٠٢ - و « البداية والنهاية » لابن كثير الشامي ج ١٢ ص ٤ و ٥ .

الرامهرمزي خلع الوزارة من قِبلَ سلطان الدولة ، وهو الذي بنا سور الحائر بمشهد الحسين » .

فكان أول ما قام به إبن سهلان من تدارك أخطاء السياسة الجائرة العنيفة أن أمر بتجديد بناء السور للحائر المقدس كما نص عليه إبن الجوزي وابن كثير الشامي في « البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦ » . وهذا السور الذي بناه إبن سهلان للحائر في تلك السنة هو السور الذي ذكره إبن إدريس في كتاب « السرائر » عند تحديده الحائر في عام ٥٨٨ من الهجرة . فقد جدد ابن سهلان السور الخارجي وأقام العمارة من جديد على القبر المطهر بأحسن من ذي قبل ، وهذه العمارة هي التي رآها ووصفها إبن بطوطة في رحلته التي كانت في سنة ٧٢٧ من الهجرة لكربلاء . وعدا ذلك فابن سهلان هو الذي بنى السور لصحن النجف الاشرف بسبع سنين قبل بنائه سور الحائر كما يحدثنا إبن الاثير في « الكامل ج ٩ ص ٧٥ » أثناء عرضه لحوادث سنة ٤٠٠ بقوله : « وفيها - أي في سنة ٤٠٠ - مرض أبو محمد بن سهلان فاشتد مرضه فنذر إن عُوفي بنا سوراً على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام . فعُوفي فأمر ببناء سور عليه فبُني في هذه السنة وتولى بناءه أبو اسحاق الارجاني » .

فهكذا كان الامر ، أما اليوم فينذرون شبابنا حسب الظاهر بأنهم لو وصلوا كراسي الحكم يهدمون آثار الحائر وتوابعه بدون إشفاق تمائلا به ، فان إبن سهلان لم تطل أيامه بعد ذلك وقد قتل في شعبان سنة ٤١٤ على ما يرويه إبن كثير في البداية والنهاية (ج ١٢ ص ١٦) فان : « الحسن

بن الفضل بن سهلان أبو محمد الرامهرمزي وزير سلطان الدولة وهو الذي بنى سور الحائر عند مشهد الحسين قتل في شعبان منها - أي من سنة ٤١٤ - كأنه يريد أن يلمع بذلك بأن السبب في قتله كان بنائه السور للحائر المقدس وهو غريبٌ جداً .

وقد مضى أكثر من قرن واحد على عمارة الحائر السادسة التي قام بها إبن سهلان دون أن يحصل للقبر المطهر ، حسب الظاهر ، ما يستحق الذكر إلا ما حصل له في خلافة المسترشد بالله العباسي في سنة ٥٢٦ من الهجرة . فكأنما السياسة الارهابية عادت ثانية في أيامه فضاقت الارض على رحبها على الشيعة ، وكانت خزائن الحائر المقدس في ذلك الوقت قد إمتلأت بالاموال والنفائس من النذور والموقوفات ، فوضع المسترشد يده عليها وضبط لنفسه كل ما وجد في خزائن الحائر من الاموال والمجوهرات كما فعله المتوكل من قبله فانفق قسماً منها على جيوشه قائلا : ان القبر لايحتاج الى خزينة وأموال ، مكتفياً بهذا السلب دون أن يتعرض ، حسب الظاهر ، للحائر أو يمس القبر المطهر بسوء[1] وفي ذلك كان أحسن سلوكا من غيره .

الفصل الثامن

الحائر وعمارته السابعة في عام ٦٢٠

من الهجرة على يد المعظم الناصر لدين الله العباسي

لم يطرأ على الحائر المقدس - حسب الظاهر - خلال القرنين الخامس

---

(١) البحار ج ١٠ / ٢٩٧ و « نظم الزهراء » ص ٢١٩ و تاريخ كربلاء المعلى ص ١٣ .

والسادس من الهجرة من الحوادث والكوارث ما يستلزم إعادة بنائه أو تشييد عمارته من جديد عـدا ما كان من أمر المسترشد بالله العباسي من ضبط امواله وسلب خزائنه المملوءة بالنفائس والمجوهرات في سنة ٥٢٦ هـ كما سبق . فبقي البناء على ما يظهر كما شيده الوزير إبن سهلان وزير سلطان الدولة الديلمي في سنة ٤٠٧ هـ إلى أيام أبي العباس احمد الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢) . وكان الناصر لدين الله - على ما يحدثنا التاريخ - حاكماً قديراً ، وإن عصره الطويل الذي دام سبعاً وأربعين سنة كان عصر رخاء وعظمة حربيه ، فقد اسس جيشاً قوياً فكان محترماً مرهوب الجانب من جميع الامراء المجاورين له . وساد في عهده السلم وإنتشر الامن في ربوع البلاد[1].

ومضافاً الى عظمته وسجاياه الرفيعة فقد كان احمد الناصر محباً لآل بيت الرسالة الطاهر موالياً لهم بخلاف آبائه واسلافه ، وقـد جاء بهذا الصدد في « مختصر اخبار الخلفاء » لعليّ بن أنجب بأن : « الناصر بن المستضيء كان يتشيع ، ويميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه . وقـد جعل مشهد الامام موسى الكاظم عليه السلام والرضوان آمناً لمن لاذ به . فكان الناس يلتجأون اليه في حاجاتهم ، ومهماتهم ، وجرائمهم فيقضي الناصر لهم حوائجهم ، ويُسعفهم فيما أهمهم ، ويعفو عن جرائمهم »[2].

وقد إزدهرت كربلاء والعتبات المقدسة على عهد الناصر ، وتشجع

---

(١) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٣٢٨ .

(٢) راجع : « مختصر أخبار الخلفاء » لعلي بن أنجب ، ص ١٩١

الزائرون على زيارتها من كل حدب وصوب . وفي النصف قرن من حكمه الطويل شجع على تقدم الحائر ، ومع ان العمارة التي كان قد شيدها ابن سهلان الوزير على القبر المطهر في اوائل القرن الخامس لم تكن بحاجة الى التجديد ، ولكن الناصر بدافع الولاء والاخلاص أراد أن يزيدها بهاء وجلالا فامر وزيره القدير مؤيد الدين محمداً المقدادي القمي ان يقوم باصلاح شؤون الحائر وتعميره بما ويتناسب المقام . فقام الوزير في سنة ٦٢٠ من الهجرة وهي في اواخر حياة الناصر بتشييد القبر المطهر ، فشيد ذلك المقام الرفيع وكسا جدران الروضة بأخشاب الساج وزينه بالحرير الموشى والديباج[١] . كما وانه امر بمثل تلك الاصلاحات في بقية الاعتاب المقدسة ومثلها بسامراء فبنى فيها سرداب الغيبة وجعل فيه شباكا من الابنوس الفاخر أو الساج وحفر عليه هذه الآية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » وكتب على دائر باب الصفة لسرداب الغيبة إسمه وتاريخ عمله : (هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض طاعته على جميع الانام أبو العباس احمد الناصر لدين الله) . ونقش في خشب الساج داخل الصفة المذكورة على واجهة الجدار ما صورته : « بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي ولي الله ، فاطمة ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، علي بن الحسين ، محمد بن علي ، جعفر بن محمد ، موسى بن جعفر ، علي بن موسى ، محمد بن علي ، علي بن محمد ، الحسن بن علي ، القائم بالحق (ع) »[٢] .

---

(١) « مجالي اللطف » ص ٤١ (٢) « الكنى والألقاب » للشيخ عباس القمي ج ٣ ص ١٩٦ صيدا نقلا عن « أعيان الشيعة » .

والباب المنصوب في وسط شباك الصفة هو موجود على حاله لحد اليوم كأنما فرغ منه الصناع الآن ، وهو من الآثار الفنية الثمينة من العصر العباسي الأخير ولا زال ينطق بمآثر الناصر لدين الله واصلاحاته الكثيرة في المشاهد المشرفة . وهكذا حفظ له التاريخ الذكر الجميل مع الثناء على أعماله ومآثره .

الفصل التاسع

الحائر وعمارته الثامنة في عام ٧٦٧

من الهجرة على يد السلطان أويس الجلائري وخلفائه

إن العمارة البويهية التي شيدها للحائر المقدس ابن سهلان وزير سلطان الدولة الديلمي في عام ٤٠٧ على أثر الحريق في حرم الحسين عليه السلام مع ما أدخل عليها الوزير مؤيد الدين محمد المقدادي القمي بأمر الناصر لدين الله العباسي من التجميل والتعمير الحديث في عام ٦٢٠ هـ عاشت - على مايظهر - أكثر من ثلثمائة وستين عاماً فاجتازت القرن الخامس والسادس والسابع إلى أواخر القرن الثامن بسلام دون أن تصاب بأذى أو تمسّ بسوء فأدركت سقوط الدولة العباسية وتشكيل الدولة المغولية من الايلخانية والجلائرية في العراق . وهي ذلك البناء الذي شاهده ابن بطوطة عندما زار كربلاء في سنة ٧٢٧ من الهجرة ووصفه في رحلته بقوله :

« ثم سافرنا إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام . وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ، ويسقيها ماء الفرات ، والروضة

المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة ، وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر ، وعلى باب الروضة الحجّاب والقوّمة لا يدخل أحدٌ إلا عن إذنهم فيقبّل العتبة الشريفة وهي من الفضة . وعلى الضريح قناديل الذهب والفضة . وعلى الأبواب أستار الحرير . وأهل هذه المدينة طائفتان : أولاد زحيك ، وأولاد فائز وبينهما القتال أبداً . وهم جميعاً إمامية يرجعون إلى أبٍ واحد . ولأجل فتنهم تخربت هذه المدينة »[1] .

وهذه العمارة الموجودة الآن على قبر الحسين عليه السلام ليست بويهية كما هو مشهور بين الناس ، لأن تاريخها يرجع إلى عام ٧٦٧ من القرن الثامن الهجري أي بأكثر من ثلاثة قرون من بعد انقضاء الدولة البويهية التي كان انقراضها في سنة ٤٤٧ هـ ، فيكون الفرق بين هذا التاريخ وبين تاريخ العمارة الثامنة أكثر من ٣٢٠ سنة . ولا هي من عمارة العباسيين لانقراض دولتهم في سنة ٦٥٦ من الهجرة أي بمائة واحدى عشرة سنة قبل هذا التاريخ أيضاً .

فقد تمت هذه العمارة في عهد السلطان أويس بن الشيخ حسن الجلائري ، فانه شيد المسجد والحرم في عام ٧٦٧ أي بأربعين سنة تماماً من بعد زيارة ابن بطوطة لكربلاء . ثم أتم بناء الحائر وأكمله من بعده ولداه السلطان حسين والسلطان أحمد . وقد وجد تاريخ هذا البناء في تلك السنة مكتوباً فوق المحل المعروف الآن عند العامة بـ « نخلة مريم »[2] في

---

(١) « رحلة ابن بطوطة » ج ١ ص ١٣٩ طبع مصر ١٣٥٧ هـ

(٢) ان طاهر الفيسي لتدخله الزائد في أمور الروضة المقدسة وآثارها وبنائها فقد أصر على رفع هذا المحل التاريخي المعروف بـ « نخلة مريم » وفي الحقيقة لا يعرف سبب تدخل المتصرفين الأخيرين في أمور تتعلق بحرم الحسين (ع) لا بادارة اللواء من نواحيها المختلفة .

الجهة الجنوبية الغربية من حرم الحسين عليه السلام مما يلي الرأس المطهر .
وقد شاهد هذا التاريخ - على ما ورد في تاريخ كربلاء المعلى - محمد بن سليمان بن زوير السليماني . وقد بقي هذا التاريخ محفوظاً في المحل المذكور إلى عام ١٢١٦ من الهجرة وهي السنة التي شنّ الوهابيون بقيادة زعيمهم ابن سعود تلك الغارة الرهيبة على كربلاء فنهبوا وسلبوا وهدموا ودمروا ما استطاعوا ، وقتلوا وذبحوا أكثر من عشرة آلاف نسمة من النفوس البريئة ما بين رجال عزل من السلاح والنساء والأطفال . وقد رفع العثمانيون في تلك السنة هذا التاريخ من محله ومحوا أثره في أيامهم .

ولم تبق عمارة السلطان أويس - حسب الظاهر - على ما كانت عليه في أول عهدها ، بل أصلحت مراراً عديدة وزيد عليها مع الأيام بالتدريج من قبل أمراء ورجال وملوك الشيعة والسلاطين العثمانيين وغيرهم كما سنبحث في الفصول القادمة .

وأما سبب قدوم السلطان أويس الجلائري إلى العراق وتجديده بناء الحائر المقدس في تلك السنة هو أن أويس ملك العراق وخراسان من بعد أبيه الأمير الشيخ حسن مؤسس الدولة الجلائرية وكانت عاصمته تبريز فولّى على بغداد عبده الأمير جان على ما ورد ذكره بهذا الاسم في تاريخ « حبيب السير » والمعروف مختصراً بـ « مرجان » وهو صاحب « جامع مرجان» الموجود في رأس سوق الشورجة ببغداد. فأراد مرجان أن يستقل بالعراق فرفع راية العصيان وامتنع عن طاعة مولاه فجهز أويس جيشاً لتأديبه ولما قرب من بغداد لم يتمكن مرجان من مقاومته لأن أعوانه تفرقوا عنه فما بقي أمامه إلا التسليم ، ولكن التسليم كان يؤل به إلى القتل، فاستشار خواص

أصحابه فيما يعمل فأرشدوه أن يلتجأ إلى حرم الحسين عليه السلام فأخذ أمواله وهرب إلى كربلاء . فدخل أويس بغداد منتصراً ، وهذا هو عين ما يحدثنا به ابن كثير الشامي في « البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٣٢٠ » بقوله :

« وفي هذا الشهر - أي شعبان سنة ٧٦٧ هـ - بلغنا استعادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من يد الطواشي مرجان الذي كان نائبه عليها وامتنع من طاعة أويس . فجاء إليه بجحافل كثيرة ، فهرب مرجان ، ودخل أويس إلى بغداد دخولاً هائلاً وكان يوماً مشهوداً ».

فاستجار مرجان في كربلاء بحرم الحسين عليه السلام ، ثم قام ببناء المأذنة المشهورة بـ « منارة العبد » في الزاوية الشرقية من الحائر مع المسجد الذي بجانبها من أمواله وجعل أملاكه في بغداد وكربلاء والرحالية وعين التمر وغيرها وقفاً للحسين يصرف وارداها على تلك المأذنة والمسجد .

ولما اطلع أويس على حقيقة أمره وعرف بأنه تبرع بما كان يملكه لحرم الحسين (ع) عفا عنه ثم أمر باحضاره فأكرمه على هذا العمل وأطلق له الأمر وأعاده إلى مقامه . وهذا هو عين ما يحدثنا به أيضاً ابن كثير الشامي بصورة موجزة في « البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٣١٩ » لأنه معاصر لها ومرت الحوادث أمامه بمشاهدة أو سماع لأنه توفي بعد ذلك بسبع سنين أي في سنة ٧٧٤ هـ وإليك ما يقوله : إن بغداد بعد أن استعادها أويس ملك العراق وخراسان من يد الطواشي مرجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له . فاتفقا أن أصل الفتنة من الأمير أحمد أخي الوزير ، فأحضره السلطان إلى بين يديه وضربه بسكين في كرشه فشقه وأمر بعض الأمراء فقتله » .

ولما رأى أويس ما قام به العبد من تعظيم لشعائر الحائر المقدس وبذل أمواله وأملاكه وقفاً عليه وكان الأولى أن يقوم هو بذلك فأقدم كما سبق على تجديد عمارة الحائر وأتمها من بعده إبناه السلطان حسين والسلطان أحمد كما جاء ملخصها منظوماً في كتاب « مجالي اللطف بأرض الطف ، ص ٤١ » للعلامة الجليل محمد السماوي أحد أعلام النجف :

ثم بنى القبة بعد الدائر ... أويس بن الحسن الجلائري
إذ جاء من مقره بجنده ... يريد بغداد لقتل عبده
أعني به مرجان إذ تمردا ... حتى إذا جند أويس وردا
فارقه من منعوه الطاعة ... فلاذ بالحسين للشفاعة
ثم بنى المسجد والمنارة ... فانتسبت للعبد ذي الامارة
وكان ذا في السبع والستينا ... من بعد سبع قد خلت مئينا
فأصدر الصفح أويس وعفا ... عن عبده إذ لاذ بابن المصطفى
وردّه بعد قليل والياً ... فنال في بغداد حكماً تاليا
ثم بنى نجل أويس أحمد ... منارتين فاستنار المشهد
حليتا من ذهب بتلوين ... فأرخوه (دوستون زرّين)[1]
يعنون تاريخاً (طلاهما ذهب)[2] ... ذلك للعجم وهذا للعرب
وشيّد البهو مع المنائر ... ووسع الصحن بهدم الدائر

ولكن هدمت « منارة العبد » هذه ظلماً في سنة ١٣٥٤ من أجل اوقافها.

---

(١) أي ٧٨٦ ﻫ وهو تاريخ بناء المأذنتين على عهد السلطان أحمد بن أويس .
(٢) وهو نفس التاريخ بالعربية أي ٧٨٦ من الهجرة .

الباب الخامس

الحائر وأدوار الهدم والتخريب

والتدمير والنهب والسلب والحرق

١ـ الحائر وما مرت عليه من الادوار المظلمة
ـ هدم الحائر لأول مرة على عهد المنصور في أوائل حكمه ـ
٢ـ الحائر وهدمه على عهد الرشيد في سنة ١٩٣ من الهجرة
٣ـ الحائر وهدمه على عهد المتوكل في أعوام ٢٣٣ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٤٧ من الهجرة
٤ـ الحائر وهدمه بسقوط السقيفة على عهد الموفق في ٩ـ١٠ ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ
٥ـ الحائر ونهبه على يد ضبة بن محمد الاسدي في سنة ٣٦٩ من الهجرة
٦ـ الحائر وهدمه حرقاً على عهد القادر بالله العباسي في ربيع الاول ٤٠٧ من الهجرة
٧ـ الحائر ونهب أمواله وخزائنه على يد المسترشد بالله العباسي في سنة ٥٢٦ من الهجرة
٨ـ الحائر ونهبه على يد المشعشعيين في سنة ٨٥٨ من الهجرة
٩ـ الحائر والهدم والحرق والنهب والقتل على يد الوهابيين في ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦
١٠ـ الحائر ومأذنة العبد المشهورة ، تاريخها وهدمها في سنة ١٣٥٤ من الهجرة

الفصل الأول

الحائر وما مرت عليه من الادوار المظلمة

توالى الهدم والتخريب ، والسلب والنهب للحائر المقدس من قبل الطغاة والجائرين ، كما توالى عليه التعمير من قبل الغيارى من المسلمين الحقيقين طبقاً لما ورد فيه من حديث عن السجاد عن النبي (ص) : « وينصبون بهذا الطف علماً لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام . وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في

محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً ، وأمره إلا علواً »[1].

والذين سعوا مباشرةً أو بغير مباشرة ، بالذات أو بالواسطة في هدم قبر سيد الشهداء (ع) وتخريبه ، وتدميره ومحو آثاره ، وتطميس معالمه ، أو التقليل من شأنه والتخفيف من مظاهره فانهم بموجب هذا الحديث النبوي الشريف على قسمين : أئمة الكفر ، وأشياع الضلالة وأتباعها . فان القائمين منهم بالأمر هم أئمة الكفر . والمنفذين للامر « أشياع الضلالة وأتباعها » كانوا مسلمين او غير مسلمين . وقد مرت على القبر المطهر منذ الصدر الأول فترات مختلفة عديدة سعت فيها أئمة الكفر وأذنابها من اشياع الضلالة في هدم قبر ريحانة الرسول، ومحو آثار الحائر، وتطميس معالمه كلها أو بعضها . فكان في كل مرة لا يزداد أثره إلا ظهوراً ، وأمره إلا علواً .

ولعل الفترة التي مضت على القبر المطهر من بعد وقعة الطف إلى أواخر الدولة الاموية كانت أهدأ دور مضى على الحائر لانهم إكتفوا ، حسب الظاهر ، بما إقترفوه نحو صاحب القبر عليه السلام من جرائم وآثام فظيعة مما حدى بعبد الملك بن مروان ان يكتب الى عامله الحجاج بن يوسف الثقفي هلاكو عصره :

« حسبي دماء آل أبي طالب فاني رأيت الموت إستوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم . فكان الحجاج يتجنبها خوفاً من زوال الملك عنهم لا خوفاً من الخالق عز وجل » . ولهذا السبب أو لغيره لم يتعرض الأمويون للقبر المطهر كما تعرض له العباسيون من بعدهم ، عدا انهم أقاموا

---

(١) راجع « الحسين عليه السلام » لعلي جلال ج ٢ / ٢٠٢ مصر ١٣٤٩
و« مواسم الأدب » لجعفر بن السيد محمد العلوي ج ١ / ٤٧ مصر ١٣٢٦

المخافر والمسالح المدججة بالعتاد والسلاح والرجال على اطراف كربلاء لمطاردة الزوار ومعاقبتهم بأقسى العقوبات من القتل والصلب والتمثيل بهم . ولكن بدأت العاصفة بقيام الدولة العباسية على أثر إنقراض الأمويين . فسنّ العباسيون قانون التعرض للحائر المقدس وهدمه وهم أول من سنّ ذلك كما سنبحث عنه فيما يلي .

هدم الحائر لاول مرة على عهد المنصور في أوائل حكمه

وأول من سنّ هـذه البدعة من العباسيين المنصور الدوانيقي فانه في رأس قائمة المعتدين على الحائر والقبر المطهر . فلما أن تم لبني العباس توطيد الملك والسلطان، واستطاعوا من التغلّب على الثورات الداخلية بالقضاء على خصومهم الامويين نهائيا انصرفوا الى الجهر شيئاً فشيء بمعاداة آل أبي طالب وشيعتهم معاداةً كانت بادىء الامر مستورة وخفيفة الوطأة على عهد السفاح مؤسس هذه الدولة ، ثم أستفحلت وإشتدت باعتلاء المنصور عرش الخلافة من بعد أخيه بوقيعته المشهورة في وجوه واعيان آل الحسن وإبادتهم بالقتل عن بكرة أبيهم تخلصا من بيعةٍ كان مطوقا بهـا لمحمد النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن المثنى . ثم تجاوزت إعتداآته من الاحياء الى الاموات منهم فدفعه بغضه للعلويين واثارهم بالتطاول على القبر المطهر :

وشيدوا البنا عليه قبـة ذات سيقفةٍ لتأوي العصبة
ثم دعا المنصور حقد أيدّ فثلّ من أحقاده المشيّد[1]

وقد أصبح عمله سنة لمن جاء من بعده فتبعه في ذلك الرشيد ثم المتوكل

(١) مجالي اللطف ص ٣٩ طبع النجف ١٣٦٠ هـ

وقد بلغ من ظلم المنصور واستهتاره حداً عارضه رجال الدين أشد المعارضه ، فأفتى إثنان من رؤساء المذاهب الأربعة المعاصرين له وهما أبو حنيفة ومالك بن أنس لأهل المدينة بأن البيعة التي أخذها المنصور لنفسه هي بيعة غير مشروعة ، لأنها أخذت منهم بالجبر والاكراه لا بالطوع والرضا . وقد زاد أبو حنيفة على ذلك فأفتى بكل جرأة وصراحة : بأن المنصور وأشباهه لو أرادوا بناء مسجد وطلبوا إليه أن يُعدّ آجره لما فعل، لانهم فاسقون والفاسق لا يصلح أن يكون إماماً . وكان هذا الحكم في نظر الكثير من المفسرين ينطبق على مدلول ما جاء به القرآن الكريم في سورة البقرة حيث قال الله تبارك وتعالى لابراهيم الخليل عليه السلام :

« إني جاعلك للناس إماماً » فسئل إبراهيم : « ومن ذريتي ؟ » فقال تعالى : لا ينالى عهدي الظالمين » . وقد بلغ المنصور ذلك فقبض على أبي حنيفة وزجّه في السجن حتى مات فيه ، وقد احتمل أبو حنيفة مرارة السجن على حساب هذه الفتيا التي كسبت له مودة الشيعة وعطفهم عليه على ما يحدثنا المجلسي في كتابه « تذكرة الائمة ص ١٣٠ »[١]

وأما مالك بن أنس فقد أوعز المنصور إلى عامله على المدينة جعفر بن سليمان أن يضربه سبعين سوطاً، ثم أنكر ذلك على عامله وأنبّه وقدّم الاعتذار إلى مالك من فعلته[٢].

---

(١) راجع كتاب THE SHI. ITE RELIGION, BY D. M. DONALDSON LONDON, 1933 -

في أحوال الامام الصادق ص ١٣٤ .

(٢) « الامامة والسياسة » لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ ج ٢ ص ١٦٢ ط مصر .

الفصل الثاني

الحائر وهدمه على عهد الرشيد

في سنة ١٩٣ من الهجرة

ومن العباسيين بعد المنصور هدم الرشيد قبر الحسين عليه السلام في أواخر أيامه ، فانه هدم الحائر ، وكرب موضع القبر المطهر ، وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده ليمحو بذلك كل أثر له . مع أن عهده كان يبشر بالخير الكثير لما أبداه في أول الأمر من سياسةٍ مماثلة لسياسة أبيه المهدي في اللين وحسن المعاملة مع أرحامه ومن العطف على الطالبيين . ولكن سرعان أن تغيرت السياسة فأسفرت عن عاصفة قوية ضد العلويين فألقى بالامام موسى بن جعفر عليهما السلام في السجن إلى أن أدركته المنية في عام ١٨٣ ، ثم ضيّق الخناق على العلويين في المدينة تأسياً بسياسة جده المنصور ، ونقض الأمان الذي أعطاه ليحيى بن عبدالله بن الحسن المثنى حين ظهر بالديلم في عام ١٧٦ فزجّه في السجن ، وقتل على الأثر جعفر بن يحيى ونكل بالبرامكة .

وفي السبعة عشر سنة الاولى من حكمه ما بين عام ١٧٠ و عام ١٨٧ لم تظهر نواياه نحو الحائر لوجود موانع حسب الظاهر ، ولكنها ظهرت في المدة الأخيرة من حكمه ، حين بلغ منه الحقد على العلويين وعلو مكانتهم في القلوب أن أغاظه ما كان من توجه النفوس وتهافت الزوار بتلك الكثرة على زيارة كربلاء ، وقد أحفظه في أواخر حياته ماشاهده لحرم

الحسين عليه السلام من النظام وحسن الادارة ، ومن التعظيم والتقديس ، والعناية التامة بأمره من قبل الخدم والسدنة القائمين بخدمة الحائر المقدس . فأمر باحضار سادنه إبن أبي داود لينال العقاب الصارم لقاء قيامه بخدمة الحسين .ولما أحضر إبن أبي داود أمامه سئله الرشيد وهو يستشيط غيظاً :

ما الذي صيّرك في الحير ؟

فأجابه : إن الحسن بن راشد هو الذي وضعني في ذلك الموضع .

فهز الرشيد رأسه من الغيظ وقال : ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن ، أحضروه . ولما حضر الحسن قال له : ماحملك على أن صيّرت هذا الرجل في الحير ؟ فقال الحسن : رحم الله من صيّره في الحير ، أمرتني أم موسى أن أصيره فيه ، وأن أجرى عليه في كل شهر ثلاثين درهماً .

فسكت الرشيد ولم يجد جواباً ، ثم قال : ردوه الى الحير ، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى (١) .

فان تغاضي الرشيد عن ابن أبي داود سادن الحرم المقدس في هذا المورد ، وأقرّ بالظاهر ما كانت قد أقرته أم موسى أم الخليفة المهديين قبل للحائر غير أن الحوادث أثبتت فيما بعد بانه عزم في تلك اللحظة على أمر من أهول وأخطر ما يكون ، فدعاه البغض الى هدم كربلاء من أساسها فأمر بهدم القبة السامية والدور المجاورة ، وأقتلاع السدرة ، وحرث الارض ليمحي بذلك كل أثر للقبر المطهر كما رواه الكثير من المؤرخين والمحدثين ، ورواه الطوسي في « الامالي » بسنده عن يحيى بن المغيرة الرازي قال :

---

(١) الطبري ج ١٠/١١٨ والحسن بن راشد من رجال الشيعة والراوي عن الصادق .

« كنت عند جرير بن عبدالحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق فسئله جرير عن خبر الناس . فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام وأمر أن تقطع السدرة ، فقطعت . فرفع جرير يديه وقال : الله أكبر ، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لعن الله قاطع السدرة ثلاثاً . فلم نقف على معناه حتى الآن ، لان القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين حتى لا يقف الناس على قبره » .(١)

ومثل ذلك ما رواه السيد محمد بن أبي طالب في كتابه « تسلية المجالس » حيث قال :

« وكان قد بني على قبر الحسين عليه السلام مسجد ، ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس إلا على زمن هرون الرشيد ، فانه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر » .(٢)

ويؤيد ما إقترفه الرشيد من الآثام نحو العلويين ونحو الحائر ما ذكره محمد بن علي المعروف بالطقطقي في كتاب « الفخري ، ص ١٧ » ما نصه :

---

(١) راجع : ١ ـ « الأمالي » للشيخ الطوسي ص ٢٠٦ طبع ايران ١٣١٣ هـ ٢ ـ « المناقب » لابن شهراشوب ج ٢ ص ١٨٩ طبع ايران ١٣١٦ هـ ـ ٣ ـ « البحار » ج ١٠ ص ٢٩٧ ـ ٤ ـ « تظلم الزهراء » ص ٢١٨ ـ ٥ ـ « مجالي اللطف » ص ٣٩ ـ ٦ ـ « أعيان الشيعة » ج ٤ ـ ٣٠٤ ـ ٧ ـ « نزهة أهل الحرمين » ص ١٦ ـ ٨ ـ « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١١ و ١٢ .

(٢) راجع : ١ ـ « نزهة أهل الحرمين » ١٦ ـ ٢ ـ « تسلية المجالس » لمحمد ابن أبي طالب ٣ ـ « أعيان الشيعة » ٤ ر ٣٠٤

« لم يكن الرشيد يخاف الله ، وافعاله بأعيان آل عليّ عليه السلام وهم أولاد بنت نبيه لغير جرم تدل على عدم خوفه من الله تعالى ». وقد جاء في المجلد العاشر من « البحار ج ١٠ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ » تفاصيل وافية عن هدم الرشيد لقبر الحسين (ع) وكرب موضعه ومحو أثره على يد موسى بن عيسى بن موسى العباسي عامله على الكوفة . اما الرشيد نفسه فلم تطل ايامه بعد هدمه الجائر فسار من بغداد إلى الري ومنها إلى خراسان فاعتل اثناء الطريق وغلط طبيبه جبريل بن بختيشوع في علاجه مما سبّب إشتداد العلة ، فشعر الرشيد بذلك وصمّم في تلك الليلة التي مات فيها ان ينتقم من جبريل شر إنتقام ويقطع اعضائه كما فصّل اخا رافع بشير بن الليث من قبل ، فاحضر بن بختيشوع ليفعل به ذلك فاستمهله هذا وقال له : انظرني إلى غد يا امير المؤمنين فانك ستصبح في عافيـة . فتدارك جبريل الأمر في تلك الليلة قبل ان يتمكن الرشيد من قتله . فمات الرشيد في ذلك اليوم السبت ٣ جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ ودفن هناك حيث اصبح بعد عشرة اعوام بالضبط مدفنا للرضا عليه السلام حفيد من كان الرشيد بالامس قد هدم مرقده وكرب قبره في اخريات حياته ، والذي بجوار تربته الطاهرة إكتسب الرشيد بالاخير الصيانة مضافا الى ذلك الشرف العظيم الذي نال مثله من قبل كلٌّ من ابي بكر وعمر بجوار تربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولا بدع فان الرسول وآله كانوا ملجأ روحانياً لمن لاذ بهم في الحياة ، ومنجى من الطوارىء الزمنية لمن سافه

الحظ أن ينال الشرف في جوارهم بعد الممات وهذا الذي دعا العقاد ذلك الكاتب العبقري العظيم أن يصوّر ذلك ببراعه الفني العظيم في شكل محاكمة تاريخية بينه وبين روح هارون بعد إثنى عشر قرن ، فيقول له :

« وكأنهم خافوا على قبرك أن ينبشه أشياع علي رضي الله عنه ، فدفنوك في قبر الامام العلوي لتأمن فيه النبش والمهانة بعد الممات . فمن عجب الدنيا أن يلوذ أبناء علي بملكك الطويل العريض فيضيق بهم ، وأن يبحث أتباعك من ملاذ يحتمى به جثمان صاحب الملك الطويل العريض بعد مماته فيجدوه في قبر واحد من أولئك الحائرين اللائذين بأكناف البلدان في غير قرار ولا أطمئنان ؟ » (١) .

إن لم تفت هذه الحقيقة على الكتاب المعاصرين ، فانها لم تفت بوقته المقارنة بين الحالين على الشعراء المتقدمين في عصر الرشيد ، فقارن دعبل الخزاعي الشاعر المعروف بينهما عند مابلغه موت الرضا (ع) بأبيات منها :

اربع بطوس علي قبر الزكي به ... إن كنت تربع من دين على فطر
قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قبر الزكي وما ... على الزكي بقرب الرجس من خور
هيهات كل إمرىء رهن بما كسبت ... له يداه فخذ ما شئت أو فذر (٢)

---

(١) راجع « مجلة الهلال » عدد اكتوبر ١٩٤٧ ص ٢٥ من مقال « حديث مع هرون الرشيد » الاستاذ العقاد .

(٢) عيون أخبار الرضا ص ٣٦٠ طبع ايران .

الفصل الثالث

الحائر وهدمه على يد المتوكل في أعوام ٢٣٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٧ من الهجرة

لم تمض اكثر من اربعين سنة على هدم الرشيد للحائر المقدس حتى كان دور حفيده في ذلك فمني الحائر بالهدم مرة اخرى على يد جعفر بن المعتصم بن الرشيد ، فانه في خلال خمس عشرة سنة من حكمه هدم قبر الحسين عليه السلام ومحر ارضه وكربه اربع مرات في فترات مختلفة تأسياً بسيرة اسلافه من المنصور والرشيد .

« وكان المتوكل يستحق ان يلقب بـ « نيرون العرب » لما تم على يده من المظالم . وقد بدأ في عهده انحلال الامبراطورية الاسلامية ، وتسرب الفساد في جسم الدولة ، بينما كان هو غارقا في لهوه وملذاته ، مستسلما لشهواته ، عاكفا على معاقرة الخمر . وقد كان عهده مقرونا بالارهاب والاضطهاد لجميع طبقات الأمة ، فقد اقصى احرار المفكرين من وظائف الدولة ، وزج برجال المعتزلة فى أعماق السجون وصادر أموالهم وأملاكهم. وبلغ من كرهه لعلي بن أبي طالب وآل بيته أن هدم قبر الحسين بكربلاء وأمر بزرعه وسقيه كما منع الناس من زيارته ، مهدداً كل من يخالف أمره بأقصى أنواع العقوبات . كذلك صادر أرض « فدك » من العلويين »[1] .

---

(١) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٤٧ و ٢٤٨ طبع مصر .

وأعلن أبو الفرج الأصفهاني عن أعمال المتوكل في كتابه « مقاتل الطالبيين » بقوله : « وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب ، غليظاً على جماعتهم ، مهتماً بأمورهم ، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم . واتفق أن فتح بن خاقان وزيره كان سيء الرأي فيهم يحسّن له القبيح في معاملتهم . فبلغ بهم ما لم يبلغه أحدٌ من خلفاء بني العباس قبله ، وكان من ذلك كرب قبر الحسين عليه السلام وعفى آثاره ، ووضع على سائر طرق الزوار مسالح لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة »[١] .

ولم يتأخر بقية المؤرخين عن إظهار سخطهم على أعمال المتوكل فقد قال كل من الطبري وابن الأثير بهذا الصدد : « وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته . وكان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم، الخ »[٢] . ومثلهما أبو الفدا في حوادث سنة ٢٣٦ من تاريخه : « وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته »[٣] .

وقد دفع به هذا البغض الشديد إلى الاعتداء على قبر الحسين (ع) فأمر بهدمه وتخريبه وكربه وزرعه أربع مرات في مدة حكمه ما بين عام ٢٣٢ وعام ٢٤٧ هـ .

---

(١) راجع : « مقاتل الطالبيين » طبع ايران ١٣٠٧ هـ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٢) راجع : « الطبري » و « ابن الأثير » في حوادث سنة ٢٣٦ هـ

(٣) راجع : تاريخ أبي الفداء ج ٢ في حوادث سنة ٢٣٦ هـ

الأول - هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام في شعبان ٢٣٣

والسبب في ذلك على ماروّاه أبو الفرج الأصفهاني في « مقاتل الطالبيين » ان : « بعض القينات [١] كانت تبعث بجواريها إلى المتوكل قبل الخلافة يغنين له إذا شرب فلما بعث إلى تلك القينة فعرف انها غائبة ، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام . وبلغها خبره فأسرعت في الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها . فقال لها : أين كنتم ؟ قالت خرجت مولاتي إلى الحج واخرجتنا معها . وكان ذلك في شعبان . فقال : أين حججتم في شعبان ؟ فقالت : إلى قبر الحسين عليه السلام . فاستطار غضباً وأتى بمولاتها فحبست واستصفى أملاكها . وبعث برجل من اصحابه يقال له الديزج كان يهودياً فأسلم إلى قبر الحسين (ع) ، وأمره بكرابه ومخره [٢] وإخراب كل ما حوله . فمضى لذلك وخرّب ما حوله ، وهدم البناء ، وكرب ما حوله نحو مائتي جريب . فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد ، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه وأجري الماء حوله ، ووكل به مسالح على سائر الطرق بين كل مسلحتين ميلٌ لايزوره زائر إلا أخذوه ووجّه به إليه فقتله أو أنهكه عقوبة »[٣].

ويظهر من رواية أبي الفرج الاصفهاني هذه ان الهدم الأول كان في أوائل حكم المتوكل في شعبان سنة ٢٣٣ . وان المسلمين لم يقدموا على هدم

---

(١) القينات جمع قينة وهي المغنية والماشطة والأمة البيضاء .

(٢) مخر الأرض كمنع : أرسل فيها الماء .

(٣) « مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الأصفهاني ص ٢٠٣ - ٢٠٤ طبع ايران ١٣٠٧ هـ و« شرح شافية الأمير أبي فراس » ص ٢٠٧ طبع ايران ١٣١٥ هـ

القبر المطهر ، وان ابراهيم الديزج اليهودي الأصل أتى بجماعة من قومه من اليهود لهذا الغرض ، وأن اليهود هم الذين باشروا في هذه المرة بهدم قبر الحسين عليه السلام ، وان الديزج حسب أمر المتوكل لم يكتف بهدم القبر وحده وإنما « خرّب ما حوله » فهدم مدينة كربلاء كلها ، وانه وكّل في اطرافها المسالح لمنع الزائرين من الزيارة بالقوة وبعقاب القتل ، وان سبب إقدام المتوكل على إرتكاب هذا العمل الفظيع كان لحرمانه لحظة واحدة من صوت المغنية في ساعة السكر والشرب . ومن هنا يقاس ما ارتكبه العباسيون من الفظائع في سبيل شهواتهم . وان القرينة تحكم بأن هذا الهدم كان في سنة ٢٣٣ أي في اوائل حكم المتوكل لأن الجارية كانت تأتيه قبل الخلافة وقد وُلي الأمر في ٦ ذي الحجة ٢٣٢ وقد بعث إليها في شعبان وكانت غائبة ، وهو حسب سياق الحديث شعبان الاول من ولايته ويؤيد ذلك ما رواه السيد محمد بن أبي طالب الحسيني في كتابه « تسلية المجالس » بعد ذكره إعادة العمارة على القبر المطهر في زمن المأمون وغيره بما هو نصه : « إلى أن حكم المتوكل من بني العباس فأمر بتخريب قبر الحسين (ع) وقبور اصحابه وكرب مواضعها وأجرى الماء عليها »[1].

الثاني - هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام في سنة ٢٣٦

وقد اعاد المتوكل الكرة على الحائر المقدس فأمر بهدمه مرة ثانية في

---

(١) راجع : ١ - « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٣٠٥ ، ٢ - « تسلية المجالس » للسيد محمد ابن أبي طالب وهذا الكتاب هو كثير الشهرة والشيوع نقل عنه كثير من المؤلفين ونقل عنه المجلسي في البحار وذكر اسم مؤلفه بالتجليل والاحترام (البحار ١٠ / ١٧٠) غير اننا لم نعثر عليه لحد الآن مع مابذلناه من السعي .

سنة ٢٣٦ من الهجرة ، ويظهر انه قد أعيد بناء القبر المطهر في هذه الفترة من بعد الهدم الأول وأعيد كذلك بناء البيوت والمنازل من حوله كسابق عهده دون ان يشير التاريخ إلى من قام بتجديد البناء على القبر المطهر في هذه الفترة القصيرة ، الأمر الذي يدل على ان الأهلين انفسهم قاموا بهذا الأمر باقامة بنيان بسيط عليه .

وقد ذكر المؤرخون كلهم هذا الهدم الثاني في سنة ٢٣٦ الأمر الذي يستدل منه على انه أشد وأعظم بكثير من الهدم الاول في سنة ٢٣٣ لظهوره وعدم إخفائه في جميع الكتب . فقد اورده كل من الطبري وابن الأثير في حوادث تلك السنة بقولها : « وفي هذه السنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور ، وان يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره ، وان يمنع الناس من إتيانه . فذكر ان عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق [1] ، فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه . وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه »[2] .

ورواه المسعودي في « مروج الذهب » بما نصه : « وفي سنة ٢٣٦ أمر المتوكل المعروف بالذريح بالمسير إلى قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وهدمه ومحو ارضه ، وإزالة أثره ، وان يعاقب من وجد به . فبذل الرغائب لمن تقدم على هـذا القبر . فكلٌ خشى العقوبة وأحجم

---

(١) المطبق ، وهو سجن باستيل العباسيين في ذلك العهد .

(٢) راجع : الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٢٣٦ .

فتناول الذبريح مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلة فيه »[١].

ومثل ذلك ما أورده ابن خلكان تعليقاً على أبيات للشاعر البسامي المعروف التي مطلعها : تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوماً بأنه نظمها لما « هدم المتوكل قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في سنة ٢٣٦ وكان المتوكل كثير التحامل على عليّ وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم . فهدم هذا المكان — أي كربلاء — بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به ، وأمر أن يبذر ويسقى موضع قبره ، ومنع الناس من اتيانه »[٢].

ومثلهم محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المصري في « فوات الوفيات » بقوله: وكان المتوكل قد أمر في سنة ستة وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضي الله تعالى عنه ، وهدم ما حوله من الدور وأن يعمل مزارع ويحرث ، ومنع الناس عن زيارته وبقي صحراء . وكان معروفاً بالنُصب ، فتألم المسلمون لذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء »[٣].

وروى الملك المؤيد أبو الفدا أيضاً في حوادث سنة ٢٣٦ بما نصه :

« إن المتوكل أمر في هذه السنة بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهدم ما حوله من المنازل ، ومنع الناس من إتيانه . وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته ، الخ »[٤].

---

(١) راجع : « مروج الذهب » المسعودي ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ . وأما قوله « الذبريح » لعله خطأ مطبعي ، والصواب « الدبرج » كما ورد في رواية أبي الفرج وغيره .

(٢) : « وفيات الأعيان » لابن خلكان ج ١ ص ٤٥٥ .

(٣) راجع : « نزهة أهل الحرمين » للسيد حسن الصدر ص ١٨ طبع الهند ١٣٥٤ هـ

(٤) راجع : تاريخ أبي الفداء ج ٢ في حوادث سنة ٢٣٦ هـ .

وهذه شهادات لعددٍ من المؤرخين بلغت حد التواتر بهدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام للمرة الثانية في سنة ٢٣٦ من الهجرة ، وسنأتي بتفصيل أوفى من ذلك في كتابنا « تاريخ كربلاء العام من العصور القديمة الى الفتح الاسلامي إلى العصر الحاضر » .

الثالث ـ هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام في سنة ٢٣٧

ولم يشف غليل الطاغية على مايظهر بهدمه قبر ريحانة الرسول الأعظم مرتين في فترة قصيرة من الزمن في اعوام ٢٣٣ و ٢٣٦ كما سبق ، فأعاد عليه الكرة في عام ٢٣٧ للمرة الثالثة . وذلك عند مابلغه ان أهل السواد ـ أي أهل العراق ـ يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فيصير الى قبره منهم خلق كثير . وقد أورد ذلك كل من تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي في كتابه « طبقات الشافعية »،[1] والقرماني في كتابه « أخبار الدول »[2] في حوادث سنة ٢٣٧ هـ : « إن المتوكل أمر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه ، وهدم ماحوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته وحرث وبقي صحراء . فتألم المسلمون لذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد . وهجاه دعبل وغيره من الشعراء فمما قيل في ذلك .

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل إبن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

---

(١) راجع : « طبقات الشافعية » لتاج الدين السبكي ج ١ ص ٢١٦ .
(٢) راجع : « أخبار الدول » للقرماني ، في حوادث سنة ٢٣٧ .

أسفوا على أن لايكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميا

وقد بلغ من استنكار الرأي العام الاسلامي واستهجانه للمتوكل وأعماله الجائرة الشائنة أن إنطلق علي بن العباس الرومي الشاعر المعروف بابن الرومي يصب جامات غضبه على بني العباس بأجمعهم في قصيدة طويلة يذم بها العباسيين ويرثي العلويين ويشير فيها إلى نبش المتوكل لقبر الحسين عليه السلام ومطلعها :(١)

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج

ثم يخاطب بني العباس ويذكر آل البيت الطاهر :

أفي الحق أن يمسوا خماصاً وأنتم يكاد أخوكم بطنه يتدمّج(٢)

تمشون مختالين في حجراتكم ثقال الخطا أكفالكم تتزجرج

وليدهم بادي الطوى ووليدكم من الريف ريان العظام خدلج(٣)

تذودونهم عن حوضهم بسلاحهم ويشرع فيه أرتبيل وأبلج(٤)

وقد ألجمتهم خيفة القتل منكم وفي القوم حاجّ في الحيازيم حوّج(٥)

---

(١) راجع : « مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الأصفهاني وهي قصيدة طويلة جداً نقتطف منها ما يخص الموضوع .

(٢) خماص جمع من خميص البطن من الجوع . وتمدج الرجل : سمن ، وتمدج أي صار كالتمجة السمينة .

(٣) الخدلج : الممتلىء الذراعين والساقين .

(٤) أرتبيل وارتبيل : رتبة عسكرية بمعنى الأمير والقائد والكلمة تركية الأصل . الأبلج : الأبيض والمفترق الحاجبين . ولكن يظهر من القرينة انه من الرتب العسكرية في ذلك الوقت . ويكون المعنى في الظاهر انكم تمنعونهم بسلاحهم عن حقهم وتعطونه الأعداء . (٥) الحيازيم : مفرده الحيزوم وهو الصدر .

ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم منها بهيم وديزج[١]

ويظهر من ذلك ان الطاغية لم يوفق في هذه المرة الى مثل ما إرتكبته يداه الأثيمة في المرات السابقة وذلك تحت تأثير الرأي العام من جهة ، ومن جهة أخرى تجاه المقاومة الفعلية الشديدة التي لاقته جنوده من قبل الأهلين في كربلاء كما رواه الكثير من الرواة والمؤرخين . وقد روى الشيخ الطوسي في «الأمالي» بسنده عن القاسم بن احمد بن معمّر الأسدي الكوفي الذي هو من علماء السيرة بأن .

« بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم ان أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فيصير الى قبره منهم خلق كثير فأنفذ قائداً من قواده وضم اليه كتفاً (أي جماعة) من الجند كثيراً ليشعث قبر الحسين ويمنع الناس من زيارته والاجتماع إلى قبره . فخرج القائد إلى الطف وعمل بما أمر وذلك فى سنة ٢٣٧ . فثار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا : لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته . ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا . فكتب بالأمر إلى الحضرة ، فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة مظهراً إن مسيره اليها فى مصالح أهلها . والانكفاء إلى المصر فمضى الأمر على ذلك حتى كانت سنة سبع وأربعين ومائتين[٢] .

---

(١) الديزج : كلمة فارسية الأصل بمعنى الخير الأدغم . وهو لقب ابراهيم الديزج الذي هدم قبر الحسين (ع) بأمر المتوكل ، وهو رجل يهودي الأصل .

(٢) راجع : ١ - « الأمالي » للشيخ الطوسي ص ٢٠٩ طبع ايران ١٣١٣ هـ ، ٢ - « بحار الأنوار » ج ١٠ ص ٢٩٦ - ٣ . « ناسخ التواريخ » ج ٦ ص ٤٣٨ طبع ايران ١٣١٢ هـ - ٤ - « نظم الزهراء » ص ٢١٧ - ٢١٨ - ٥ - « شرح الشافية » ص ٢٠٨ طبع ايران ١٣١٠ هـ - ٦ - « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٢٨٧ . والانكفاء الى المصر يعني أن يرجع من الكوفة الى بغداد .

ويظهر من هذه الرواية كما ظهر من رواية كل من إبن السبكي والقرماني إن القائد نفذ أمر المتوكل في هدم قبر الحسين عليه السلام في سنة ٢٣٧ الأمر الذي يدل على إعادة تشييد البناء على القبر المطهر مرة أخرى من بعد هدمه في سنة ٢٣٦ السابقة ولكن من الذي أعاد البناء فوراً في تلك المدة القصيرة ؟ لابد وان أهل السواد والأهلين هم الذين قاموا بهذا العمل بالرغم من تشديدات المتوكل ، ويظهر ذلك من نص الرواية نفسها بأن الناس بالرغم من التشديد والاضطهاد كانوا يتهافتون على « قبر الحسين (ع) فيصير إلى قبره منهم خلق كثير » فما كان هؤلاء يزورون أرضاً خالية وإنما كانوا يزورون بالطبع قبراً مشيداً كان قد أعيد بناؤه في هذه الفترة .

ثم يظهر من ذلك ان الحكومة بنتيجة إمعانها في هدم وتدمير الحائر وكربلاء أصبحت مهانة وقليلة الهيبة وفاقدة القوة والسلطان بحيث انها ارتدعت عن عملها المنكر حالاً بقيام الأهلين في وجه جنودها وتهديدهم إياها بانهم سيقابلون القوة بالمثل مما أجبر الطاغية على سحب قواته بانتظام . وكان للتشنيعات التي أثارها زيد المجنون[1] على المتوكل وأعماله المفضوحة اثرها الفعال في نفس طاغية بني العباس فارتدع مدةً من الزمن من التعرض بالقبر المطهر .

الرابع - هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام في النصف من شعبان سنة ٢٤٧ هـ

بقي القبر المطهر مصوناً من تعرض المتوكل له مدة عشر سنين ، وذلك على اثر ما شنع عليه زيد المجنون وصور اعمالهم الشائنة وهيج عليه الرأي

(١) راجع فيه « البحار » ج ١٠ ص ٢٩٨ وبقية المصادر .

لعام ، حتى اضطر الطاغية ان يخضع لما يريد ، فطلب منه عمارة قبر الحسين عليه السلام وان لا يتعرض احد لزواره . فأمر المتوكل له بذلك . فخرج زيد من عنده فرحاً مسروراً ، وجعل يدور في البلدان وهو يقول : من اراد زيارة قبر الحسين عليه السلام فله الأمان طول الأزمان . ولذلك بقي الحائر المقدس في العشر سنين الاخيرة من حكمه بعيداً عن إعتدا آت المتوكل الأثيمة إلى ان عاد عليه الكرة في سنة ٢٤٧ وهي المرة الرابعة والأخيرة التي لاقى فيها عقابه الصارم قتلاً على يد إبنه المنتصر بمساعدة قواده الاتراك .

والسبب في ذلك ان في سنة ٢٤٧ من الهجرة « بلغ المتوكل ايضاً مصير الناس من اهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، وانه قد كثر جمعهم لذلك ، وصار لهم سوق كبير . فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند . وامر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبره . ونبش القبر ، وحرث أرضه . وانقطع الناس عن الزيارة . وعمد على تتبع آل ابي طالب والشيعة ، فقتل ولم يتم له ما قدره »[1] . وقد جاء تفصيل هذا الخبر بصورة أوفى في « ناسخ التواريخ » حيث قال :

« بلغ المتوكل مرة أخرى ان الناس من مختلف الطوائف والاقطار يتوافدون الى ارض نينوى فصارت لهم مطافاً كبيت الله الحرام . واسسوا

---

(١) راجع : ١ - « بحار الأنوار » ج ١٠ ص ٢٩٦ - ٢ - « تسلية المجالس » لمحمد بن أبي طالب الحسيني - ٣ - « شرح شافية أبي فراس » ص ٢٠٨ . ٤ - « ناسخ التواريخ » ج ٦ ص ٤٣٨ - ٥ - « نزهة أهل الحرمين » ص ١٨ - ٦ - « أعيان الشيعة » ج ٤ ص ٢٨٧ - ٧ - « تظلم الزهراء » ص ٢١٨ .

لهم أسواقاً عظيمة بالقرب من القبر المطهر . فأثار ذلك غضبه فأرسل جيشاً الى كربلاء لهدم القبر المطهر ومخره وحرثه وقتل من يجدون بها من آل أبي طالب وشيعتهم . ولكن الله دفع شره فقتل على يد إبنه المنتصر ص٤٣٨ »

وقد روى الشيخ الطوسي في « الأمالي » مثل هذا الأمر بسنده عن عبد الله بن رابية الطوري قال : « حججت سنة ٢٤٧ فلما صدرت من الحج صرت الى العراق فزرت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب على حال خيفةٍ من السلطان . ثم توجهت الى زيارة قبر الحسين عليه السلام ، فاذا هو قد حرث أرضه ، ومخر فيها الماء ، وأرسلت الثيران العوامل في الأرض . فبعيني وبصري كنت رأيت الثيران تساق في الارض فتنساق لهم حتى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً . فتضرب بالعصا الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجهٍ ولا سبب . فما أمكنني الزيارة فتوجهت الى بغداد وأنا أقول :

تالله إن كانت أمية قد اتت ... قتل إبن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاك بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا ... في قتله فتتبعوه رميما

فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة فقلت : ما الخبر ؟ قالوا : سقط الطائر بقتل جعفر المتوكل . فعجبت لذلك وقلت : إلهي ليلة بليلة »[1]. فاستحل ابنه المنتصر دمه فاتفق مع القواد الترك على قتله فقتلوه تواً بعد الهدم الاخير في ليلة الاربعاء لثلاث من شوال سنة ٢٤٧ هـ .

---

(١) راجع : ١ ـ « الامالي » للشيخ الطوسي ص ٢٠٩ ـ ٢ ـ « بحار الانوار » ج١٠ ص٢٩٦ ـ ٢٩٧ . ٣ ـ « تظلم الزهراء » للرضي القزويني ص٢١٨ .

وقد جاء وصف كربلاء والقبر المطهر ، ووصف حالة الزائرين في ذلك العهد الرهيب من حكم المتوكل في « مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الاصفهاني عن محمد بن الحسين الاشناني حيث يقول :

« بعد عهدي بالزيارة في تلك الايام خوفاً ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها . وساعدني رجل من العطارين على ذلك فخرجنا زائرين نكمن بالنهار ونسير بالليل حتى اتينا نواحي الغاضرية ، وخرجنا منها نصف الليل ، فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا ، حتى أتينا القبر فخفي علينا ، فجعلنا نتسمّته ونتحرى جهته حتى أتيناه . وقد فلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق ، واجري الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق . فزرناه وأكببنا عليه ، فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط من الطيب . فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحةٍ هذه ؟ فقال : لا والله ما شممت مثلها بشيء من العطر . فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع فلما قتل المتوكل إجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا الى القبر وأخرجنا تلك العلامات وأعدناه الى ما كان عليه »[1].

ويرى في هذه الرواية ان جيش الانقاذ من هؤلاء الاحرار المخلصين في نصرة الحق كانوا فوراً وبلا توانٍ يعيدون معالم القبر المطهر ويشيدون عليه البناء من جديد كلما سنحت لهم الفرص في تلك الظروف القاسية العصيبة ، ولذلك ما بقي الحائر المقدس على تلك الحالة من الخراب والاندثار لمدة طويلة في الفترات المختلفة التي إغتاله المتوكل في أيام حكمه ، ولا انقطع

---

(١) راجع : ١ - « مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الاصبهاني ص ٢٠٤ طبع ايران ١٣٠٧ هـ . ٢- « شرح الشافية » ٢١٠

الزائرون ولو لحظةً واحدة عن زيارته. وكان موضع القبر المطهر - كما يستدل من هذه الرواية معروفاً عندهم يصلونه من يد الى يد بالعلامات التي كانوا يضعونها سراً من حوله .

وبمساعي هؤلاء الاحرار المخلصين لآل بيت الرسالة الطاهر وغيرهم بقي القبر المطهر مصوناً من طوارىء الايام وتطورات الزمن الى يومنا هذا وعلاوة على ذلك فانهم كانوا يعرفون التربة التي دفن فيها الحسين عليه السلام ويميزونها عن غيرها بالرائحة الزكية التي كانت تفوح منها .

ثم ، ويظهر من روايات أخرى سنأتي على بيانها في كتابنا « تاريخ كربلاء العام » بصورة مفصلة إن هـدم المتوكل الأخير لقبر الحسين عليه السلام كان يصادف في النصف من شهر شعبان سنة ٢٤٧ من الهجرة حين كان الناس يتوافدون بكثرة على زيارة كربلاء في مثل هذا الوقت .

أسماء من باشروا في هدم القبر المطهر

وأما اسماء من باشروا في هدم قبر الحسين عليه السلام بأمر المتوكل حسب الاخبار والروايات فهي كما يلي :

١ - في سنة ٢٣٣ - ابراهيم الديزج اليهودي الاصل . واليهود هم الذين خربوا القبر المطهر وأجروا الماء : (مقاتل الطالبيين ٢٠٣ - ٢٠٤ وشرح الشافية ٢٠٧) .

٢ - في سنة ٢٣٦ - الذيرج . ولعله هو الديزج المذكور ووقع خطأ مطبعي في إسمه فصار الذيرج كما جاء في « مروج الذهب » للمسعودي ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٢

٣ - في سنة ٢٣٧ - عمر بن فرج الرجحي (أمالي الطوسي ٢٠٧ والبحار ج ١٠ ص ٢٩٧ وشرح الشافية ٢٠٨ وفي هذا الاخير ورد إسمه عمر بن نوح ولعله خطأ مطبعي .

٤ - في سنة ٢٤٧ - هرون المغربي (اوهرون المعري) مع ابراهيم الدينج بالاتفاق (أمالي ٢٠٧ - ٢٠٨ البحار ج ١٠ ص ٢٩٦ المناقب ج ٢ ص ١٩٠ الناسخ ج ٦ ص ٤٣٧ شرح الشافية ٢٠٨ - ٢٠٩) .

٥ - جعفر بن محمد بن عمار قاضي الكوفة وكان يعمل الدينج تحت إشرافه ومراقبته (أمالي ٢٠٧ البحار ج ١٠ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ الناسخ ج ٦ ص ٤٣٧ .

الفصل الرابع

الحائر وهدمه بسقوط السقيفة على عهد الموفق في ٩ - ١٠ ذي الحجة سنة ٢٧٣

كان المنتصر بتبوئه عرش الخلافة في ٤ شوال سنة ٢٤٧ بعد مقتل المتوكل قد أمر تواً باعادة بناء الحائر وتشييد القبر المطهر في السنة أشهر القصيرة من حكمه كما مر تفصيل ذلك في باب « عمارة الحائر الثالثة » . غير ان بناء المنتصر هذا لم يعش باكثر من ربع قرن لسقوطه وإنهياره مرة واحدة في ذي الحجة سنة ٢٧٣ على عهد الموفق إبن المتوكل . الأمر الذي يدل - حسب القرائن - على ان تلك السياسة الجائرة والخطة القاسية التي كان قد إرتسمها المتوكل في عهده تجاه قبر ريحانة الرسول الأكرم

وزائريه كانت تطبق بحدافيرها طوال هذه المدة وإن كانت قد تبدلت أساليبها ، أو تغيرت اشكالها وعناوينها .

ولوقوع هذا الحادث الفجائي الغريب لحرم الحسين عليه السلام في اواخر الربع الثالث من القرن الثالث الهجري أهميته التاريخية ، إذ نستدل منه مبلغ ما كان يكمن قلوب الكثير من العباسيين من بعد الرشيد والمتوكل من الغيظ وعدم الارتياح لما كان يحيط بقبر الحسين عليه السلام من الجلال والعظمة ، ومن التقديس له في نفوس المسلمين . لا سيما وان الموفق في هذه الناحية كان على شاكلة أبيه لم يتورع عن إرتكاب مثل هذه الجريمة ، ولذلك أسدل التاريخ الستار على هذا الحادث دون أن يدخل في التفاصيل . وقد جاء مجمل الحادث فقط وذلك عرضاً في حديثٍ رواه اكثر الرواة والمحدثين بسنده عن أبي الحسن علي بن الحسن بن الحجاج قال بأنهم : « كانوا جلوسا في مجلس إبن عمه أبي عبدالله محمد بن عمران بن الحجاج وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ ، وفيمن حضر العباس بن احمد العباسي . وكانوا قد حضروا عنده يهنئونه بالسلامة لأنه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) في ذي الحجة سنة ٢٧٣ ، فبينا هم قعود يتحدثون إذ حضر المجلس اسمعيل بن عيسى العباسي . فأحجمت الجماعة عما كانت فيه وأطال إسمعيل الجلوس »[1] .

---

(١) راجع : ١ـ « فرحة الغري » لابن طاوس ص ٦١ . ٢ـ « نزهة أهل الحرمين » ص ٢٠ نقلا عن كتاب « امان الأخطار » . ٣ـ « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١٤ . ٤ـ « أعيان الشيعة » ج ٢ ص ٥٨٨ ـ ٥٩٠ وج ٤ ص ٣٠٥ . ٥ـ « مجالي اللطف » ص ٣٩ . ٦ـ « البحار » ج ٩ ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠ . ٧ـ « شرح شافية أبي فراس » ص ٢٠٧ .

وهذه هي خلاصة الوضع كما نقلها الرواة . اما الأسباب التي دعت الى هذا الحادث من سقوط السقيفة مرةً واحدة على الزائرين لاسيما في مثل ذلك الوقت ، وقت الزيارة وإزدحام الزائرين داخل الروضة المطهرة لم تتعرض لها المصادر فمرت عليها مر الكرام فبقيت الاسباب مجهولة . ولعل الكثير من المسائل أيضا ستبقى مجهولة إلى الأبد على هذا النمط لعدم إمكان الجهر والتصريح بها في حينها نظراً لما يحيط الرأي العام من ظروف واحوال سياسية خاصة . ولذلك فلا يعرف اليوم عنها شيءٌ وهل كان سقوط السقيفة في الحقيقة أمراً طبيعيا لم يكن للسياسة أي دخل فيه؟ ام كان للسلطة الحاكمة يدٌ في الامر كما سبقت نظائره على عهد المنصور والرشيد والمتوكل بصورة علنية مكشوفة ؟ وإنما أتى الهدم في هذا الدور بتلك الكيفية الغامضة وبشكل أروع وافظع من ذي قبل لأنه كان في عين الوقت هدما للقبر المطهر ، وقتلاً للنفوس البريئة ممن أتوا في مثل هذا الوقت لزيارة الحسين عليه السلام . وهذا ما يجعل الباحث ان يتردد في قبول الأمر من الوجهة الطبيعية ، لأن الفرض الأول من ان الحادث كان طبيعيا لوجود بعض الخلل في أسس البناء نفسه فلا نظنه يثبت امام الحقائق التاريخية لأن البناء كان حديث العهد إذ ذاك ولم يتجاوز عمره يوم إنهياره في ذي الحجة ٢٧٣ خمسة وعشرين سنة . فلا يعقل والحالة هذه ان بناء جديداً عمره خمسة وعشرون سنة ينهار مرة واحدة من تلقاء نفسه وبتلك الصورة الفجائية وبلا سابق إنذار على رؤس الزائرين دون ان يكونوا قد طبقوا بحقه سراً مادة « المائلة للانهدام » المعروفة في يومنا

هذا والتي تنحل بها الكثير من المشاكل الخطيرة المهمة [١].

ولو اخذنا بنظر الاعتبار ما جاء في ذيل الخبر المتقدم بسنده عن اسمعيل بن عيسى العباسي من ان عمه داود العباسي كان قد حاول في مثل هذا الوقت هدم قبر امير المؤمنين عليه السلام سراً تنكشف لنا حقيقة الامر في حادث سقوط السقيفة على رؤوس الزائرين في حرم الحسين عليه السلام في ٩ ذي الحجة سنة ٢٧٣ على عهد الموفق ابن جعفر المتوكل العباسي بأن الموفق كان يسير على سيرة آبائه وان الحادث لم يكن طبيعياً بوجه من الوجوه ، وان للسلطة الحاكمة كان دخل في تدبير الأمر. وقد بحثنا في ذلك بصورة مفصلة في كتابنا «تاريخ كربلاء العام».

الفصل الخامس

الحائر ونهبه على يد ضبة بن محمد الاسدي

في سنة ٣٦٩ ﻫ

كما اصيب بالهدم والتدمير على يد المنصور والرشيد والمتوكل ونهب هذا الاخير أمواله وخزائنه ، [٢] كذلك نُهب الحائر ونُهبت امواله ونفائسه مراراً عديدة من قبل ذلك وبعده . فقد نهب اموال الحائر ونفائس خزائنه وموقوفاته في سنة ٣٦٩ من الهجرة رجل من بني اسد إسمه « ضبة بن محمد الاسدي » كان يتزعم عصابة من اللصوص وقطاع

---

(١) هدمت مأذنة العبد في عام ١٣٥٤ لأنها كانت مائلة للانهدام .

(٢) راجع : «ناسخ التواريخ» ج ٦ ص ٣٨ ؛ طبع ايران ١٣١٢ ﻫ في مصادرة المتوكل لاموال الحائر وخزائنه وتوزيعها على جنوده.

الطريق اتخذ « عين التمر » مركزاً له للقيام هو وجماعته بأعمال السلب والنهب في الأطراف ، ولشن الهجمات منها على المدن والطرق والقوافل لعدم استتباب الأمن والطمأنينة في البلاد على عهد الطائع لله العباسي (٣٦٣ - ٣٨١) . فأرسل عضد الدولة البويهي في هذه السنة سرية من الجند إلى « عين التمر » وهي الشفاثة الحالية لتأديبه وقطع دابره ، فلم يشعر إلا وهو محاط بالجيوش ، فاضطر أن يترك أمواله وأهله ويلوذ بالفرار لينجي بنفسه من عساكر عضد الدولة .

وقد أشار ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦٩ هـ من تاريخه إلى ما عملته هذه العصابة من النهب والسلب لحرم الحسين عليه السلام وما لاقته من العقوبة بنتيجة هذا العمل ، بقوله :

« وفي هذه السنة (٣٦٩ هـ) أرسل عضد الدولة سرية إلى عين التمر وبها ضبة بن محمد الأسدي ، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطريق . فلم يشعر إلا والعساكر معه، فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً. وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر . وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين صلوات الله عليه فعوقب بهذا . »[1]

هذه خلاصة عما حصل للحائر المقدس من النهب والسلب في تلك السنة على يد ضبة بن محمد الأسدي المذكور حسب ما رواه ابن الأثير في تاريخه ، دون أن نعرف شيئاً عن تفاصيل ما أجراه هذا السارق من النهب لأموال الحائر وخزائنه . ولعلنا نعثر في المستقبل على ما يوضح لنا

---

(١) راجع : ابن الأثير . ج ٨ ص ٢٣٦ في حوادث سنة ٢٦٩ من الهجرة .

هذه الناحية بأكثر مما تقدم . غير أننا من مقارنة الحوادث بعضها ببعض نستطيع إلى درجةٍ ما أن نستنبط بأن الأمر لم يتوقف - حسب الظاهر - عند النهب والسلب فحسب ، وإنما تعدى من قبل العصاة إلى أبعد من ذلك بالاعتداء أيضاً على بناء الحائر نفسه مما أوجب تجديد عمارته في تلك السنة كما فصلنا ذلك في فصل « عمارة الحائر الخامسة » التي قام بتجديدها عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة البويهي وكما أشار إلى ذلك إبن الأثير في حوادث تلك السنة أيضاً بأن : « في سنة ٣٦٩ هـ أصلح عضد الدولة الطريق من بغداد إلى مكة شرفها الله تعالى، وأطلق الصلات لأهل البيوتات والشرف والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة . وفعل مثل ذلك بمشهد علي والحسين عليهما السلام . »[1] ولعل ما أمر به من تجديد العمارة في هذا الوقت كان مما أوجبته أعمال النهب التي تمت على يد ضبة بن محمد الأسدي وعصابته في الحائر .

الفصل السادس

الحائر وهدمه حرقاً على عهد القادر بالله

في ربيع الأول سنة ٤٠٧ هـ

اشتعلت نار الفتن الدامية في طول البلاد الاسلامية وعرضها على عهد القادر بالله العباسي وكانت نتيجتها أن ألهبت شرارها حرم الحسين عليه

---

(١) راجع : - ١ - المصدر نفسه ج ٨ ص ٢٢٤ - ٢ - « مجالي اللطف » ص ٤٠ - ٣ - « تحفة العالم » للسيد جعفر بحر العلوم ج ١ ص ٢٧٣ .

السلام في شهر ربيع الأول سنة ٤٠٧ من الهجرة ، فكان الحريق في الحرم المطهر التهمت النار فيه أولاً التأزير وتعدت منه إلى الأروقة ، وثم إلى القبة السامية ، فانهار البناء بأسره على أثر هذا الحريق الهائل في منتصف الليل ، ولم يبق من البناء — على ما يظهر — غير السور الخارجي وبعض الشيء من الحرم .

وقد جاء وصف هذا الحريق بصورة مقتضبة رسمية في كل من « تاريخ الملوك والامم » لأبي الفرج ابن الجوزي ، وفي « الكامل » لابن الاثير الجزري بما نصه في الأول :

« وفي شهر ربيع الاول سنة ٤٠٧ من الهجرة احترق مشهد الحسين عليه السلام والاروقة . وكان السبب ان القوام أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في جوف الليل على التأزير فاحرقتاه ، وتعدت النار - ج ٧ / ٢٨٢ - »

ومثل ذلك قول ابن الاثير أيضاً (ج ٩ / ١٠٢)

ويظهر من هذين التقريرين المقتضبين الرسميين أو شبه الرسميين والتاريخ في تلك العصور المنصرمة ولا زال سجلٌ لما ترفعه السلطات عادة أو ترتضيه ، بأن الحادث وقع عفواً ، والحريق نشب بغير عمدٍ أو قصد . ولكن نظرةً عامة على حوادث سنة ٤٠٧ هـ في كافة أنحاء الأقطار الاسلامية في عهد أحمد القادر بالله العباسي المعروف بنزعاته المتطرفة وميوله الهدامة ضد حرية الفكر وتحريمها على المسلمين ، وتحامله الشديد على آراء المعتزلة وتكفير من يعتنق مبادئهم . ثم تكفيره الفاطميين ولعنهم علناً ، وخلقه روح البغضاء والعداء بين الطوائف الاسلامية بالفتاوى الدينية التي

كان يحصل عليها من الفقهاء[١]، كل ذلك ربما يلقي بعض الضوء على حقيقة أسباب الحريق الذي نشب في حرم الحسين عليه السلام في ربيع الاول سنة ٤٠٧ من الهجرة ، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار حوادث تلك السنة من غرة المحرم ٤٠٧ من حوادث دامية في المحرم كانت قد سبقت الحريق في حرم الحسين و كانت قد وقعت بين الطوائف الاسلامية في أفريقية على عهد المعز بن باديس كما أعلنها ابن الاثير فذهبت ضحيتها الشيعة باجمعهم قتلاً ونهباً وسلباً بجميع أنحاء أفريقية .[٢] إلى الفتن الداخلية التي تلت حادث الحريق في حرم الحسين (ع) تواً في مدة لا تتجاوز العشرة أيام تقريباً ، وهي التي رواها كل من ابن الجوزي وابن الاثير بأن : « وفي الشهر - أي ربيع الاول نفسه - اتصلت الفتنة[٣] بين الشيعة والسنة بواسط ، ونهبت محال الشيعة والزيدية بواسط واحترقت . وهرب وجوه الشيعة والعلويين فقصدوا علي بن مزيد واستنصروه »[٤]

ثم ، أليس من الغريب أن تقع كل هذه الحوادث الدامية المتشابهة بأفريقية وواسط في وقت واحد خلال الاشهر الاولى من تلك السنة على عهد القادر بالله العباسي المعروف بميوله الهدامة ، ومع ذلك كله ، يعتبر حادث الحريق في حرم الحسين أمراً عادياً حصل قضاءً وقدراً دون أي

---

(١) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٦٣ طبع مصر ١٩٣٨ .

(٢) ابن الأثير ج ٩ ص ١٢٢ - ١٢٣ في حوادث محرم سنة ٤٠٧ هـ .

(٣) اتصلت الفتنة، اشارة الى ما قبلها من فتنة افريقية وحريق حرم الحسين وحرم سامراء وحريق محلات الكرخ في بغداد وحريق الركن اليماني من البيت الحرام وغيرها .

(٤) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ج٧ ر٢٨٢ وابن الأثير ج ٩ ر١٢٢-١٢٣ .

بسبب ؟ مع أنه قد توافرت وتعددت قرائنه ونظائره في نفس الوقت في بقية الاماكن على ما يحدثنا كلٌ منهما بحيث أصبحت فتنة عامة وحركة واسعة النطاق شملت كل الاقطار الاسلامية دون استثناء . إذ أنه بعشرة أيام بعد حريق حرم الحسين (ع) أي في عشرين ربيع الاول إحترق أيضاً حرم العسكريين بسامراء ، واحترقت في نفس اليوم محلات الشيعة ببغداد في جانب الكرخ من محلة « نهر طابق » ومحلة « دار القطن » وقسم من محلة « باب البصرة » . وامتدت دسائس القادر بالله العباسي فشملت بيت الله الحرام والمسجد النبوي والبيت المقدس ، إذ أنه في نفس اليوم أيضاً تشعّث الركن اليماني من البيت الحرام ، وسقط حائط بين يدي النبي (ص) ووقعت القبة الكبرى على الصخرة بالبيت المقدس .[1] وهكذا من جراء دسائس القادر عم البلاء ، وساد الفزع في كافة الاقطار الاسلامية في وقتٍ واحد .

وفي الاثنين والاربعين السنة من حكمه الطويل من عام ٣٨١ إلى عام ٤٢٢ فقد عبث القادر بالله بالبلاد الاسلامية ، وأشعل النار فيها ، وأراق الدماء ، وهدم البيوت والبلدان حتى الاماكن المقدسة ، واضطهد المسلمين بجميع طبقاتهم مستظهراً بالفقهاء في كل ذلك ، ومثّل دوراً فاق فيه المتوكل نيرون العرب من حيث القسوة والفظاعة . بدأ أعماله الارهابية باثارة الفتن بين الطوائف الاسلامية في ذي الحجة سنة ٣٨٩ وفي المحرم سنة

---

(١) « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » ج ٧ ص ٢٨٢ — وتاريخ ابن الاثير ج ٩ ص ١٢٢ - ١٢٣ ثم قارن بين نصوصهما .

٣٩٠[1] ، وقبلها . ليختمها في اخريات حياته بالفتن التي تجددت ببغداد في ٤٢٢ والتي انتهت بأن «اعترض أهل باب البصرة قوماً من قُم أرادوا زيارة مشهد علي والحسين عليهما السلام، فقتلوا منهم ثلاثة نفر، وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر - ابن الاثير ٩/١٤٥»

فبينما كان يجري القادر بالله العباسي على تلك السياسة الخرقاء في هذا القسم كانت سياسة معارضة معاكسة لاعماله الهدامة تجري في القسم الشرقي من البلاد الاسلامية ، فان السلطان محمود الغزنوي كان في عام ٤٢١ يهتم غاية الاهتمام بتشييد عمارة فخمة على قبر علي بن موسى الرضا الامام الثامن عليه السلام بطوس من أرض خراسان وتشجيع الزوار على زيارته والمنع من إيذائهم كما رواه ابن الاثير في حوادث عام ٤٢١ وغيره من المؤرخين بأن : « يمين الدولة محمود بن سبكتكين سلطان غزنة جدّد في هذه السنة عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا وأحسن عمارته[2] ، وكان أبوه سبكتكين أخربه . وكان أهل طوس

---

(١) راجع : ابن الأثير ج ٩ ص ٥٤ في حوادث سنة ٣٨٩ هـ .

(٢) وعمارة حرم الرضا (ع) في الحقيقة على جانب كبير من الأبهة والعظمة ، فان لادارته العامة نظاماً ملكياً على شاكلة بلاط الملوك والسلاطين في التنظيم وقيام الحجاب والأمناء والموظفين الكبار بالخدمة الفعلية له . وله الدوائر المختلفة الكثيرة ومزود بدار للضيافة ومتحف كبير للآثار الثمينة . وله مكتبة عامة تحوي مئات الالوف من الكتب ومعدة للمطالعة غير ان الاستفادة منها قليلة جداً اذ ليس لها مدير خبير باصول ادارة المكتبات العامة وهذا هو نقصها البارز . وقد فقدت منها قسم من الكتب الخطية النادرة على ما علمناه في العام الماضي ومديرها من أسرة القاجار السابقين أعطيت له هذه الوظيفة كمساعدة أو سداً للشاغر لا لاختصاصه. ولذلك لم يجد المراجعون بغيتهم، ولم ير الباحث

يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك . وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام وهو يقول له : إلى متى هـذا ؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد فأمر بعمارته - ج ٩ / ١٣٩ » .

ولما كانت قد اضطربت الحالة ، وانقطع حبـل الامن في البـلاد الاسلامية نتيجة لتلك المؤامرات من إثارة الفتن بين الطوائف ، وهدم الاماكن الاسلامية المقدسة ، وإشعال النار في حرم الحسين وفي حرم العسكريين بسامراء إضطروا إلى إسناد منصب الوزارة الى ابن سهلان الرامهرمزي لتهدئة الحال ، وإعادة الامن ، وإرجاع الطمأنينة والسكينة إلى النفوس ، فتعين على أثر هذه الحوادث في ربيع الآخر كما ذكره ابن الجوزي بأن : « وفي ربيع الآخر خلع على أبي محمد الحسن بن الفضل الرامهرمزي خلع الوزارة من قبل سلطان الدولة . وهو الذي بنى سور الحائر بمشهد الحسين - ج ٧/٢٨٢ - » .

الفصل السابع

الحائر ونهب أمواله وخزائنه على يد المسترشد بالله العباسي في سنة ٥٢٦ من الهجرة

إنتهت مدة من الزمن سياسة الهدم والتخريب والنهب والحرق لقبر الحسين عليه السلام بالمعاول والماء والنار بانقضاء العصر العباسي الثالث في

= غير التشجيع فيها على مطالعة القصص الفارسية الخرافية أمثال «اسكندر نامه» و « حسين كرد » . والمقول في خراسان ان المراد تشجيع حركة رجعية لما في تلك الكتب من تصورات خيالية تقرب الى الاذهان عهد القاجاريين السابق.

أواسط القرن الخامس من الهجرة ، وبدأت تطبق بحقه سياسة جديدة أقل وطأة من تلك الأخرى ولكنها رامية في الحقيقة والواقع الى نفس الغاية للتقليل من شأن هذه العتبة المقدسة عن طريق نهب أموال الحائر ، وسلب خزائنه وموقوفاته ولتجريده من آثار الجلال والعظمة المتمثلة في مفروشاته وستائره الثمينة ، وقناديله وأسرجته الذهبية المرصّعة ، وخزانته المملوءة بالآثار والتحف النفيسة القيمة في هذا الوقت . وقد سار المسترشد بالله ابن المستظهر العباسي على هذه السياسة الجديدة تجاه الحائر في الربع الأول من القرن السادس من الهجرة . ومما رواه المجلسي في « البحار » بهذا الصدد نقلاً عن « المناقب » لابن شهر اشوب أنه :

« أخذ المسترشد من مال الحائر وكربلاء وقال : إن القبر لا يحتاج الى خزانة وأنفق على العسكر . فلما خرج قتل هو وإبنه الراشد »[1].

وفي خلافة المسترشد ضاقت الأرض على رحبها على الشيعة لما أخبر المسترشد بجمع ما إجتمع في خزانة القبر من الأموال والمجوهرات فانفق على جيوشه قائلاً ان القبر لا يحتاج الى خزينة ، إلا إنه لم يتعرض للبناء بسوء[2]. وقد كان المسترشد في هذا الوقت يستعد بتجهيز الجيوش وجمع العساكر لأنه كان قد إشتبك في أواخر عهده بحروب داخلية أثيرت عليه بمدة يسيرة من بعد وفاة السلطان محمود في سنة ٥٢٥ هـ . فكان بحاجة شديدة الى المال ، فتطاول على الحائر المقدس وصادر امواله فاستعملها

---

(١) راجع : « بحار الأنوار » ج ١٠ ص ٢٩٧ .

(٢) راجع : « تاريخ كربلاء المعلى » ص ١٣ .

في سبيل توطيد دعائم ملكه في تلك الحروب التي أثارها عليه مسعود أخو سلجوقشاه في أواخر سنة ٥٢٦ هـ . وقد نشبت معركة حامية بينهما دارت فيها الدائرة على المسترشد نفسه ، ووقع أسيراً في قبضة خصمه . وبينما كان في خيمته إذ هجمت عليه جماعة من الباطنية وفتكوا به[1]. فذاق كأس المنون بعد أن صادر أموال الحائر المقدس ونهب خزائنه كما جاء في الرواية المتقدمة .

الفصل السادس

الحائر ونهبه على يد المشعشعيين

في سنة ٨٥٨ من الهجرة

بعد الحوادث المتقدمة في أوائل كل من القرنين الخامس والسادس من الهجرة ، من بعد الحريق الهائل في حرم الحسين (ع) بدسائس القادر بالله العباسي في سنة ٤٠٧ ومن بعد ضبط المسترشد لاموال الحائر في سنة ٥٢٦ من الهجرة ، مرّت فترة طويلة من الزمن تربو على أربعمائة وخمسين سنة لم يُمس الحائر خلالها حسب الظاهر بسوء ، ولم يكن حرم الحسين عليه السلام فيها مورداً للانتهاك أو ضحية للاهواء السياسية الدنيئة ، بل بالعكس كان في تلك المدة على ما يظهر من القرائن مورد التفخيم والتجليل العظيمين في العالم الاسلامي من قِبَل الأمراء والملوك ، ومن ناحية الأمم والشعوب إلى أن كانت حوادث النصف الأخير من القرن التاسع الهجري على يد

---

(١) راجع : « تاريخ العرب » للسيد أمير علي ص ٢٩١ .

علي بن محمد بن فلاح المعروف بالمشعشعي .

فقد تشكلت في أوائل هذا القرن دولة عربية في جنوب العراق بسطت سلطانها تدريجياً على رقعةٍ كبيرة تضم الحويزة والأهواز والجزائر وقسم من بلاد خوزستان وعاشت اكثر من قرنين ما بين سنة ٨٠٤ حين أسسها فلاح بن محمد آل المشعشع المتوفى سنة ٨٥٤ الى سنة ١٠٢٥ هـ ثم ضعف سلطانهم فأصبحوا أمراء منصوبين من قبل الملوك الصفويين . وقد زعم البعض أن آل المشعشع سادة ولكننا لم نتثبت من صحة ذلك للاختلاف الواضح بين المؤرخين في نسبهم . وهم على قسمين : غلاة ، ومتشيعون ، وأول من ملك منهم الحويزة قبل أن تخطط هو فلاح وقد توفي أبوه وهو طفل صغير فتزوج الشيخ أحمد بن فهد الحلي بأمه وربّاه وكانت وفاته سنة ٨٥٤ (راجع آثار الشيعة ص) . وكان محمد ابنه من تلامذة الشيخ فظهرت منه الدعاوى الباطلة فأفتى الشيخ بقتله وكتب في إستحلال دمه إلى الامير منصور بن قيان بن إدريس العبادي ، فقيّده الأمير واراد قتله ، ولكنه إستطاع أن ينجي بنفسه من القتل بالغدر والحيلة ، ثم ساعده الحظ في مدة وجيزة فاجتمعت حوله من الاعراب طوائف شتى وأول من بايعه بنو سلامة فتفاءل بذلك الخير والسلامة ، وإستولى أخيراً على بلاد خوزستان وباشر أموراً خطيرة ، وشنّ حروباً كثيرة . (مجالس المؤمنين ص ٤٠٤) .

ومن ذلك هجومه على النجف الاشرف وإحراقه قبة الأمير عليه السلام وجعلها مطبخاً مدة ستة أشهر كما نقله العلامة ضامن ابن شدقم في « تحفة

الازهار » بأنه : « إستولى على جميع الاهواز من شاطىء الفرات إلى الحلة ، وكانت جنوده خمسمائة لا يعمل فيهم السلاح ولا غيره لاستعمالهم بعض الاسماء . وكان غالياً في المذهب سافر الى العراق وأحرق الحُجر الدائرة على قبة الامام علي بن أبي طالب (ع) وجعل القبة مطبخاً للطعام الى مضي ستة أهلّة لقوله : « إنه رب والرب لا يموت » (آثار الشيعة ص ٥٨-٥٩) وكان أول قيامه وظهور أمره في رجب سنة ٨٤٤ ووفاته في سنة ٨٦٦ أو في ٨٧٠ (مجالس المؤمنين ص ٤٠٥)

علي بن محمد بن فلاح وتهبه الحائر المقدس

وقد إستولى عليّ إبنه على أزمة الامور في حياة أبيه وترأس القوم بنفسه ودعاهم الى مقالته بأنه قد حلّت فيه روح أمير المؤمنين (ع) وأن علياً حيّ . فأغار بجيشه على العراق ونهب المشاهد المشرفة ، وأساء الادب الى الاعتاب المقدسة . وقد عجز الاب عن إصلاحه وتأديبه وكلما إحتج الامراء والملوك على أعمال ولده كان يظهر لهم العجز في الرسائل التي تبودلت بينهم ، ويظهر من بعض مؤلفاته المنتشرة بين أعوانه بأنه إدّعى المهدويّة . ولم يكتف بهذا الحد على ما يروى فقد إدعى الالوهية أيضاً (مجالس المؤمنين ص ٤٠٥ و ٤٠٦) .

وكان علي المعروف بـ « مولى علي » يحذو حذو أبيه في الفظائع والطامات وكان من أقسى الناس قلباً . وقد يقال إنه بلغ من عدم الحياء الى مرتبة أنه ما إجتزأ في آخر أمره بدعاوى أبيه الباطلة وإدعى الالوهية ، وقتل الحجاج في النجف ونهب أموالهم غير متأثم ولا متحرج

في سنة ٨٥٨ هـ . وإستولى على أبيه في آخر عمره وأخذ أزمة الامور بيده . وصار بنفسه رئيس الفئة الباغية ، وهاجم المشاهد المشرفة بالعراق في حياته وأغار عليها ونهب ما فيها وأبدى قسوة شائنة (شهداء الفضيلة للعلامة الاميني ص ٣٠٥) .

وقيل إن « المشعشعي » هو من ألقاب علي بن محمد بن فلاح الذي كان حاكما بالجزائر والبصرة ، ونهب المشهدين المقدسين ، وقتل أهلهما قتلاً ذريعاً ، وأسر من بقي منهم إلى دارى ملكه البصرة والجزائر في صفر سنة ٨٥٨ هـ . ومن المشهور ان طائفة من المشعشعية الضالين يأكلون السيف كما جاء في « رياض العلماء » بأن : جاء واحد من جماعتهم في عصرنا الى حضرة السلطان وفعل ذلك بحضرة من المتصلين بخدمته ، ولم أدر ما معنى هذا الكلام (روضات الجنات ص ٢٦٥ و ٣٥٣) .

وقد عاش علي بن محمد بن فلاح على هذه السيرة الى أن قتل بسهم أصابه في حصاره لقلعة بهبهان في سنة ٨٦١ هـ فنال بذلك بعد ثلاث سنوات جزاء ما إرتكبه نحو الحائر المقدس .

تحليل الحوادث المذكورة ونتائجها العظيمة

لم نأت بهذه التفاصيل الفائضة عن هؤلاء الغلاة المنتحلين شرف السيادة زوراً وبهتانا إلا لتصوير ما بلغ اليه الوضع يومئذ من الاضطراب والفوضى ، وما حدث فيه للحائر والمشاهد المشرفة من النهب والسلب والهدم مثل ما قام به محمد بن فلاح في النجف أو إبنه عليّ في كربلاء . إننا وإن لم نتوصل بعد الى تفاصيل أوسع مما قدمناه عما إقترفه علي بن محمد بن فلاح على نحو ما فعله ضبة بن محمد الاسدي من قبل من نهب أموال الحائر

وقتل جم غفير من الزائرين والسكان الآمنين قتلا ذريعاً وأسر من بقي منهم الى مقر حكمه في الجزائر والبصرة ، إلا اننا نستطيع أن نقدر حسب القرائن التاريخية بأن خسائر الحائر في هذه المرة كانت فادحة للغاية تفوق بكثير ماأصابه في سنة ٥٢٦هـ . لان الحائر في هذه الفترة الطويلة من الزمن من بعد المسترشد الى عام ٨٥٨ كان قد توسعت معالمه ، وكثرت موارده وأوقافه ، وإمتلأت خزائنه بالنفائس الجليلة والهدايا الثمينة التي تقدم بها الامراء والملوك والسلاطين من متأخري الخلفاء العباسيين لاسيما أحمد الناصر، ومن ملوك الشيعة أمثال محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ) والشاه محمد خدابنده (٧٠٣-٧١٦هـ) وإبنه بهادر خان أبي سعيد (٧١٦-٧٣٦ هـ) . ثم السلطان أويس الجلائري (٧٥٧ - ٧٧٥ هـ) وولديه السلطان حسين (٧٧٥-٧٨٤ هـ) والسلطان أحمد (٧٨٤-٨٠٨ هـ) . وقد ترك كل واحد من هؤلاء الثلاثة الأخيرين من الجلائريين آثاراً عظيمة للحائر المقدس .

ولم يكن حظ ملوك الدولة القراقويونلية من قرا يوسف (٨١٥ - ٨٢٧ هـ) وولديه الاسكندر (٨٢٧ - ٨٤٠ هـ) والميرزا جهانشاه (٨٤٠- ٨٧٢ هـ) وابن هذا الأخير حسينعلي شاه (٨٧٢ - ٨٧٣ هـ) بأقل من غيرهم في خدمة الحائر وإعلاء شأنه . ولذلك كان الحائر في هذا الدور من القرن التاسع على جانب عظيم من الجلال والابهة ، وكانت خزائنه مملوءة بثروة طائلة من الهدايا والنفائس الثمينة والنادرة الوجود ويستنبط ذلك لدرجة ما من الوصف المستفيض الذي وصف به جلاله وعظمته إبن بطوطة في عام ٧٢٧ هـ بقوله : « ... والروضة المقدسة داخلها ، وعليها مدرسة

عظيمة ، وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر . وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحدٌ إلا عن إذنهم فيقبّل العتبة الشريفة وهي من الفضة . وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة ، وعلى الأبواب ستائر الحرير ... » . فقد زار إبن بطوطة كربلاء بزمن قبل قيام الدولة الجلائرية التي إسترخصت الغالي والثمين في سبيل تقديس المشاهد المشرفة وإعلاء شأنها لا سيما بالنسبة إلى الحائر على عهد أويس وولديه السلطان حسين وأحمد (٧٥٧ـ ٨٠٨ هـ) ثم في عهد قرا يوسف وولديه الاسكندر وجهانشاه (٨١٥ ـ ٨٧٢ هـ) . ومع ذلك فان الوصف الذي يعطيه إبن بطوطة عن كربلاء في أوائل القرن الثامن هو بكثير دون ما بلغ إليه شأنها في القرن التاسع يوم أغار عليها علي بن محمد بن فلاح ، لأنها كانت قد تقدمت تقدماً عظيماً من بعد ابن بطوطة لا سيما على عهد السلطان أويس الذي جدّد عمارة الحائر من جديد (٧٦٧ هـ) وخصص مرجان والي بغداد الاوقاف الواسعة الكثيرة من أمواله الخاصة في بغداد وعين التمر والرحالية وكربلاء للجامع والمأذنة العظيمة التي بناهما في هذا التاريخ لحائر الحسين (ع) ومع الأسف هُدمت هذه المأذنة ظلما في عام ١٣٥٤ هـ ونسيت أوقافها الكثيرة .

فيستنبط من ذلك مبلغ ما أصاب الحائر من الحيف على يد تلك الفئة الباغية ، ويظهر أن الحادث وقع على عهد جهانشاه (٨٤٠ ـ ٨٧٢ هـ) . ولم يقل هذا الحيف على كل حال في مداه ، ولا في شدته ونتائجه عما لحق الحائر مثله على يد الغزاة الوهابيين في عام ١٢١٦ هـ . فان الثروة العظيمة

الطائلة التي اجتمعت في خزائن الحائر خلال أربعة قرون من القرن السادس الى التاسع نهبت في أقل من طرفة عين في هذا الحادث ، كما وأن مثل هذه الثروة العظيمة التي اجتمعت فيها ثانية خلال الاربعة القرون الاخرى من القرن التاسع الى أوائل الثالث عشر منه كان مصيرها النهب أيضا على يد فئة أخرى تشبه الاولى في الجهل والتعصب الذميم . فلو قدّر الخبراء ما نهبه الغزاة الوهابيون من الحائر في عام ١٢١٦ هـ ببضعة ملايين من الدنانير الذهب على أقل تقدير من الاموال والمجوهرات والنفائس الثمينة لم يقل عن نصيبهم حسب الظاهر نصيب الفئة الباغية الاولى من نهب الحائر . فلا يقل ما نهبه المشعشعيون على كل حال عن بضعة ملايين من الدنانير الذهب ، وهو بالضبط أو تقريبا بقدر ما نهبه الوهابيون بعد أربعة قرون ، لان ما نهبه الغلاة والوهابيون من الحائر في كل مرة كانت نتيجة ما إجتمعت من الأموال والنفائس في خزائنه خلال أربعة قرون وبذلك يساوي عمل الغلاة والوهابيين في كلا الحالين .

الفصل التاسع

الحائر والهدم والحرق والنهب والقتل

على يد الوهابيين فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٢١٦ من الهجرة

« لقد عاودتنا اليوم أرزاء كربلاء = ١٢١٦ هـ »

إن أعظم فاجعة من بعد وقعة الطف مرّت على كربلاء في التاريخ هي غزو الوهابيين لها في عام ١٢١٦ من الهجرة . تلك الفاجعة التي

لا تزال تردّد صداها البلادالاسلامية والاوروبية معاً ، فأسهب في فظاعتها المؤرخون من مسلمين وأوروبيين، وانعكست في الشعر فرددها الشعراء في قصائد طويلة صوّروها ووصفوا فجائعها المنكرة أدق وصف فعدوها وقعة طف ثانية في التاريخ . ولا نريد أن نبدي فيها رأياً قبل الخبر ، فندع المجال أولا للاوروبيين ومن بعدهم للمسلمين أن يصفوا تلك الفاجعة العظيمة والمذبحة الهائلة ويبدوا رأيهم فيها ، فنعطي دور الكلام أولاً الى المستر ستيفن هيمسلي لونكريك الانكليزي أن يتكلم أمام الرأي العام العالمي والتاريخ بصراحته وحريته على منصة الخطابة في هذه المحاكمة التاريخية ، فاسمعوا إلى قوله ، فانه في كتابه « أربعة قرون من تاريخ العراق - طبع بغداد ١٩٤١ » يقول :

« لم تكن أعراب نجد تختلف في العقيدة والمذهب عن بقية المسلمين إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري حين نشر بينهم محمد بن عبدالوهاب تعاليمه الجديدة التي جاءت موافقة لميول أمةٍ بدوية تعيش على الفطرة ، معتمدة على الغزو في معيشتها ، ولاقت قبولا حسناً من محمد بن سعود أميرهم . وقد تلقى محمد بن عبد الوهاب دروسه في كليات بغداد الدينية فاتيح له أن يجاب الاخطار العظيمة على هذه البلاد التي أقام فيها . وانتقل من بغداد الى المدينة ثم الى « عُوينة » في نجد . ثم اضطر أخيراً الى الفرار من هناك فالتجأ الى الامير محمد بن سعود في الدرعية فاستقام عنده واستولى على لبه سنة بعد اخرى فكانت من ذلك أن إتحدت قواها الدينية والدنياوية فولّد ذلك وحدة وروحاً في هذه الدويلة الصغيرة

التي نشرت عقيدتها بالفتح . ملخصة عن صفحة ٢٢٧ منه » .

« ومات الأمير في سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) فاستخلفه عبدالعزيز بن سعود . وما حلّت سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) حتى كان إبن سعود هذا ذا قوة عظيمة في الجزيرة ، فأصبحت منـذ ذلك الحين تعرف إمبراطورية ابن سعود النجدية بالعقيدة الوهابية ، وقد توسعت غزواتهم الدينية في جميع الجهات . وقد أصبح العراق من قبل عام ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠) يحس بوجود جارٍ حديث غير مستقر . ملخصة عن صفحة ٢٢٧ ـ ٢٢٨ » إذ أخذت تتكرر هجماتهم على حدود العراق ولم يأت الصلح الذي إنعقد معهم ببغداد في عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩) بفائدة ما ، لأن صلحاً كهذا يكتنفه التعصب العدائي من جهة ، والتحدي لعرف البادية من جهة أخرى لا يمكن أن يؤمل دوامه . فقد هاجم الوهابيون بعد سنة حجاج الخزاعل بالقرب من نجد ، وفي فرصة أخرى للوهابيين هوجم الحجاج الايرانيون ونهبوا في الموضع نفسه ... وما كاد يخبر بظهور القوات قرب شفاثه حتى سارع الكهية (لقب وزير الياشوات في بغداد) وخيّم بالقرب من كربلاء. ص ٢٣١ » .

وهنا يسهب المستر لونكريك في وصف تلك الغارة الشنعاء المنكرة على مدينة كربلاء العزلاء المكشوفة بقوله : « على ان الفاجعة الكبرى كانت على قاب قوسين أو أدنى ، تلك الفاجعـة التي دلت على منتهى القسوة والهمجية والطمع الأشعبي واستعملت باسم الدين . وان الجيوش الوهابية تحركت للغزو المختص بالربيع . فأرسل الكهية الى الهندية إلا أنه

ما كاد يغادر بغداد حتى وافت أخبار هجوم الوهابيين على كربلاء ونهبهم إياها وهي أقدس المدن الشيعية وأغناها .

ثم يصف المستر لونكريك هجوم الوهابيين على كربلاء ونهبهم وهدمهم الحضرة المقدسة بقوله : « إنتشر خبر إقتراب الوهابيين من كربلاء في عشية اليوم الثاني من نيسان (١٨٠١) عند ما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بالزيارة . فسارع من بقي في المدينة لاغلاق الأبواب ، غير أن الوهابيين وقد قُدّروا بستمائة هجان وأربعمائة فارس نزلوا فنصبوا خيامهم وقسموا قوتهم الى ثلاثة أقسام . ومن ظل أحد الخانات (من ناحية محلة باب المخيم فتحوا ثغرة في السور فدخلوا أحد الخانات فجأة) هاجموا أقرب باب من أبواب البلد ، فتمكنوا من فتحه عسفاً ودخلوا . فدهش السكان وأصبحوا يفرون على غير هدى بل كيفما شاء خوفهم . أما الوهابيون الخشن فقد شقوا طريقهم إلى الأضرحة المقدسة واخذوا يخربونها ، فاقتلعت القضب المعدنية ، والسياج ثم المرايا الجسيمة . ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات والأمراء وملوك الفرس . وكذلك سلبت زخارف الجدران وقلع ذهب السقوف ، وأخذت الشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلّقات الثمينة ، والأبواب المرصعة وجميع ما وجد من هذا الضرب وقد سُحبت جميعها ونقلت الى الخارج . ص ٢٣٣ » .

ثم يبسط المستر لونكريك أمام العدل الانساني ظلامة الالوف من الشيوخ والاطفال ، ومن النساء والرجال الذين كانوا ضحية الوحشية بقوله:

« وقُتل زيادةً على هـذه الافاعيل قراب خمسين شخصاً بالقرب من الضريح ، وخمسمائة ايضاً خارج الضريح في الصحن . أمّا البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فساداً وتخريباً وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه ، كما سرقوا كل دار ، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل ، ولم يحترموا النساء ولا الرجال . فلم يسلم الـكل من وحشيتهم ولا من أسرهم . ولقـد قدّر البعض عدد القتلى بألف نسمة وقدّر الآخرون خمسة أضعاف ذلك[1] . ولم يبتعد وصول النكبة إلى كربلاء نفعاً . فقـد جمع جيشه في كربلاء والحلة والكفل ، ونقل خزائن النجف الأشرف إلى بغداد . ثم حصّن كربلاء بسور خاص وعلى هذا لم يقم بأي إنتقام للفعلة الشنيعة الأخيرة التي قام بها العدو الذي لا يدرك . وقد كان ذلك الحادث الأليم للباشا الشيخ (سليمان باشا الكبير والي بغداد) في عمره هذا صدمةً مُميتة . وإنتشر الرعب والفزع في جميع انحاء تركية وإيران . وبذلك رجع وحوش نجد الكواسر إلى مواطنهم ثقالاً على إبلهم التي حملّت تحميلاً ثقيلا نفائس لا تُثمّن . ص ٢٣٣ » .

وقد وصف الكثير من المؤرخين هذا الحادث المؤلم لهذه البلدة

---

(١) ان مرزا أبو طالب يلوم في هذا الحادث عمر آغا حاكم البلدة وهو سني متعصب لم يعمل شيئاً لحماية البلدة ، وقـد قتله أخيراً سليمان باشا (ص ٢٦٢ من رحلته) وقد ذكر المرزا أبو طالب في ص ٢٩٩ من الترجمة الفرنسية لرحلته: انه لقي بكربلاء عمته المسماة « كربلاي بكم » ونسوة من حاشيتها وكان الوهابيون قد سلبوهن كل ما كن يملكن ، فأعانهن أبوطالب بكل ما استطاع من المعونة . ثم ذكر انهم قتلوا خمسة آلاف انسان وجرحوا عشرة آلاف . هامش « أربعة قرون » ص ٢٣٣ » .

الاسلامية المقدسة الآمنة بكثير من الاستفضاع والاستهجان على نحو ما فعله المستر لونكريك ، فجاء مثل ذلك عن هدم الوهابيين للحائر المقدس ونهبهم البلدة وقتلهم عشرات الألوف من النفوس البريئة بين شيوخ وشبان ونساء ورجال وأطفال في كل من كتاب « أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٧ » وكتاب « تحفة العالم ج ١ ص ٢٨٩ » وكتاب « روضات الجنات ص ٢٦٥ وص ٣٥٣ » وفي كتاب « شهداء الفضيلة ص ٢٨٨ » للعلامة الشيخ عبدالحسين الأميني ، وغيرها من الكتب التاريخية الكثيرة ولضيق المجال إكتفينا بالاشارة اليها للمراجعة بهذا الصدد .

واما الوصف المسهب لهذه الغارة الهائلة وما نهبوا من اموال الحائر وخزائنه ، ومن أثاث الروضة المطهرة ، وما عملوا فيها من الهدم والتدمير فقد جاء بصورةٍ أوفى في كتاب « تاريخ كربلاء المعلى ص ٢٠ - ٢٢ » بما نصه : « وبقيت كربلاء وهي مطمئنة البال مدة طويلة تزيد على ثلاثة قرون - يعني بذلك من بعد غارة المشعشعيين في سنة ٨٥٨ الى غارة الوهابيين في ١٢١٦ - ولم تر في خلالها ما يكدر صفو سكانها حتى إذا جائت سنة ١٢١٦ هجرية جهز الأمير سعود الوهابي جيشاً عرمرماً مؤلفاً من عشرين الف مقاتل وهجم بهم على مدينة كربلاء وكانت على غاية من الشهرة والفخامة ، يؤمها زوار الفرس والترك والعرب ، فدخل سعود المدينة بعد ان ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتالا شديداً ، وكان سور المدينة مركباً من أفلاك نخيل مرصوصة خلف حائط من طين . وقد إرتكب الجيوش فيها من الفظائع ما لا يوصف حتى قيل انه قتل في ليلةٍ واحدة

عشرين الف نسمة . وبعد ان أتم الأمير سعود مهمته الحربية التفت نحو خزائن القبر وكانت مشحونة بالأموال الوفيرة وكل شيء نفيس ، فأخذ كل ما وجد فيها ، وقيل انه فتح كنزاً كان فيه جة جمعت من الزوار . وكان من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيره وعشرين سيفاً محلاة جميعاً بالذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ، وأوان ذهبية وفضية وفيروز والماس وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر .

وقيل من جملة ما نهبه سعود أثاث الروضة وفرشها منها اربعة آلاف (٤٠٠٠ر) شال كشمير ، والفان (٢٠٠٠ر) سيف من الفضة ، وكثير من البنادق والاسلحة . وقد صارت كربلاء بعد هذه الوقعة في حال يرثي لها ، وقد عاد اليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فاصلح بعض خرابها وأعاد اليها العمران رويداً رويداً . وقد زارها في أوائل القرن التاسع عشر أحد ملوك الهند فاشفق على حالتها ، وبنا فيها أسواقاً حسنة ، وبيوتاً فوراء أسكنها بعض من نكبوا . وبنى البلدة سوراً حصيناً لصد هجمات الأعداء ، وأقام حوله الأبراج والمعاقل ، ونصب له آلات الدفاع على الطراز القديم وصارت على من يهاجمها أمنع من عقاب الجو فأمنت على نفسها ، وعاد اليها بعض الرقي والتقدم » .

وقد أدمت هذه الفاجعة العيون ، واوجعت قلوب المسلمين في مختلف أقطار الارض ، وهزت العالم الاسلامي بأسره من أدناه إلى أقصاه . لأن بها تجددت مرة اخرى ارزاء كربلاء وبعثت مأساة الطف من جديد كما وصفها الشاعر الحاج محمد رضا الازري المتوفى عام ١٢٤٠ هـ :

ونادى به نادي الصلاح مؤرخاً «لقد عاودتنا اليوم أرزاء كربلاء»

حتى وان العواصم الاسلامية على ما يحدثنا المستر لونكريك في تاريخه إهتزت بها هزاً عنيفاً لان « الاعتداء الوهابي كان يلاحظ بكل إهتمام من طهران ومن إستانبول على حد سواء ، وقد ردّدت إيران بأجمعها صدى نهب كربلاء وضريح الامام الحسين - ص ٢٦١ - » . وقد بين قبل ذلك ما أدى الى مقتل زعيم الوهابيين بسنة واحدة بعد غارته الشعواء على تلك المدينة الآمنة بقوله : « وقد إعتقد الناس ان قتل عبدالعزيز بن سعود الشيخ الهرم في سنة ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م كان بتحريض من باشا بغداد . على أن القاتل كان « مُلاّ » افغانياً وكان يقيم ببغداد وقد قتله إنتقاماً لابنائه المذبوحين في موقعة كربلاء - ص ٢٤٦ - » وقد جاء نظماً في « مجالي اللطف ص ٤٣ » وصف الغارة :

فشدّ لابثني هواه الثاني ... ومزق الكتاب والمثاني

وهدم الشباك والرواقا ... وإستلب الحلي والاعلاقا

وقتل النساء والاطفالا ... إذ لم يجد في كربلا رجالا

لانهم زاروا الغدير قصدا ... فارخوه « بغدير) عـدا (١٢١٦)

الفصل العاشر

الحائر ومأذنة العبد المشهورة

تاريخها وهدمها فى سنة ١٣٥٤ من الهجرة

أمام القارئ هذه الصورة الفريدة لهدم أهم أثر من آثار الحائر الفنية التاريخية العظيمة وهي مأذنة مرجان المشهورة بـ « منارة العبد » في الجهة

مأذنة مرجان المشهورة

بـ « منارة العبد » في صحن الحسين عليه السلام وقد هدمت من الأساس
في عام ١٣٥٤ من الهجرة = ١٩٣٥ م

الشرقية الشمالية من صحن الحسين عليه السلام . وقد اقتلعت هذه المنارة العتيدة من جذورها في عام ١٣٥٤ من الهجرة = ١٩٣٥ م . وترى فوقها العمال وبيدهم المعاول وهم في حالة هدم القسم الأعلى منها . وأهمية هذه الصورة من الناحية التاريخية أنها تعطي الانسان بعض الفكرة عن الماضي الذي لا تملك عنه مثل هذه الوثيقة بأنه كيف أو بأي نوع كان يجري هدم الحائر نفسه في تلك الادوار الماضية البعيدة على عهد المتوكل أو غيره .

تلك أهمية هذه الصورة الفريدة في نوعها . وفيما يلي موجز في وصف هذه المأذنة ، ومجمل عن تاريخ بناءها وأوقافها وتعميرها على عهد الشاه طهماسب الصفوي ، ومختصر عن أسباب هدمها وفكرة توسيع الصحن الشريف من الجهة التي كانت تقع فيها ، ثم رثاء الشعراء لها :

١ - كان يتميز صحن الحسين (ع) وقبابه العالية للناظر إلى عام ١٣٥٤ هـ بالمآذن الثلاث التي كانت تزين الحائر المقدس ، إثنتان منها في مقدم الحرم ، والثالثة في مؤخرته في الجانب الشرقي من الصحن وكانت هي تلك المأذنة التاريخية العتيدة التي كانت تزيد في جلال الحائر وبهاء منظره . وكانت تقع هذه المأذنة ، كما يظهر من هذه الصورة ومن الصورة المنشورة في الصفحة ١٤٩ من هذا الكتاب ، في الجانب الشرقي من الصحن ملتصقة بجدار السور على بعد عشرين متراً تقريباً من الزاوية الشمالية الشرقية فكانت على يسار الذاهب إلى حرم العباس (ع) :

بلى تبقّى محكم الأساس شمال من يمضي إلى العباس

وكانت مأذنةً جبارة أعظم وأفخم من كل المآذن الموجودة في العتبات

المقدسة من كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء ، ومن حيث الفخامة في الأبنية التاريخية كانت هي الثانية في العراق من بعد « ملويّة » المتوكل وجامعه في سامراء . فكان يبلغ قطر قاعدتها عشرين متراً تقريباً وارتفاعها أربعين متراً مكسوة بالفسيفساء والكاشاني الآثاري البديع الصنع مما يندر وجودهما جداً في هذا اليوم في بقية الآثار التاريخية القديمة إن كان في العراق أو في ايران . ولا يعلم بالضبط ما كان من مصير زخارفها الثمينة بعدما هدمت في عام ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .

٢ ـ تاريخ بناء هذه المأذنة وسبب تشييدها ، ومن الذي شيدها وما أجرى لها من الأوقاف — كان مرجان والياً على العراق من قِبَل السلطان أويس الجلائري كما بيناه فيما سبق . فرفع العبد راية العصيان فزحف أويس عليه بجيش جرار من تبريز ، فتفرق أنصار مرجان ولما بقي وحده لا مناصر له هرب إلى كربلاء واستجار بحرم الحسين عليه السلام فبنى هذه المأذنة العتيدة المشهورة بـ « منارة العبد » مع جامعها وأجرى لها من أملاكه في بغداد وكربلاء وعين التمر والرحالية وغيرها أوقافاً يصرف وارداها على الجامع والمأذنة وأصبحت تلك الأملاك الموقوفة أوقافاً حسينية . أما مرجان نفسه فاعتكف في ذلك الجامع والمأذنة لائذاً بالحسين من سخط أويس . ولما علم أويس بما جرى للعبد أحضره فأكرمه وعفى عنه وأعاده والياً على العراق لما قام به من الخدمات الجليلة نحو الحائر المقدس في عام ٧٦٧ هـ . وعلى الأثر قام أويس هو الثاني في تعظيم شعائر الحائر وتجديد عمارته من جديد في تلك السنة .

٣ ـ تعمير مأذنة العبد التاريخية في سنة ٩٨٢ على يد الشاه طهماسب الصفوي — بعد أكثر من قرنين من تشييد منارة العبد على يد مرجان والي العراق إحتاجت هذه المأذنة بعض التصليح والتحسين في مظاهرها الفخمة فمدّ لها الشاه طهماسب بن الشاه اسمعيل الصفوي كفّ البذل والجود فأصلحها وأعاد تعميرها في عام ٩٨٢ من الهجرة في ضمن ما قام به في تلك السنة من التعمير والاصلاحات الأساسية للحائر المقدس وتوسيع الصحن من الجهة الشمالية منه . إذ أن صحن الحسين (ع) كان حسب الظاهر على شكل صحن الكاظمية له ثلاث جهات من الشرق والغرب والجنوب فقط ، وأن الشاه طهماسب الصفوي هو الذي أحدث الجهة الشمالية كما يشير إلى ذلك قول العلامة المجلسي : « والأظهر عندي إنه ـ أي الحائر ـ مجموع الصحن القديم لا ما تجدد منه في الدولة العلية الصفوية شيّد الله أركانهم . والذي ظهر لي من القرائن وسمعت من مشايخ تلك البلاد إنه لم يتغير الصحن من جهة القبلة ، ولا من اليمين والشمال ، بل إنما زيد من خلاف جهة القبلة ـ البحار ج١٨ ص٧٥٣ ـ » . وقد جاء وصف تعمير الشاه طهماسب لها في « مجالي اللطف ص ٤٢ » :

ثم تداعى ظاهر المنارة ... للعبد واستدعى له عمارة
فمدّ كفه لها طهماسب ... وعمّرت بما لها يناسب

وأرخت ما بين عجم وعرب «أنكشت يار» تعني «خنصر الأحب» .

فان أنكشت يار وخنصر الأحب هما تاريخ تعميرها في عام ٩٨٢ هـ. على يد الشاه طهماسب الصفوي .

٤ - هدم مأذنة العبد التأريخية في عام ١٣٥٤ هـ وأسباب هذا الهدم :
عاشت هذه المأذنة التاريخية العتيدة ستة قرون نقيةً سالمة ، بعيدة كل البعد عن الآفات والطوارئ الزمنية من يوم تشييدها في عام ٧٦٧ إلى عام ١٣٥٤ هـ وهو آخر سنة من عمرها على وجه الأرض في صحن الحسين (ع) فتناولتها معاول الهدم في تلك السنة فهدمت مرة واحدة من قمتها إلى أساسها في تخوم الأرض . والسبب في ذلك أنهم قالوا ظهر عليها الاعوجاج وأصبحت « مائلة للانهدام » فيجب هدمها قبل أن تسبب كارثة للحائر المقدس ، هذا ما سمعناه لأننا كنا يومئذٍ خارج العراق في الاصطياف ، فهدمت على الأثر تواً ولم يبق لها اليوم غير هذه الصورة التي أخذت عنها وهي في حالة التهديم . ولكن من الذي حكم في أنها مائلة إلى الانهدام ؟ لا نعلم . وهل كانت مائلة إلى الانهدام في الحقيقة ؟ لا نعلم . وعلى فرض أنها كانت مائلة إلى الانهدام وكان يجب هدمها درءً للخطر فهل هي كانت مائلة إلى الاساس وما كان يزول خطرها إلا باقتلاعها من جذورها ؟ لا نعلم . لان ذلك من الامور الفنية والفن يقرر عندنا مصير كل شيء ، فهو الذي يمكن أن يحكم هل في بقائها خطر ، أو هل هذا الخطر على فرض وجوده هو إلى حد مَيَلان المأذنة أو إلى حد أساسها في تخوم الارض . تلك أمور فنية لا يمكن لأحد النقاش فيها ، وربما الفن هو الذي قرر وجوب هدمها إلى الاساس ، ومن يعلم ؟ أما تقولات الناس عن أقوال الخبير المصري الذي استقدم في ذلك التاريخ من مصر لتنظيم شؤون الاوقاف وجلبه صورة السجلات الاصلية من استانبول وعثوره فيها على قيود لاوقاف

حسينية تخص مأذنة العبد المذكورة وجامعها إلى غير ذلك من هذه الاقوال المختلفة الكثيرة التي تتقوّل بها الناس من ذلك الحين إلى الآن بأنها كانت هي السبب في إزالة تلك المأذنة التاريخية العتيدة من عالم الوجود ، فان كل ذلك أقوال أو شبه تكهنات لم تتمكن إلى الآن من الوصول إلى حقيقتها . غير أنه كان لمأذنة العبد وجامعها مرتّبين رسميين في العهد العثماني وفي هذا العهد ، فمن أي موردٍ كان يصرف عليها إذن ؟ لا نعلم . وعلى كل حال فاذا كان لتقولات الناس وأحاديثهم اليومية ظلّ من الحقيقة فلابد وأنها تظهر ، وإلا فتزول زوال المأذنة نفسها من عالم الوجود ، ولم يبق منها اليوم سوى الحيّز الذي كانت تشغله في تلك الزاوية من الجامع ولا زال محلها يتميز بلون الكاشاني الذي يختلف عن كاشاني جانبيه في اللون والصنعة . وهذا كل مابقي لها من أثر محسوس في صحن الحسين (ع) .

٥ ـ فكرة توسيع صحن الحسين (ع) من جهة الشرق — وظهرت في الآونة الاخيرة فكرة جديدة في ظاهرها ، وقديمة في أصلها لانها ترجع بالاصل إلى يوم هدموا مأذنة العبد التاريخية قبل خمسة عشر سنة . وهذه الفكرة ترمي اليوم إلى توسيع الصحن المطهر من جهة الشرق لرفع الركنين البارزين في الزاوية الجنوبية الشرقية ، والزاوية الشمالية الشرقية حيث في هذه الاخيرة كانت تقع مأذنة العبد المذكورة ولا زال أثر موقعها ظاهر على جدار الصحن باختلاف لون الكاشاني الجديد المنصوب في محلها عن الكاشاني القديم المستعمل على جانبيه . فاذا رفعوا الركنين المذكورين كما هو المقصود اليوم زال نهائياً كل أثر للمأذنة المذكورة فتصبح كأنها

ما كانت في عالم الوجود ولا رآها أحد كما نبّه إليه « مجالي اللطف ص ٤٥ » بقوله :

متصلاً مع الجدار الغربي في باب صحن السبط أو في القرب
وربما يزال كالسبيل إن بني الصحن على التعديل

وقصة منارة الكفل لا زالت عالقة بالأذهان تتحدث عنها الناس إلى هذا اليوم .

وهذه الفكرة ، كما ألمح إليها في الشطر الاخير ، ليست بجديدة وكانت النية معروفة وإنما دخلت اليوم دور التنفيذ . حتى وأن البعض من المفكرين يرون بأن مشروع حول الصحن أيضاً وليد تلك الظروف وإلا كان بالامكان إبعاد المشروع عن منطقة المدارس الدينية والمعاهد العلمية التابعة للحائر المقدس . فهل كان لمأذنة العيد وجامعها أيضاً فروع حول الصحن ؟ لا نعلم .

٦ ـ هندسة مرقد الحسين (ع) وهندسة ضريحه الطاهر وصحنه — كل مشهد من المشاهد المشرفة في العراق امتاز بشكله الخاص كما يمكن ملاحظة ذلك من المقارنة بين تصاويرها ، ومن بين المشاهد المشرفة فان مرقد الحسين (ع) كان يمتاز بقبته الذهبية العالية ومآذنه المثلثة وبهدم المأذنة هذه هدم ركن من أركان الحائر ، كما وأن ضريحه الطاهر وصحنه امتازا عن البقية بالشكل الهندسي المسدس ، فان للضريح ستة أضلاع ضلعان منها لولديه (ع) كما وأن للصحن نفسه ستة أضلاع على هندسة الضريح بالذات كما تراه في هذه الصورة :

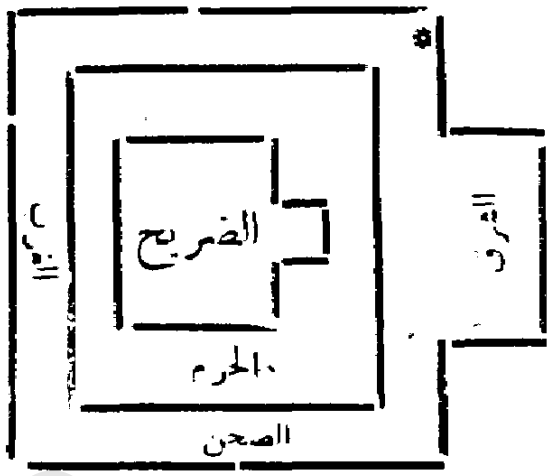

* محل مأذنة العبد في صحن الحسين

وهذه كانت هندسة مقصودة ولعل فيها سر من اسرار الدين ، فلماذا يراد رفعها لتوسيع الصحن من هذه الجهة ؟ وما المبرر للموظفين الاداريين في تدخلهم في مثل هـذه الامور الدينية التي لها العلاقة التامة بمعتقدات الناس ؟ والناس في حالة قلق وخوف يتساءلون عن سبب تدخل الموظفين الاداريين الى هذه الدرجة في أمور عتبات الشيعة ومقدساتهم الدينية دون بقية الطوائف وعلى الأخص في كربلاء من عام ١٩٣٥ إلى أيام طاهر القيسي والى اليوم ؟ ويهدد كل من يبدي الرأي بالسوق والتبعيد والتسفير كأنما أهل هذه البلدة هم المسؤولون عما حل بمن ما أحسنوا السياسة مع القوة الحاكمة في وقته ، ولا يأوّل كلامنا بأننا لسنا من طلاب الاصلاح والتجديد ، ولكن للاصلاح في مثل هذه الأمور حدود كما وان لادارة اللواء وإصلاحها من الوجوه العديدة أهميتها ، ونحن على علم بأن الحكومة الجليلة ليس لها علم بما يجري إلا من وراء تنسيبات الموظفين أنفسهم بالتقارير التي يرفعونها اليها في صالحهم أو التأييدات التي يأخذونها في مثل هذه الحالات من لفيفٍ من أنصارهم ممن يتوقعون قضاء مصالحهم الخاصة بها ، وفي كل ذلك يموهون الأمر وبالنتيجة يسيئون الى سمعتها . ويا حبذا

التقليل من التدخل في أمور العتبات الداخلية وصرف النشاط والمقدرة في خدمة اللواء كله من نواحيه الكثيرة وفي هذا يكون خير الجميع . لأن تدخلاتهم الى الآن ما أسفرت عن نتيجة حسنة لا لعدم وجود حسن النية ولكن لعدم وجود الخبرة والصلاحية . فان نتائج تدخل طاهر القيسي صارت تظهر اليوم بحدوث بعض التصدع في القبة السامية على ما يقال . فمن المسؤول عنها ؟ وهذا حديث جديد يرجع الى يوم السبت ٢٢ رجب ١٣٦٨

وكيف تدارك الأمر ؟ ومن يكفل في المستقبل نتائج ما يجري اليوم ؟ ومن سيكون المسئول عنها ؟ نحن قلنا وتركنا الأمر لمن يهمه الأمر وما على الرسول إلا البلاغ .

ولا بدّ لنا من الاشارة الى سبب هذا التدخل خدمة للحكومة ، وهو أن البعض من الموظفين الاداريين تبنّوا قضية كربلاء فجعلوها منذ عام ١٩٣٥ ديباجة لنشاطهم الاداري وأطروحة لحياتهم السياسية فنال من ورائها المناصب الرفيعة في الدولة فأصبحت من « المودة » أن يتبعه الآخرون فمُنيت كربلاء منذ ذلك الحين بالهدم والتخريب والتقفير لتوصل المتصرفين الى كراسي الوزارة فيكون نصيبها الفقر والبؤس ونصيبهم النعيم والترف والحكم ، ونعم مدرجة أصبحت كربلاء للطامحين فاصبحت على قول الشاعر :

كعصفورة في كفّ طفل يهينها تذوق مرار الموت والطفل يلعب

فيلعب الطفل ولا يشعر بما تذوقه هي من مرارة وضيم في كفه . مع أن كربلاء كانت مورد الاحترام والتقديس في العهد العثماني وفي عهد

الاحتلال وفي الحكم الوطني الحاضر ، ولكن الشباب المتطلع من البؤس الى الكرسي والمال والثروة إستهون الأمر . أليس من عجب الدنيا في تاريخ الجائر المقدس أن يؤلف الموظف لجنة من سدنة الحرمين الشريفين ووجوه البلد يسيّرهم من بلد إلى بلد للاستعطاء والاستجداء لتعمير صحن الحسين (ع) ؟ فقد أهان بذلك حرم الحسين (ع) وأساء إلى سمعة الحكومة المحترمة لان متى وفي أي وقت قصرت الحكومة منذ تأسيسها الى اليوم عن تعمير العتبات المقدسة من مورد النفط أو من المالية أو من الاوقاف وغيرها ؟ أليست كل هذه التعميرات التي تمت في هذا العهد قامت به الحكومة ؟ فلماذا هذا الاستعطاء والاستجداء في البلاد ؟ ومعنى ذلك أن الحكومة ما قامت أو ما تقوم بشيء . وهذا إفتراءٌ وبهتانٌ ونكرانٌ للجميل . ثم في أي دور من أدوار التاريخ جرى تعمير العتبات المقدسة بالاستعطاء والاستجداء ؟ أليس الأمراء والملوك والسلاطين في كل أدوار التاريخ وإلى يومنا هذا هم الذين قاموا بتعميرها والعمارة عليها تقرباً إلى الله تعالى وخدمة للحسين عليه السلام ؟ فان لم تصدق فان هذا الكتاب بين يديك فهو ينطق بذلك مستنداً على المصادر التاريخية .

وأما التشبث بهذه الطرق المبتذلة الوضيعة لتعمير صحن الحسين (ع) ففيها حطّ من كرامة الجائر وإساءة إلى سمعة حكومةٍ وطنيةٍ مخلصة على رأسها من يفتخر به عرش العراق والامة العربية جمعاء لأنه من أكرم سلالة ومن أشرف بيت في العرب كله . فرحماً بكربلاء وكفى الجائر ما ألحقوا به من الاضرار الفادحة من عام ١٩٣٤ فلننظر أي شيء منها

عمروها في هذه المدة غير الهدم ، ثم الهدم في كل يوم ، ولا ننسى ما للمهندسي البلدية من المصلحة في الهدم وتكفي نظرة واحدة على أيام طاهر القيسي وما أجراه المهندس من التخريب يومياً في البلد . فاننا لم نستعرض هذه الأمور إلا توخياً للمصلحة وتنويراً لأولياء الأمر لا لشيء آخر .

٧ ـ رثاء مأذنة العبد على ألسنة الشعراء وأفواه الناس ـ تركت مأذنة العبد فراغاً هائلاً في الحائر المقدس وحسرة دائمية في قلوب محبي الفن والتاريخ كما وكان هدمها نظير ما جرى للحائر في الأدوار الماضية على يد الغلاة والوهابيين ، فبكتها القلوب ورثتها الشعراء ومن ذلك ما جاء في « مجالي اللطف » عن أدوار تشييدها في عام ٧٦٧ هـ ، وتعميرها في عام ٩٨٢ هـ ، وهدمها في عام ١٣٥٤ هـ ، ثم التلميح بازالة موضعها ايضاً بتوسيع الصحن ، ثم جعلها مثالاً لكل ما يهدم ويزول من عالم الوجود :

ثم بنى المسجد والمنارة ... فانتسبت للعبد ذي الامارة
وكان ذا في السبع والستينا ... من بعد سبع قد خلت مئينا
ثم تداعى ظاهر المنارة ... للعبد واستدعى له عمارة
فمدّ كفه لها طهماسب ... وعمّرت بما لها يناسب
وأرخت ما بين عجم وعرب ... «أنكشت يار» تعني «خنصر الأحب»

وهنا تتفجر حسرات الشاعر في أعماق قلبه كما يظهر عليه في قوله :

وهُدمت منارة العبد فلم ... يبق لها من أثر ولا علم
لقولهم بأن عظمها وهن ... في الاربع والخمسين من هذا الزمن[1]

(١) جاء في الأصل « في الست والخمسين » وهو خطأ مطبعي .

بلى تبقى محكم الاساس شمال من يمضي الى العباس
متصلاً مع الجدار الغربي في باب صحن السبط أو في القرب

ثم ينتبأ بأن الموضع سيزيل ايضاً من الوجود بقوله :

وربما يزال كالسبيل إن بني الصحن على التعديل

ثم يجعلها رمزاً لكل ما زال من الوجود بقوله :

فنصبت بين سبيل أحمد ومأذن العبد فويق المسجد
فمأذن العبد عرفت حالَهْ وأنه المنارة المزاله

وكأن في تسمية هذه المأذنة بـ « منارة العبد » بعض السرّ من نوع التنبأ والتكهن عن بدايتها ونهايتها . حتى وقيل بأنها كانت مطلسمة لأنهم وجدوا في أساسها بعض الأشياء والتعاويذ وغير ذلك ، وقيل أن مرجان لما شيّدها حصنّها لأنها هي التي أنقذته من مخالب الموت فلعن من يمسّها بسوء أو يهدمها ، كما لعن توت عنخ أمون فرعون مصر كل من ينبش قبره فما نجى ممن اشتركوا في نبش قبره وكل واحدٍ منهم ذاق مرارة اللعن فمات موتة غريبة . ولكن من الذي أصيب بلعن مرجان ، المسبب أو المباشر ؟ والاحاديث على ما يروون كانت كثيرة في الشام حول هذا الموضوع في السنين الماضية . ولا نريد الاطالة بأكثر من هذا وهناك طائفة من الشعر في رثاء مأذنة العبد فيها بعض الشيء من التعريض الصريح وغير الصريح ما رجحنا ذكرها لما فيها من مساس ببعض الافراد .

٨ ـ مصير مأذنة العبد التي هدمت في عام ١٣٥٤ هـ ـ لا زالت الناس تتحدث وتتساءل عن مصير مأذنة العبد بعد هدمها . فاذا كانت في الحقيقة

سائلة للانهدام فهدمت بهذا السبب ، فما المانع من إعادة بنائها ثانية كما سعوا من قبل باعادة بناء المأذنة الغربية التي هدمت أيضاً بنفس العنوان ؟ إن القول وجيه في ظاهره ، ولكن لا جواب لنا عنه لأن علم كل شيء عند الله .

الباب السادس

الحائر والاصلاحات المتأخرة

١ ـ الحائر واصلاحات الشاه اسمعيل الصفوي في سنة ٩١٤ من الهجرة .

٢ ـ الحائر واصلاحات السلطان سليمان القانوني في سنة ٩٤١ هـ = ١٥٣٤م .

٣ ـ الحائر واصلاحاته في الدولة الصفوية على عهد الشاه طهاسب والشاه عباس الكبير ـــ ونادر شاه .

٤ ـ الحائر واصلاحاته المهمة في الدولة القاجارية على يد السلطان آغا محمد خان وفتحعلي شاه وناصر الدين شاه .

٥ ـ الحائر والاصلاحات الأخيرة على يد السيد طاهر سيف الدين .

٦ ـ الحائر وتوابعه من المدارس والمعاهد العلمية ، والجوامع العظيمة والمساجد التأريخية ، والأماكن الأثرية الى قبل فتح الشارع من حوله .

٧ ـ الحائر وحرم العباس عليه السلام .

٨ ـ ختامه مسك . الحائر وعناية البيت المالك الهاشمي بشؤونه في العراق .

الفصل الأول

الحائر واصلاحات الشاه اسمعيل الصفوي

في سنة ٩١٤ من الهجرة

إن العمارة القائمة اليوم على القبر المطهر هي بالأصل تلك العمارة التي شيدها السلطان أويس الجلائري في عام ٧٦٧ هـ فاتمها من بعده ولداه السلطان حسين والسلطان أحمد في سنة ٧٨٦ هـ . ومن بعد ذلك صار الامراء والملوك والسلاطين من الفرس والعثمانيين يتسابقون في التقرب إلى هذه العتبة المقدسة لأخذ القسط الأوفر من تعميرها وإصلاحها . فمن حين إلى حين بين فترةٍ وأخرى كان يقوم أحدهم بتعمير قسم أو إصلاح جانب مهم من الحائر المقدس حسبما كان يستلزمه الوضع او يتطلبه الحال . وان الشاه إسمعيل الصفوي في رأس قائمة الملوك الذين نالوا حظاً وافراً من تعميره في أوائل القرن العاشر من الهجرة لأن « الأمبراطورية الصفوية الفتية التي أسسها الشاه إسمعيل كانت نتاجاً ظاهراً للبعث الديني ، وكان هذا البعث مبنياً على الايمان الشيعي القوي المفعم بالثقافة والمدنية » كما يحدثنا به المستر لونكريك في كتابه « أربعة قرون ص ٢٠ » فان مَثَل الدولة الصفوية من هذه الناحية وقيامها في ايران مَثَل الدولة الفاطمية في مصر طابق النعل بالنعل فأسرع الشاه في القضاء على الحكومة الآق قويونلية التركمانية في العراق فخضعت بغداد لحكمه في أواخر سنة ١٥٠٨ م = هـ ٩١٤ على يد القائد حسين بك لاله ، وإن دخول العراق في حوزة العرش

الشيعي الجديد - كما يقوله لونسكريك في ص ٢٠ - جاء بالشاه مسرعاً لزيارة العتبات المقدسة ، إذ « لم تكد تستقر جنوده في بغداد حتى قدم لزيارة الأضرحة المقدسة في كربلاء والنجف » .(١)

وقد يرى البعض في قيام الامبراطورية الصفوية ومحاربتها الأتراك والمغول والتتر والتركمان طوراً جديداً لبعث الحركة القومية العربية ثانية الى عالم الوجود بعد أن أكل عليها الدهر وشرب عدة قرون ، ولأن الصفويين و« يرجع نسب سلالتهم الى الامام السابع موسى الكاظم »(٢) كانوا من سلالة عربية عريقة في العروبة ، وإن ما قاموا به من الخدمات الجليلة تجاه المشاهد المشرفة لأئمة العرب الأطهار أو خلافها في اماكن أخرى ما كانت منبعثة في نظر البعض إلا عن عروبة متطرفة خالصة كانت كامنة في أعماق قلوبهم فكانوا يحاولون صبغ المجتمع الاسلامي بالصبغة العربية الخالصة . كما وأن في زيارته للاعتاب المقدسة في كربلاء والنجف قام بما يلزم من التعمير والاصلاح فشملت إصلاحاته العمرانية كربلاء بأسرها « فأصلح هناك ما أصبح يدعى منذ زمانه بنهر الشاه ، وعند زيارته موسى الكاظم - وهو جده الأعلى - أمر بانشاء بناء فخم حول الضريح »(٣)

وقد جاءت نبذة عن زيارته لكربلاء وما قام به من خدمات جليلة للروضة المقدسة والسكان والمجاورين في تاريخ « حبيب السير » بقوله : بعد أن تم فتح بغداد دخلها الشاه اسمعيل منتصراً في ٢٥ ج ٢ / ٩١٤ بين

---

(١) التاريخ الحديث ، لوزارة المعارف ص ١٠ ط بغداد ١٩٤٦ .
(٢) المصدر ص ٩ (٣) المصدر ص ١٠ و « أربعة قرون ص ٢٠ .

هتاف الأهلين . فعزم في اليوم الثاني على طواف العتبة المقدسة فتوجه الى كربلاء وعند الوصول اليها أدى مراسم الزيارة بكل دقة ، وراعى شروط التشرف بكل احترام ، فقبل العتبة المقدسة بخشوع وورع تام ، ومرغ بخديه على تراب تلك العتبة السامية مناجياً روح سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء ، ومستمداً النصر من الله تعالى . فأنعم على مجاوري الروضة المنورة بأنواع الهدايا . وكسا صندوق القبر الشريف بأثواب من أفخر أنواع الحرير المزركش والموشى بالفضة والذهب. ونصب فوق القبر المطهر إثنى عشر قنديلا من الذهب الخالص تتلالؤ كل واحدة منها كالشمس في رابعة النهار . وفرش الروضة الشريفة بأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع ،[1] وأقام الولائم الملوكية الفاخرة لسدنة الحرم المقدس وخدامه . وقد قضى ذلك الملك العلوي العظيم ليلة كاملة من أولها إلى طلوع الشمس وهو معتكف في الحائر منكب على قبر جده الحسين عليه السلام » . ثم يصف تاريخ «حبيب السير» زيارة الشاه للنجف الأشرف والكاظمية وسامراء ثم يقول :

« وعند العودة الى بغداد إنصرف الشاه مرة أخرى إلى تعظيم العتبات المقدسة وتجليلها فقرر أن يكون لكل واحدة منها « قهارة خانة » تقوم بأداء التحية الملكية لتلك المشاهد المشرفة صباحاً ومساءً على نمط بلاط الملوك وقصورهم كما هو جار لحد الآن بمشهد الرضا عليه السلام . ثم أمر بجمع نخبة ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء (الخاتم) بالتنبيت

---

(١) وهذه الهدايا صارت من جملة ما نهبه الوهابيون في سنة ١٢١٦ هـ .

والتطعيم في الخشب من أطراف البلاد فأمر بصنع ستة صناديق خاتم من الفسيفساء مزينة بالنقوش الاسليمية والختائيـة لمراقد الائمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلا عن صناديقها القديمة » .

وقد بذل الشاه اسمعيل ما كان بوسعه لتجليل العتبات وتعظيمها . و« في السنين المنحصرة بين زيارته للعراق ووفاته في ٩٣٠ هـ (١٥٢٤م) مرّ على العراق نصف جيل من السلم والهدوء ، وكانت تأثيرات العتبات المقدسة القوية تؤيدّ الحكم الجديد »[1] الذي جاء ختاماً لعهد مظلم بائد. غير أنه سرعان أن بدأ التنافس بينه وبين العثمانيين على إمتلاك العراق باعتلاء سليم العرش في سنة ١٥١٢ م - ٩١٨ هـ و « كانت مواهب سليم المتناقضة من الثقافة والشراسة ، ومن الذكاء والغباوة تستدعي العجب والدهشة ... وكانت ثقيلة عليه عظمة الدولة الشيعية الجديدة ، ولما لم تكن تركية تعد إذذاك حامية للدين الاسلامي الحنيف لذا كانت بطولة القضية السنية أول حُجّةٍ يتذرع بها سليم لاعلان الحرب . . وخلّد الاشهر الأولى من حكمه بالدمج المتقن لجميع الشيعة إينما وجدوا - أربعة قرون ص ٢١ - » وكان المذهب في هذه الحروب ذريعة للتوسع والتسخير ، وثم كان فتح العراق الذي تم نهائياً على يد إبنه السلطان سليمان القانوني في ٩٤١ هـ - ١٥٣٤م .

ويظهر ان الصندوق الذي أمر الشاه اسماعيل بصنعه للحائر المقدس لم يتم إلا في عام ٩٣٢ هـ كما جاء وصفه في « تاريخ كربلاء المعلي ص ١٥ »[2].

---

(١) راجع : « أربعة قرون من تاريخ العراق » ص ٢٠ .

(٢) ولكن تاريخ صندوق الخاتم الأثري الموجود الآن على القبر المطهر يرجع الى عام ١١٣٣ هـ فيصادف نصبه ظاهراً في زمن الشاه طهماسب الصفوي الثاني =

الفصل الثاني

الحائر و اصلاحات السلطان سليمان

القانوني في سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م

تم فتح العراق في سنة ٩٤١ هـ للسلطان سليمان القانوني وللانقسام الموجود فيه ومنذ صار يخامر قلبه الشكوك والمخاوف لاسيما وكان « يشع من العتبات المقدسة نفوذ قوي الوقع ذو حالين معاد للسلطان وودى للشاه ولذا أصبح العراق مسرحاً طبيعياً لنزعات هذين الخصمين كما أثبتت القرون الثلاثة من بعد ».[1] ولذلك بذل السلطان مابوسعه لاستمالة العتبات المقدسة و « لبى داعي الشعور الديني تلبية طيبة . . ولما كان السابقون له من الصفويين على جانب عظيم من السلطة الدينية كان عليه أن لايكون أقل منهم في هذا الشأن » فزار باجلال حقيقي « قبة موسى الكاظم ومحمد التقي الجواد . وأمر باكمال بناء الجامع الكبير الذي بدأ به الشاه اسمعيل (في الكاظمية) . ثم أوقف مقاطعات معلة للمقاصد الدينية ،

= وهذا التاريخ موجود عليه في الزاوية الجنوبية الشرقية منه أمام باب الضريح كتابة بالساج الأبيض . وقد أعيد تصليحه في سنة ١٢٢٥ هـ في عهد الدولة القاجارية كما جاء منقوشاً عليه بهذه العبارة « بعد تكسير أعداء الله له في سنة ١٢١٦ هـ قام بتجديده خان جان القاجار سنة ١٢٢٥ هـ . كتبه صالح الكلكاوي » . لأنه كان قد أحرق وحطم على يد الوهابيين . ولم يعرف ما حل بالصندوق الذي كان قدمه الشاه اسمعيل .

(١) « أربعة قرون » ص ٣٠ و ٣١ .

الشيعية والسنية على السواء ».[١]

ولم تتوقف سياسته الاسترضائية عند هذا الحد في العراق و « كانت عنايته الثانية أن يزور العتبات المقدسة في الفرات الأوسط ، وأن يفعل هناك أكثر مما فعله الزائر الصفوي في العهد الأخير. فوجد مدينة كربلاء المقدسة حائرة في حائرها بين المحَلّ والطغيان .[٢] فأنقذ هذه المدينة من خطر الغرق بانشاء سدّ لازال يُدعى بـ « روف السليمانية ». وأمر هناك باصلاح نهر الحسينية فأخذت المياه تروى البساتين والحقول [٣] . وصارت هذه الترعة تنساب في أرضٍ كان الجميع يظنونها أعلى من النهر الأصلي . فاستبشر الجميع المعجزة واقتسم الحسين الشهيد والسلطان التركي جميع الثناء والاعجاب [٤] . وتعاظمت لهذه الاعمال سمعة السلطان [٥] .

وجاء تفصيل زيارته للاعتاب المقدسة في « تحفة العالم ج ١ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ » بقوله : « إن السلطان سليمان العثماني دخل بغداد في ١٨ جمادى الأولى ٩٤١ هـ وزار مرقد الامامين الهمامين الجوادين (ع) في ظاهر بغداد . . ثم قصد زيارة المشهدين المعظمين أمير المؤمنين وأبي عبدالله الحسين عليهما السلام واستمدّ من أرواحهما . ولما توجه إلى زيارة النجف الأشرف ورأى القبة المنوّرة من مسافة أربع فراسخ ترجّل عن فرسه ،

---

(١) المصدر ص ٢٧ و « التاريخ الحديث » ص ٢١ وأما ما أوقفه للعتبات فقد ضبطه مراد الرابع بعد قرن واحد في عام ١٦٣٨ م. وضبط أيضاً أوقاف العتبات الأصلية وضمها الى الاوقاف العامة حسب الظاهر وذلك بالأضافة الى ما صادره من أملاك الشيعة (أربعة قرون - ص ٧٩ و ٨٠ -). (٢) المصدر ص ٢٧ (٣) التاريخ الحديث ص ٢١ . (٤) أربعة قرون ص ٢٧ (٥) التاريخ الحديث ص ١٢ .

فسئله بعض الأمراء عن سبب ذلك فقال له : لما وقعت عيني على القبة إرتعشت أعضائي بحيث لم أستطع الركوب على الفرس . فقال له البعض : إن المسافة بعيدة إلى النجف ولعل السلطان لا يتمكن من الوصول بهذه الحالة . فقال نتفأل بكتاب الله ، فلما فتحوا المصحف الشريف خرجت هذه الآية « فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى » . فركب بعض الطريق ومشى بعضه حتى دخل الروضة المقدسة ولسان الحال منه مترنم بهذا المقال :

إذا نحن زرناها وجدنا نسيمها يفوح لنا كالعنبر المتنفّس
ونمشي حفاتاً في ثراها تأدباً نرى إننا نمشي بوادٍ مقدّس

ثم ذكروا له قصة مرة بن قيس فأنشد السلطان هذين البيتين :

تزاحم تيجان الملوك ببابه ويكثر عند الاستلام ازدحامها
إذا ما رأته من بعيد ترجّلت وإن هي لم تفعل ترجّل هامها

ويستنتج من ذلك إلى أي درجةٍ كان للاعتاب المقدسة في العراق من القوة والنفوذ والتأثير في التوازن الدولي في الشرق الاسلامي ، وإلى أي درجة كان الملوك والسلاطين يتقربون إليها في الملمات ويلوذون بها لتوطيد دعائم الملك وتثبيت أساس الحكم . ثم ، وإلى أي درجةٍ كان السلطان سليمان القانوني بطل الحروب والفتوح الذي دوّخ أوربا مدة حكمه فطوى رقعة البلاد الأوروبية الشرقية فوقف على أبواب « ڤينا » عاصمة أعظم امبراطورية في ذلك الوقت ، كان يحاول التقرب إلى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف ويسعى في جلب رضاها وكسب ودها . فأين

صارت قوتها المعنوية تلك ؟ ومن قضى عليها يا ترى ؟

فان ما قام به من خدمات جليلة للاعتاب المقدسة ، ثم استمداده من أرواح الأئمة ، فترجّله عن الفرس عند رؤيته القبة المنورة عن بعد ومسيره مشياً على الأقدام إلى النجف ، وقطعه لسان من كذّب قصة مرة بن قيس ، وقتله من فضّله على أمير المؤمنين لكونه الخليفة الموجود ، فلم يكن ذلك كله إلا لجلب الرأي العام الشيعي وكسب ود العتبات المقدسة إلى جانبه توطيداً لدعائم حكمه في العراق ، تلك العتبات التي كان لها التأثير البليغ في التوازن الدولي في الشرق و « كان يشعّ منها نفوذ قوي الوقع »[1] كان يتوقف عليه مصير السلطان وحكمه في هذه البلاد .

الفصل الثالث

الحائر واصلاحاته في الدولة الصفوية

على عهد الشاه طهماسب والشاه عباس الكبير - ونادر شاه

قامت الدولة الصفوية من بعد الشاه اسمعيل بقسطٍ وافر من تعظيم الحائر وإصلاح شؤونه من حينٍ إلى حين كلما دعت الحاجة إليه كان العراق في يدهم أو في يد العثمانيين . وفي خلال الأربع والخمسين سنة من حكمه الطويل من عام ٩٣٠ إلى ٩٨٤ هـ مدّ له الشاه طهماسب مراراً كفّ السخاء والجود ومما جرى على يديه من التعمير للحائر المقدس تجديده عمارة

---

(١) راجع : « أربعة قرون » ص ٣٠ .

مأذنة العبد التاريخية في أواخر أيامه في سنة ٩٨٢ هـ كما مرّ فيما سبق وكان تاريخ هذا التعمير « أنكشت يار » . وكذلك تعميراته الكثيرة داخل الروضة المطهرة وتوسيعه المسجد الكبير الحالي في الحرم الشريف ، وبناؤه الرواق الشمالي ثم إحداثه القسم الشمالي من الصحن كما أشار إليه المجلسي في المجلد الثامن عشر من « البحار ص ٧٥٣ » بقوله : « والأظهر عندي أنه - أي الحائر - مجموع الصحن القديم ، لا ما تجدد منه في الدولة العلية الصفوية » ثم عيّن ما تجدد من الصحن في عهدها بقوله : « لم يتغير الصحن من جهة القبلة ولا من اليمين والشمال بل إنما زيد من خلاف جهة القبلة » . وإذا أضفنا إلى ذلك ما جاء في « الحدائق الناضرة ج ٢ ص ٣٤٦ » للشيخ يوسف البحراني بأن « هذا المسجد الجامع الموجود الآن في ظهر القبة السامية لم يكن قبل وإنما أحدث فيما يقرب من مائتي سنة ، ولما أحدثوه أخّروا جدار الصحن عن تلك الجهة ليتسع مثل باقي جهاته »[1] وقد توفي الشيخ يوسف في سنة ١١٨٦ هـ وإذا كان المسجد والصحن الشمالي أحدثا بمائتي سنة قبل زيارته في أواخر حياته فيصادف ذلك تماماً في أيام الشاه طهماسب الصفوي فيكون المسجد الحالي والرواق والصحن في تلك الجهة من إنشاءات الشاه طهماسب المذكور وهي عمارات جداً عظيمة كلّفت خزائن الصفويين مبلغاً عظيماً من الأموال مما كان يدل على تعلقهم الكبير بمشاهد الأئمة الأطهار .

---

(١) راجع : فيه ايضاً الصفحة ٢٣٤ من هذا الكتاب .

ولم تقف مبرّات الصفويين عند هذا الحد فكانوا يقدمون الخدمات الجليلة في كل فرصة ، إذ أن الشاه عباس الكبير (٩٩٦ هـ - ١٠٣٨ هـ) عند فتحه بغداد في عام ١٠٣٢ هـ = ١٦٢٣ م قام بخدمات نحو الحائر المقدس كما جاء وصفها نظماً في « مجالي اللطف ص ٤٢ » :

ثم أتى العباس في الأملاك فصيّر الصندوق في شباك
وزين القبة بالكاشاني والبهو في شأن يغيظ الثاني
ورّوق الرواق والصحن نظم وإستجلب الفراش من صنع العجم
وأطلق الكف بفضل وافر لسادن الروضة والمجاور
للاثنتين والثلاثين قفا ألف فارخوه (بالحسن ضفا
= ١٠٣٢)

وكان الشاه عباس كثير التمسك بالتشيع وذلك لأن الأتراك أخذوا من المذهب ذريعة لمحاربتهم . ويحدثنا السير جان مالكولم الانكليزي في كتابه « تاريخ ايران ص ٢٥١ » : إنه مراراً زار الرضا عليه السلام وذهب مرة هو وجميع وزرائه وأمرائه إلى زيارته مشياً على الأقدام من اصفهان إلى خراسان . كما ويحدثنا المستر لونكريك في كتابه « أربعة قرون ص ٦٢ » عن عنايته الفائقة للحائر المقدس وسدنته : « وكانت كراهية الشاه الدينية تزداد كلما إرتوت ، وقد صرفت فكره عن نياته بعدم إبقاء أي سُني حياً إلتماسات فيم مشهد كربلاء (أي الكليدار) . فقد حصل السيد (أي كليدار الحسين ع) من دون صعوبة على حفظ حياة الشيعة في بغداد ، وعند تقديم قائمة بهم أدخل في عدادهم كثيراً

من السنة » . وهكذا أنقذ سادن الروضة الحسينية حياة الألوف من السنة من المذبحة التي كانت تجري كرّد فعل لما قام به السلطان سليم في سنة ١٥١٢ م من « الذبح المُتقن لجميع الشيعة أينما وجدوا - أربعة قرون ص ١٢ - » . أو ما إرتكبه مراد الرابع في سنة ١٦٣٨ م من ذبح ثلاثين الفاً من الشيعة من الفرس والعرب على السواء في مذبحةٍ واحدة و « بذا أروت هذه المذبحة الأخيرة عطش السلطان الفاتح للدماء - أربعة قرون ص ٨٠ - » . ولم تكن تلك المذابح الطائفية الهائلة إلاّ إستمراراً لتلك السياسة المتبعة في التاريخ فكان المذهب فيها ذريعة لتوطيد دعائم الحكم والتوسع والتسخير .

وكان حظ نادر شار الأفشار الذي خلف الصفويين على عرش ايران أوفر بكثير من غيره في خدمة العتبات المقدسة ، فقد فتح الهند وأتى بخزائنه المملوءة بالنفائس العظيمة إلى ايران وكان نصيب العتبات قسماً غير قليل منها لاسيما النجف الأشرف ، تلك الخزائن العظيمة التي يقول عنها السيد جمال الدين الأفغاني في « العروة الوثقى » بان الانكليز لا زال يذكرونها بشيء كثير من التأسف لأن سبقهم اليها نادرشاه بسنين قبل إستيلائهم على الهند . ثم نهضت زوجته وهي كريمة الشاه سلطان حسين الصفوي الى تعمير المسجد المطهر في عام ١١٣٥ من الهجرة وأنفقت على ذلك أموالاً لا تحصى كما جاء ذكرها في « تاريخ كربلاء المعلى ص ١٥ » وغيره .

الفصل الرابع

الحائر واصلاحاته المهمة في الدولة القاجارية

على يد السلطان آغا محمد خان وفتحعلي شاه وناصر الدين شاه

كان للدولة القاجارية الجديدة في ايران حظ وافر في تعظيم شعائر الحائر المقدس ، فأجريت له على عهد تلك الدولة إصلاحات مهمة لم يسبق أن قاموا بها في الأدوار السابقة ، فمدّت الكف بسخاءٍ وجود عظيمين لهذا الغرض ، وكان الحائر في بداية عهدها على ما تراه اليوم من فخامة البناء والعظمة ولكن القبة السامية والمآذن كانت مكسوة بالكاشاني الأثري القديم وان الجانب الغربي من الصحن ما كان على ما هو عليه الآن من العَرض والسعة فجرى تذهيب القبة والمآذن ، وتوسيع الصحن من تلك الجهة مع بناء الجامع الغربي وإصلاحات مختلفة أخرى على عهد هذه الدولة . وفي خلال مدة قصيرة من الزمن أي خلال خمس وستين سنة فقط من العهد القاجاري الأول جرى تذهيب القبة السامية ثلاث مرات . الأولى منها في أوائل تأسيسها على عهد مؤسسها السلطان محمد خان فقد أمر بتذهيب القبة في أواخر حياته فجرى ذلك في سنة ١٢٠٧ من الهجرة وذلك قبل الغارة الوهابية بعشر سنين . والثانية جرى التذهيب مرة أخرى بهمةٍ وجيزة من بعده على عهد السلطان فتحعلي شاه لأن التذهيب الاول كان قد اسود فكتب إليه أهالي كربلاء بذلك . فأمر الشاه تواً

بقلع الاحجار الذهبية القديمة واستبدالها بالذهب الجديد . ومن الاحجار الذهبية القديمة بعد تصليحها وتجديد ذهبها كسى قبتي الكاظمين (ع) بالذهب [1] . وقد جرت إصلاحات كثيرة للحائر المقدس من بعد الغارة الوهابية الفظيعة على يد السلطان فتحعلي شاه القاجار وذلك في عام ١٢٣٢ هـ بهمة المرحوم الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء رحمه الله الذي توجه لمقابلة الشاه في طهران في أمر تعمير الحائر بعدما هدمته ونهبته الايادي الوهابية الدنيئة في الحرم المقدس ثم أخذ يتجول الشيخ في أنحاء ايران يشجّع على التعمير كما جاء ذلك نظماً في « مجالي اللطف ص ٤٣ » .

فانتهض الشاه له فتح علي ... وأرخص التبر لغالي العمل
وأنشأ للصندوق ساجاً ورقى ... وجعل الشباك فيه ورقا
وألبس القبة ثوباً من ذهب ... وصدر ايوان على البهو إنتصب
وعمّر القبة بالكاشاني ... على أبي الفضل العظيم الشان
وجدّ في تجديد ما قد نهبا ... من الحسين وأخيه المجتبى
وتم ذا في الألف والمئتين ... ثم الثلاثين مع الثنتين
بهمة الكاشف للغطاء ... جعفر في العلم وفي العطاء
فقد سعى قصداً الى طهران ... وجد للحسين في العمران
وطاف في طريقه يحرض ... على البناء من لديه عرض

وقبل هذا التاريخ كان لولده محمد علي مرزا الذي تعين والياً لكرمنشاه الى الحدود فيما بين الدولتين في عام ١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م

---

(١) تحفة العالم ، لسيد جعفر آل بحر العلوم ص ٣٠٨ .

الأيادي البيضاء في تعمير الحائر بعد هدم الوهابيين له ، فأمر محمد علي مرزا بن فتحعلي شاه تواً بتزيين الحرم الشريف وتعميره ، كما جاء ذكره في تاريخ كربلاء المعلى ص ١٦ ، وبذل لذلك مبالغ وفيرة . ويوجد اليوم على أبواب الفضة فوق الآيات القرآنية فيما يقابل الوجه الشريف . والأبواب الفضية التي يشير إليها هذا الكتاب أمام الوجه الشريف هي التي رفعت مع الأسف من محلها باصرار طاهر القيسي الذي كان كثير التدخل وبصورة خارقة في أمور الحائر فأباد بذلك تاريخ الحائر المقدس وآثاره وهكذا يعمل كل واحد منهم في كل يوم فظهرت نتائج أعماله ونواياه الآن . وفي هذا الدور من عصر فتحعلي شاه تبرعت زوجته بتذهيب المأذنتين .

أما التذهيب الثالث للقبة السامية فانه كما تجده مكتوباً على القسم الأسفل من القبة السامية فوق الشبابيك المطلة على داخل الروضة بسطر من ذهب في ضمن الآيات القرآنية المكتوبة في الكتيبة من حول القبة ، وكذلك توسيع الصحن من ناحية الغرب وتشييد الجامع الناصري العظيم فوق الرأس فكان ذلك كله على عهد ناصر الدين شاه حفيد فتحعلي شاه وذلك في أوائل الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري أي قبل ما يقارب التسعين سنة . وذلك أن الشاه في سنة ١٢٧٩ هـ وجه كبير علماء ايران المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهراني رحمه الله بأموال طائلة إلى كربلاء لاجراء ما يلزم العتبات المقدسة من الاصلاح والتجديد والتعمير كما جاءت خلاصة ذلك في « تحفة العالم ص ٣٠٨ » بأن : « في سنه ١٢٧٩ جاء الشيخ عبدالحسين الطهراني إلى كربلاء بأمر السلطان ناصر الدين القاجاري وجدد تذهيب

القبة الحسينية وبناء الصحن الشريف وبناء الايوانات بالكاشي الملون ، وتوسعة الصحن من جانب فوق الرأس المطهر . ولما فرغ من ذلك مرض في الكاظميين وتوفي سنة ١٢٨٦ ونقل إلى كربلاء » . وقد توفي الشيخ رحمه الله بسنتين قبل زيارة ناصر الدين شاه للعتبات المقدسة في سنة ١٢٨٨هـ في أيام مدحت باشا والي بغداد ودفن الشيخ في الجانب الشمالي من باب السلطانية في مقبرته الخاصة في الزاوية الشمالية الغربية من الصحن المقدس ولا زالت مقبرته موجودة الى الآن داخل الصحن في ذلك الموضع ويقال انها ملك له . وقد جاءت هذه التفاصيل نظماً في تلك المجموعة الثمينة من « مجالي اللطف ص ٤٣ و ٤٤ » :

ثم أتى الناصر الدين فعمّ ... مشاهد القدس بفضل ونِعَم
وابتاع دوراً ثم زاد الصحنا ... وزاد إعماراً وشاد مبنى
وأطلق الراحة بالانجاز ... على يدي عبدالحسين الرازي
لدى الثلاث والثمانين سنة ... والمئتين بعد ألف بينة
وزار بعد أربع للطف ... فوجد الشيخ وقد توفي
من بعد ما شيّد كربلاءا ... وروضة الزورا وسامراءا

ولم تقتصر إصلاحات ناصر الدين على الحائر وحده وإنما شملت الكاظمية وسامراء أيضاً . ومن جملة إصلاحات الدور القاجاري تجديد صندوق الخاتم للقبر المطهر ، فقد جدده خان جان القاجار في سنة ١٢٢٥هـ لأن الوهابيين كانوا قد كسروا هذا الصندوق الأثري العظيم وأحرقوه في سنة ١٢١٦ هـ كما تجده مدوناً على كتيبة الصندوق نفسه وقد مرّ بيانه .

الفصل الخامس

الحائر والاصلاحات الاخيرة على يد

السيد طاهر سيف الدين

بعد ما أجري للحائر المقدس والمشاهد المشرّفة إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري من الاصلاحات المهمة التي سبق ذكرها على يد الدولة القاجارية السابقة طغت على العالم موجة مادية لاسيما من بعد إعلان الدستور في كل من ايران وتركيا في سنة ١٩٠٨ م ، فقلّ على الأثر الزائرون والمتبرعون العظام من مختلف الاقطار الاسلامية بالتدريج ، فتوقفت الاصلاحات المهمة للحائر من أوائل القرن الرابع عشر الهجري إلى بعد منتصفه فلم يقم خلال هذه المدة أحد من الملوك والأمراء أو عظماء الرجال على بذل ما يستحق الذكر لتجديد معالمه وإصلاح شؤونه الدينية العامة بما يتناسب والمقام ، إلى أن قيض الله له من بعد منتصف هذا القرن إبناً باراً وولداً صالحاً هو سماحة السلطان السيد طاهر سيف الدين من هذا البيت الطاهر. فزار كربلاء من بعد عام ١٣٥٥هـ فأشرف بشخصه على وضع الحائر المقدس واطلع بنفسه على ما يجب له ولشؤونه العامة من التجديد والتعمير والاصلاح الضروري اللازم ، فمدّ يد البذل والجود لتجديد وتعظيم آثار أجداده الكرام بسخاء منقطع النظير يخلد له التاريخ مآثره الجليلة . فكانت المأذنة الغربية لحرم الحسين عليه السلام قد نظرت إليه نظرة الترحيب فلبى دعوتها فوراً فأمر بتجديد عمارتها من أساس فشيدت على الأثر بأحسن

من ذي قبل . ثم جدد شباك الضريح المقدس وجدد فضته القديمة بفضة من عمل الهند في عام ١٣٥٨ هـ كما تراه في هذه الصورة :

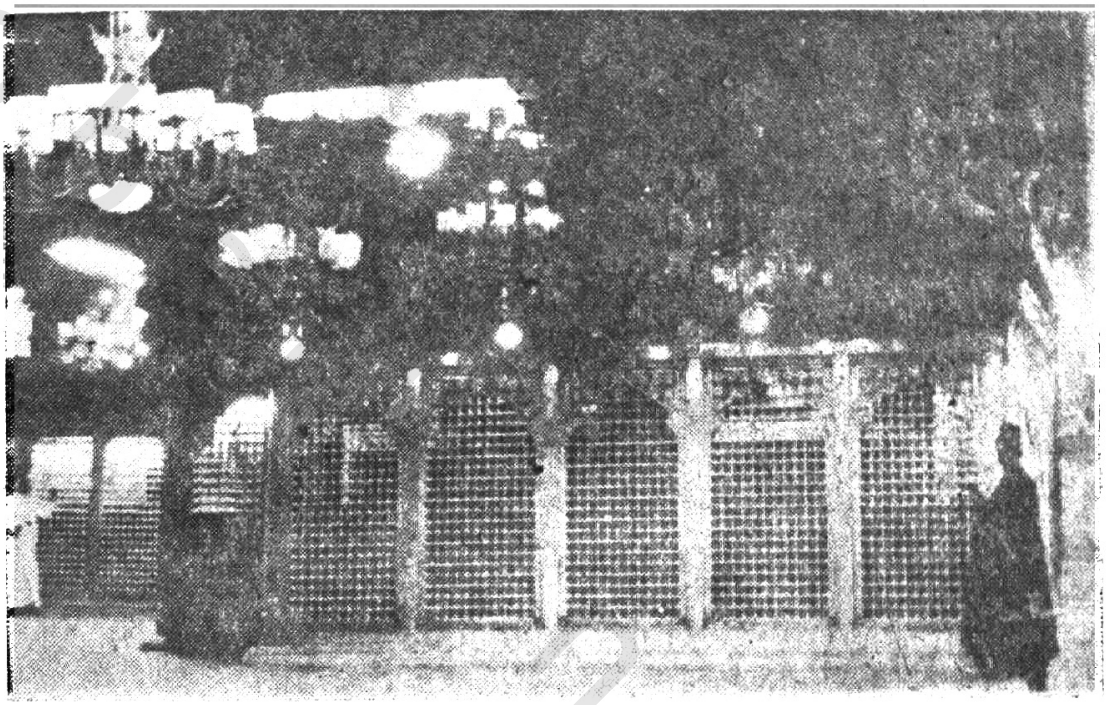

الشباك الفضي لضريح الحسين (ع) وولديه وضريح الشهداء الأبرار داخل الروضة المطهرة

ثم أضاف على مآثره الجليلة فأقدم في عام ١٣٦٠ هـ على تذهيب المأذنتين من حد السطح إلى قمتها . وقد جاء وصف أعماله وتبرعاته العظيمة للحائر المقدس نظماً في « مجلي اللطف ص ٤٤ و ٤٥ » :

ثم استمرت التجددات تقيمها الملوك والسادات
فجدد الشباك سيف الدين طاهر باللجين لا اللجين
وصاغ بالشباك عند الرأس دائرة منيرة كالشمس
من فضةٍ قدرها تقديرا وصبّ فيها ذهباً جديرا
فانظر لها عليه وهي تحكي ترساً على درع بديع الشبك

إشـارة منه إلى إفتدائه بكل ما يمكن من أدائه
فلاح منها حبه الصريح وأرخوا « قد برج الضريح »[1]
وجدد المنارة المنقضّة بالذهب الابريز لا بالفضـة
من بعد ما استأصلها بالنقض من رأسها إلى نخوم الأرض
ثم بناها محكماً أساسها مرخماً بدنها ورأسها
ودمّر المعدن فوق البدن وأفرغ الابريز فوق المعدن
حتى اجتلاها ذهباً مهذبا فذا وأرخوا « أنارت ذهبا »[2]

فان مآثره الجليلة تذكّر التاريخ بما قام به من قبل الداعي الصغير محمد بن زيد بن الحسن الحسني ملك طبرستان من تجديد عمارة الحائر المقدس في سنة ٢٨٣ من الهجرة . وكلاهما من هذا البيت العلوي الطاهر العظيم.

الفصل السادس

الحائر وتوابعه من المدارس والمعاهد العلمية ، والجوامع العظيمة ، والمشاهد التاريخية ، والاماكن الاثرية إلى قبل فتح الشارع من حوله

كانت كربلاء من المراكز الاسلامية العظيمة التي حازت الروحانية الكاملة من الناحيتين الدينية والعلمية ، فكانت قد حازت على مركز علمي خطير بجانب ما كانت تتمتع به من المكانة الدينية العظيمة ، إذ صار يتوجه

---

(١) أي ١٣٥٨ هـ - (٢) أي ١٣٦٠ هـ .

اليها منذ أول العهد رجال الدين ، وطلاب العلم ، ورُوّاد الحقيقة والكمال من الشعوب الاسلامية ، فتأسست فيها المعاهد العلمية والمدارس الدينية العالية بمرور الزمن أسسها لها رجال الدول الاسلامية حول الحائر المقدس ، فأصبح الحائر وتحيط بها تلك المعاهد العلمية والمعابد الدينية والمساجد التاريخية إحاطة الهالة بالقمر كما وصفها نيبوهر الالماني عند ما زار كربلاء قبل قرنين في ١٧٦٥ في ج ٢ ص ٢١٨ من رحلته وهو يصف حرم الحسين (ع) وما يحيط به من المعاهد العلمية بقوله : إن مجموع هذا الجامع العظيم يقع على مساحة كبيرة تحيط بها دور أهل العلم ورجال الدين من جهاتها الأربع . أما اليوم فلا يرى نيبوهر من حول الحائر غير شارع فارغ قد يكون منتزهاً من المنتزهات في هذا المحل الديني المقدس وفي هذا المشعر الاسلامي العظيم . وأما المعاهد الدينية التي أشار اليها نيبوهر والتي كانت تفتخر بها كربلاء الى قبل سنتين فصارت لقمة سائغة باردة لهذا الشارع الذي ما كان للحائر نفسه من مصلحة فيه كي يضحوا بها لأجل فتحه ، وكان في ذلك خسارة عظيمة لا تعوّض للحائر ولكربلاء ومكانتها العلمية الرفيعة وبدأت لها هذه النكبة من عام ١٩٣٤ يوم بدأ البعض بالتفكير في هدم مأذنة العبد التاريخية بعنوان ميلانها كما سبق .

إن تلك المدارس العظيمة لطلاب الدين ، وتلك المعاهد العلمية لروّاد العلم ، وتلك الجوامع والمساجد القديمة التاريخية للشعائر الاسلامية حول الحائر ، كلها كانت جلالاً للحائر وعظمة لمكانته الدينية ومنزلتها العلمية السامية . وقد تخرج منها في مختلف أدوار التاريخ فحولٌ من رجال الدين ،

من أكابر العلماء ممن تركوا لهم آثاراً جليلة في الدين وفي التشريع الاسلامي معاً . وإلى هذا العهـد كانت تقوم بنشر الآداب الاسلامية وتُسدي الخدمات الجليلة للعلم والدين على نحو ما يقوم به جامع الأزهر الذي هو مفخرة مصر والذي يعزّ على كل مخلص أن لا يجد الحكومة ساعية في تأسيس مثله في النجف أو بغداد مع ما إلى ذلك من الحاجة الملحة . وعلى فرض بعض العذر في عدم القيام بمثل هذا العمل الضروري خدمةً للثقافة الاسلامية ولكن لا سبب في السماح بهدم أمثاله الكثيرة مما أسسته الأجيال السالفة من المدارس والمعاهد والجوامع في كربلاء لأتفه الأغراض من قبيل فتح شارع واسع بدلاً عن تلك المعاهد العلمية التي كانت تحيط بصحن الحسين عليه السلام .

فقد أقدمت البلدية على ذلك فذهبت ضحية هـذا الشارع المؤسسات والمعاهد الدينية المهمة ، والجوامع والمساجد العظيمة ، والأماكن الأثرية التاريخية ، والآثار الفنية الثمينة . فذهبت من جهة غرب الحائر: ١ـ مدرسة الزينبية وكانت من المعاهد العلمية المهمة هي وموقوفاتها . ٢ـ الجامع الناصري العظيم . ٣ـ مدرسة صدر الأعظم النوري وكانت من أمهات المعاهد العلمية في كربلاء . وذهبت ضحية الشارع من شمال الحائر : ١ـ جامع رأس الحسين التاريخي العظيم وكان قد أقيم في وسط هذا الجامع العظيم منذ العهد الأول مقام أثري تذكاري لأن الرأس المطهر كان قد وُضع في ذلك المحل قبل أن يؤخذ الى الكوفة ، وكان الشيعة قاطبة يعلّقون أهمية كبيرة على هذا الجامع وكان هو من المقدسات الدينية عندهم . ٢ـ جامع السردار حسن خان

الذي كان يُعد آية في الفن المعماري وعلى جانب عظيم من الهندسة .

٣ ـ مدرسة السردار حسن خان وكانت أعظم مؤسسة دينية علمية في كربلاء وقلما كانت توجد مدرسة مثلها في المشاهد المشرفة وقد تخرج منها فحول العلماء قديماً وحديثاً كذلك ذهبت موقوفاتها ايضا ضمن الشارع .

فقد فقدت كربلاء بهذا المشروع إحدى ميزتيها الدينية والعلمية ففقدت ميزتها العلمية بهدم مدارسها ومعاهدها . كذلك فقدت جمالها الفني الأثري التاريخي ولم تحصل أزاء الخسارة العظمى غير شارع يستطيع الافرنج أو غيرهم من التجول حول الصحن دون أن يتحملوا عناء المشي على الأقدام ، وهذا كل ما حصل . وغني عن التنويه بأن الهدم كان نصيبها من عهدها الأول . وقد جرى التخطيط والتنفيذ والهدم لتوابع الحائر حسب الظاهر بلا رضى الأهلين ورجال الدين ومن جملة ما نشرته جرائد العاصمة المختلفة فهذا ما نشرته جريدة « النداء » البغدادية بهذا الصدد :[1]

شكوى علماء كربلاء

تسلمنا ظهر أمس البرقية التالية من كربلاء : جريدة النداء بغداد

لقد عزمت بلدية كربلاء على تهديم حول الصحنين الشريفين وإستملاكهما من غير ضرورة الى ذلك ، وهذه فاجعة عظيمة وحادثة كبيرة توجب تألم القلوب وتأثر النفوس لكافة المسلمين لما فيها من محو

---

(١) راجع : جريدة النداء العدد ٤٣٢ تاريخ ٩٤٦/٢/٢٧ = ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٥ .

الآثار الدينية والمشاعر الاسلامية ، وإزعاج الفقراء والضعفاء عن أماكنهم وإخراجهم من مساكنهم وآلهين حيارى من غير مسكن ولا مأوى يلجون إليه في مثل هذا الموقف الحرج العصير . فنرفع شكوانا لسموكم الملكي في دفع هذه البلية العظمى وإصدار الأمر بالمنع وغض النظر عن هذه الفكرة الفاجعة مستجيرين بالعرش الملوكي ومستعينين بالبيت الهاشمي الرفيع دامت أيامكم .

هيئة علماء كربلاء

محمد الطباطبائي . محمد حسن الموسوي الطباطبائي . محمد هادي الحسني الحائري . محمد الخطيب . حسين القزويني الحائري .

وقد تقدّم متولي مدرسة السردار حسن خان بعريضة إسترحم فيها عدم التعرض لأمثال هذه الأبنية التاريخية الدينية وهذا نصها :

إن بلدية كربلاء قررت هدم مدرسة حسن خان الدينية العظيمة التاريخية وتشتيت شمل طلابها . بصفتي متولياً عليها استرحم من أولياء الأمور إصدار الأمر بعدم التعرّض مؤيداً بذلك إستعطاف سماحة العلامة آية الله القمي دام ظله وتصريح معالي العين المحترم السيد عبدالمهدي دام علاه بعدم التعرض لأمثال هذه الابنية التاريخية الدينية .

المتولي : عباس الطباطبائي

وقد أشار في هذه العريضة الى برقية آية الله القمي وتصريح معالي السيد عبدالمهدي الذي أدلى به على الأثر في مجلس الاعيان في يوم الخميس ٢٨-٣-١٩٤٦ بأن « تخطيط المدن القديمة وفق الأساليب العصرية غير

ممكن لوجود المعابد والآثار النفيسة التي ينبغي الاحتفاظ بها . وإذا أردنا إنشاء مدن عصرية وفق هذه الاساليب فلننشأ مدن جديدة خارج المدن القديمة »[1].

ثم وجه أحد أساطين العلم وعلم من أعلام الدين اللامعين « النداء العام » التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء عام . لا يخفى على أولياء الامور وفقهم للصالح العام والخدمة العامة إن أهالي كربلاء يستغيثون ويضجّون بالشكوى المؤلمة من هذه الحركة العنيفة وهي هدم دورهم وتركهم بلا مأوى مع عيالاتهم وأطفالهم في هذا الوقت العصيب . ولا شك ان أولياء الامور يعطفون عليهم ويرأفون بهم ويتركون هذا العمل الذي لا ضرورة تقتضيه الى وقت آخر حيث تتسع الاحوال وتتسهل الاعمال وفق الجميع بدعاء .

الاب الروحي محمد الحسين آل كاشف الغطاء[2]

وهناك طائفة كبيرة من البرقيات والعرائض الاسترحامية في حفظ آثار الحائر القديمة ومعاهده العلمية والدينية مما لاموجب للاطالة فيها ويكفي إن إقدام البلدية في هذا الامر وهدمها الاماكن الدينية كان مغايراً لرضى رجال الدين والعلماء والاهلين . وقد ترك هدمها تأثيراً بليغاً في النفوس ومع ذلك كله فلا يمكن القول بأن هذا المشروع ظهر الى عالم الوجود أو

---

(١) نشر في جريدة « الساعة » عدد ٤٤٥ ليوم الجمعة ٢٩-٣-٩٤٦

(٢) ان هذا النداء العام بخط مولانا العلامة الأكبر وتوقيعه موجود لدينا وهي الصورة الأصلية من هذا النداء .

دخل دور التنفيذ دون أن يؤيده البعض من الذوات المعلومين ويرغبون فيه فكان لهم في ذلك بعض التأثير مما لا يستهان به ، فكان البعض في كربلاء لمصالح ، والبعض الآخر للتخلص من مأزق يبوتهم الضيق والتطلع الى شارع واسع تصل بهم السيارة الى دارهم بباب الزينبية ، والآخرون من أهالي كربلاء الساكنين في الكاظمية مثلاً لبعض المصالح الخاصة [1] . وغير هؤلاء ايضاً ممن كانوا يؤيدون المشروع من طرف خفي ويشوقون الى تنفيذه كل حسب مصالحه وفي الحقيقة لم يكن المسبب الاصلي غير شخص واحد هوالذي كان يدير دولاب هذا العمل من وراء الستار ، لماذا ؟ من يدري . وفيما يلي خريطة الحائر المقدس وتوابعه من حوله قبل فتح الشارع :

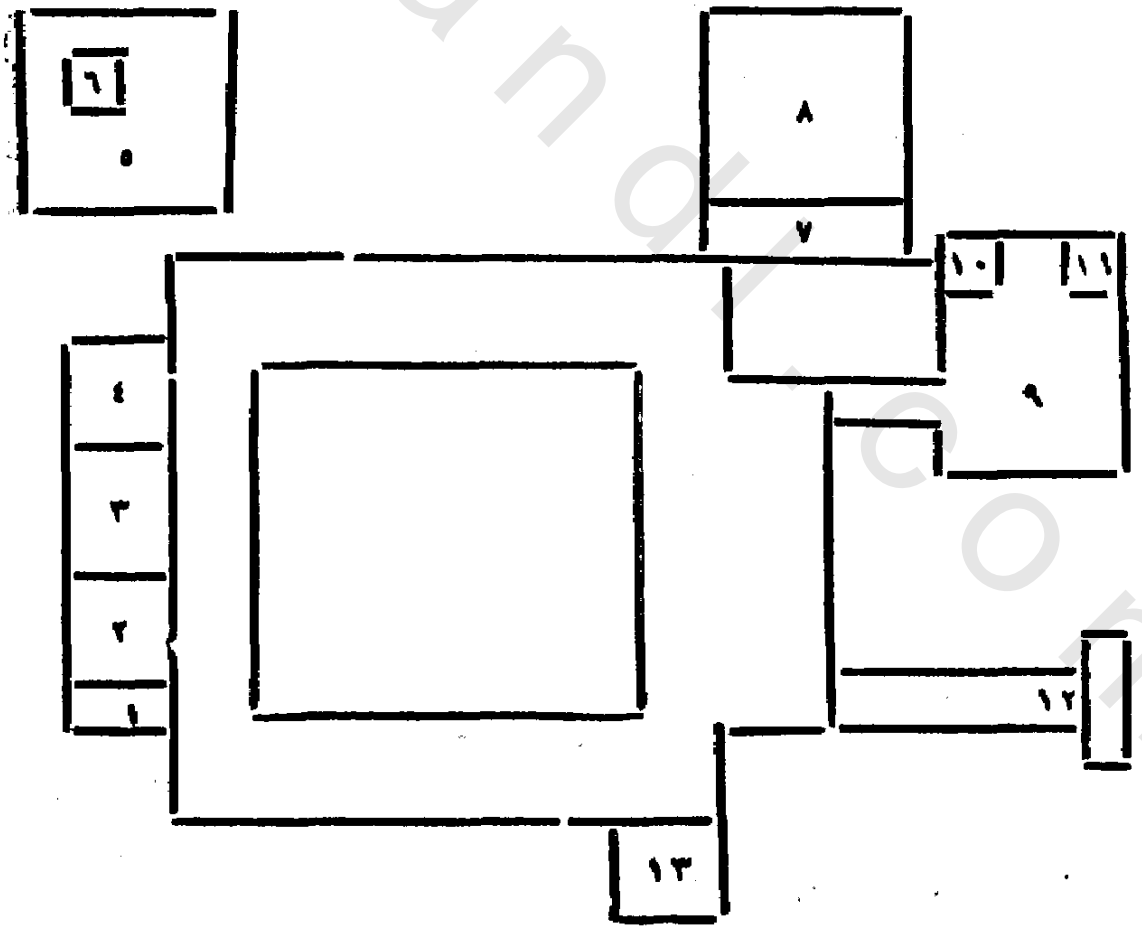

(١) ومن الغريب ان هذا النفر سعوا في أمر هذا الشارع وهدم توابع الحائر في =

(١) موقوفات مدرسة الزينبية (٢) مدرسة الزينبية العظيمة وكان بابها من داخل الحائر المقدس . هدمت هي وموقوفاتها في يوم الاثنين ١٣ محرم ٦٨ = ١٥-١١-٤٨ على يد عبدالرسول الخالصي . (٣) الجامع الناصري العظيم هدمه عبدالرسول في ع ل ٦٨ (٤) مدرسة صدر الاعظم النوري من أمهات المدارس الدينية هدمها طاهر القيسي (٥) جامع رأس الحسين الاثري العظيم و (٦) مقام رأس الحسين ع في وسط الجامع هدمهما طاهر القيسي . (٧) مسجد مدرسة حسن خان الكبير و (٨) مدرسة السردار حسن خان العظيمة وموقوفاتها هدمها عبدالرسول الخالصي في يوم الخميس ١٦ محرم ٦٨ = ١٨-١١-٤٨ (١٠ و ١١) مآذن مقابر البويهيين و(٩) مقابر الملوك البويهيين وقد هدم كلها عبدالرسول الخالصي في يوم الاربعاء ٢٢ محرم ٦٨ = ٢٤-١١-٩٤٨ . (١٢) رأس مدخل « باب قاضي الحاجات » الاثري التاريخي وهو لابد وأن يهدم قريباً (١٣) ملحقات تكية البكداشية في الحائر وقد هدمت في أيام عبدالرسول الخالصي .

الفصل السابع

الحائر وحرم العباس عليه السلام

على بعد ثلثمائة متر تقريباً في الجهة الشمالية الشرقية من الحائر المقدس يقع مرقد العباس عليه السلام حيث إستشهد على مشرعة الفرات فدفن

= في كربلاء بالنظر الى مصالح خاصة وماثروا في الكاظمية من تمديد شارع الجسر الى باب الصحن حفظاً لدارهم التي اشتروها في المزايدة من الاجراء . فانظر الى أي درجة لعبت الأهواء في هذه الأمور .

في محل شهادته خارج الحائر وهو المحل الذي أقيم عليه مرقده الفخم العظيم على غرار مرقد أخيه الحسين (ع) ومراقد بقية الائمة الاطهار في العتبات المقدسة . وكان العباس قد ذهب لاستقاء الماء من المشرعة لعطاشى حرم أخيه . ولما أخذ الماء أحاط به القوم ليمنعوه فتقاتلوا حتى قتل عليه السلام وهو يدافع عن الماء إلى آخر النفس لعله يصل به الى الحرم فيسقي النساء والاطفال والرضيع . أصبح العباس ويضرب المثل بايثاره إذ أنه لما وصل الفرات وهو عطشان أراد أن يشرب الماء فذكر عطش أخيه وأهل بيته فامتنع عن شربه قبل إرواءهم . وللعباس عليه السلام مقام رفيع ومنزلة عظيمة فهو الاخ المواسي لاخيه ولذلك شيد قبره الطاهر على نسق قبر الحسين عليه السلام بنفس العظمة والفخامة . وهو مدفون على المسناة كما رواه المفيد في « الارشاد » وغيره . وكان نهر نينوى يجري إذذاك في هذا الاتجاه من الشمال الى الجنوب وتمتد قرية نينوى على ضفافه ، ولعل شارع العباس اليوم هو المحل الذي كان يجري فيه الفرات في الصدر الاول .

والمرقد فخم للغاية يتألف من حرم مجلل مبني بالرخام في وسطه الشباك المقدس من الفضة تحيط به من الجهات الأربع أروقة عظيمة على نسق مايحيط بحرم الحسين (ع) من الأروقة . وفوق أركانه الأربعة الرصينة تعلو قبة عظيمة مغشاة بالكاشاني الفني الأثري البديع ، وتتقدم القبة مأذنتان بديعتان يكسوهما الكاشاني والفسيفساء البديع الصنع الى حد الصينية ومافوقها الذهب الابريز الى رأس قنيهما ، ويقابلهما فوق باب القبلة برج عظيم تعلوه ساعة

رنانة تدوي في الفضاء دوي الصارخ المتألم فيملأ الجو رهبة ووقاراً. وهذا البناء الفخم واقع على سراديب تحت الأرض وتحت البناء فارغ يتخلله الهواء من الداخل فيمنع تسرب الرطوبة إليه بخلاف ما هو في حرم الحسين (ع) من أن البناء مشيد على الأرض مباشرة. ويحيط به من جهاته الأربع صحن جميل بديع الصنع والهندسة ورفيع الأسوار غير أن الحائر أوسع منه بكثير وأن الأدوار التي مرت على الحائر المقدس من التعمير أو الهدم والخراب والنهب والسلب مرّت على مرقد العباس أيضاً حسب الظاهر، كما يشير إلى ذلك في « مجالي اللطف ص ٤٥ » :

وكل من شاد بناء السبط شاد بنا أخيه بين الرهط
فهو العفرناة الشديد الباس ومن ترى كالضيغم العباس

والعباس (ع) معروف بين الناس بشدة البأس والسطوة ولذلك لقّب بالضيغم والغضنفر. ويتهافت الناس على زيارته من الشيعة ومن مختلف الطوائف الاسلامية يقدمون له الهدايا والنذور بدافع الخوف والرجاء على الأكثر، الخوف من سطوته فلا يحلف أحد به كذباً ويروون في ذلك أحاديث متنوعة. ثم الرجاء من فضله أن يقضي حوائجهم أبو الفضل.

٨ - ختامه مسك

الخاتمة وعناية البيت المالك الهاشمي بشؤونه في العراق

خرج العراق من الحرب العالمية الأولى بفتح مبين إذ فتح ذراعيه لبيت المالك الهاشمي العظيم من السلالة الطاهرة ، فتربع المغفور له جلالة فيصل بن الحسين قبل تمام ألف وثلثمائة سنة على عرش أجداده في العراق ، فتم بذلك اتصال حلقات التاريخ في القرون الأخيرة بالقرن الأول من الهجرة . ومنذ أن حلّت أقدامه في أرض أجداده العظام جاءها فيصل زعيماً وقائداً وملكاً وقديساً ، فقد اجتمعت فيه مزايا الرجال الأفذاذ بجانب ما كان له من شرف بيت رفيع في العرب والاسلام . فكان زعيماً يتزعم أمة بأسرها ، وقائداً يقود السفينة إلى ساحل النجاة ، وملكاً يشرف على أمور الرعية والبلاد ، وقديساً ترفع عن حضيض المادة إلى سماء العلى والكمال فكان يطلب الضالة المنشودة إذ كان يشعر بما أصاب الأمة العربية من الخور والخلل طول تلك المدة المديدة .

وقد كانت عنايته التامة نحو الأعتاب المقدسة يشرف بنفسه على شؤونها فيخصص المبالغ لتعميرها إن كان من مورد النفط أو من المالية أو من الأوقاف في الدولة . وكذلك الحال على عهد الأمير الهاشمي صاحب السمو الملكي الوصي المعظم ، فانه لا يألو جهداً في خدمة مشاهد أجداده الكرام فيشملها دوماً بلطفه الخاص وعنايته الكاملة ، فيتفقد شؤونها العامة من حين إلى حين ساهراً على أمورها وعلى مصالحها الصغيرة والكبيرة على حد سواء . الأمر الذي يستلزم شكر سموه المعظم لأياديه البيضاء نحو هذه الأعتاب المقدسة .

ما تفضل به الخطيب الكاظمي الشهير فضيلة السيد محمد حسين الحيدري مؤلف كتاب « المعارف الحسينية » مقرضاً كتاب تاريخ كربلاء وحائر الحسين (ع)

« للحائر » الميمون قد شيدت أسواراً منيعة

لله نفسٌ قد حوت ... بمقامها الرتب الرفيعه
فبنت على العيوق صر ... حاً بالفضائل للشريعه
تلك المكارم للجواد اللو ... ذعيّ أنت وسيعه
أكرم به من كاتب ... شكر الاله له صنيعه
حاز السباق بوصفه ... الأرض المقدسة المنيعه
خدم الحسين موضحاً ... للناس أسراراً رفيعه
إن عدّت الكتاب كان ... لجمعهم أبداً طليعه
فلنثره ودّ البديع لو ... أنه يحكي بديعه
واسفره جاء البيان ... تذللاً يهوى ربوعه
يا صاحب السفر الذي ... ضمنته غرراً نصيعه
إعلم بأني عاجز ... عن مدح سدتك الرفيعه
« للحائر » الميمون قد ... شيّدت أسواراً منيعه
وأقمت نبراس الحقيقة ... للشهيد على الشريعه
بيراعك الحلاب قد ... سطرت آيات بديعه
خذها اليك فانها ... مقطوعة جاءت مطيعه
عذراً فمثلي مدح مثلك ... شعره لن يستطيعه

كلمة صاحب الفضيلة العلامة حضرة الشيخ مرتضى الحائري

مقرظاً كتاب « تاريخ كربلاء وحائر الحسين ع »

عبدالجواد آية بينة ومعجزه
كنزٌ خفيٌ لم يزل يراعه قد أبرزه
لله ما أبدعه من قلم وأحرزه
مفصلاً تبيانه ولفظه ما أوجزه
أبدع ما أودع في تأليفه وإرتجزه
معدن علم كنزه سبحان من قد كنزه
أخرس سحباناً به وقس فيه أعجزه
أذاك سحر بابل أم سحر لفظ جوّزه ؟
أفضل كل عمل ما كان منه أحرزه
آمن من في عصره به لما قد أحرزه
لذاك خرّوا سُجّداً لآيه والمعجزه

رفع فروض الشكر

نرفع أجمل الشكر إلى حضرات العلماء الأعلام وقادة الرأي العام اللامعين في سماء العلم والأدب الذين تفضلوا بالتقريظ على كتابنا « تاريخ كربلاء وحائر الحسين ع » بما جادت به قنثات أقلامهم نثراً ونظماً فشملونا بالطافهم العالية وثقتهم الغالية ، فلهم منا أجزل الشكر وأجمل عبارات الثناء .

فهرست محتويات الكتاب

صفحة

(ج) فاتحة الكتاب بعنوان صاحب السمو الوصي المعظم .
(د) كلمة سماحة الامام الأكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء .
(ه) كلمة سماحة العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني النجفي
(و) كلمة صاحب الفضيلة الشيخ جعفر نقدي عضو التمييز الشرعي الجعفري.
(ز) كلمة فضيلة العلامة السيد محمد مهدي الأصفهاني .
(ح) كلمة سعادة الأستاذ الكبير السيد محمد رشيد مرتضى .
٢-٣ منظر عام لمدينة كربلاء المقدسة من الجو . وإهداء الكتاب

٤ مقدمة الكتاب : كربلاء قبلة الاباء ، ومكة قبلة الصلاة في الاسلام

١٠ الباب الاول : حائر الحسين عليه السلام و كربلاء

الحائر وتقديسه في الدين - ١٠ - الحائر في اللغة والتاريخ - ١٣ - كربلاء والاماكن المسماة بالحائر - ١٨ - الحائر والحير والحيرة - ٢٣ - الحائر في الفقه والحديث - ٢٧ - مناطق الحرم والحائر - ٤٥ -

٥٠ الباب الثاني : الحائر والحَيْر والتحقيق فيهما تاريخيا

التحقيق في اسم الحائر والحير تاريخياً - ٥١ - الحائر ومبدأ ظهور هذا الاسم - ٥٤ - الحائر والوجه في تسميته - ٥٦ - التحقيق في اسم الحير تاريخياً - ٦٠ -

٦٦ الباب الثالث : الحائر وشؤونه العامة

الحائر ووصفه في العصر الأول - ٦٦ - الحائر ومكانته الدينية السامية - ٧٠ - الحائر وأثره في العالم الاسلامي - ٧٥ - الحائر ووضعه العام في العصر الأول - ٨٣ -

صفحة

١٠١ الحائر أرضه المباركة وتربته المقدسة

قدسية تربة كربلاء فى الاسلام ← ١٠١ - التبرك بالتربة في الاسلام - ١٠٥ - ما يجوز وما لا يجوز السجود عليه - ١٠٨ - سبب اختيار تربة كربلاء - ١١٣ - عمل الائمة فى السجود عليها - ١١٦ - سر السجود على تربته عليه السلام - ١١٩ - دفع شبهة المفترين وبيان الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء - ١٢٢ - الحائر مواسم اتيانه وآداب زيارته - ١٢٦ - الحائر ومواسم زياراته - ١٣٢ - الحائر وأول من سكنه من الاشراف العلويين - ١٣٩ -

١٤٨ الباب الرابع : أدوار الحائر التاريخية وعمارته

الحائر وبنائه الشامخ - ١٤٩ - عمارته الأولى من بعد الوقعة - ١٥١ - عمارته الثانية من بعد عام ١٩٣ هـ - ١٥٣ - عمارة المنتصر الثالثة للحائر في عام ٢٤٧ هـ - ١٥٥ - عمارة الداعي الصغير الرابعة له فى ٢٨٣ هـ - ١٥٧ - عمارة عضد الدولة الخامسة له في ٣٦٩ هـ - ١٦٢ - مقابر الملوك البويهيين في الحائر - ١٦٥ - عمارة ابن سهلان السادسة له في ٤٠٧ هـ - ١٧١ - عمارة أحمد الناصر العباسي السابعة له فى ٦٢٠ هـ - ١٧٤ - عمارة أويس الجلائري الثامنة له فى ٧٦٧ هـ - ١٧٧ -

١٨٢ الباب الخامس : الحائر وأدوار الهدم والتخريب والنهب والحرق

ما مرت عليه من الأدوار المظلمة - ١٨٢ - هدم المنصور له - ١٨٤ - هدم الرشيد له في سنة ١٩٣ هـ - ١٨٦ - هدم المتوكل له فى أعوام ٢٣٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٧ هـ - ١٩١ - من باشروا فى هدمه بأمر المتوكل - ٢٠٤ - هدمه بسقوط السقيفة على عهد الموفق فى سنة ٢٧٣ هـ - ٢٠٥ - نهبه على يد ضبة بن محمد الأسدي فى ٣٦٩ هـ - ٢٠٨ - هدمه حرقاً على عهد القادر بالله في ٤٠٧ هـ - ٢١٠ - نهب خزائنه على يد المسترشد بالله فى ٥٢٦ هـ - ٢١٥ - نهبه على يد المشعشعين في سنة ٨٥٨ هـ - ٢١٧ - هدمه وحرقه ونهبه وقتل النفوس فيه على يد الوهابيين فى سنة ١٢١٦ هـ - ٢٢٣ - مأذنة الصبد الشهيرة تاريخها وهدمها - ٢٣٠

صفحة

٢٤٣ الحائر والاصلاحات المتأخرة

اصلاحات الشاه اسمعيل الصفوي في سنة ٩١٤ هـ - ٢٤٤ - اصلاحات السلطان سليمان القانوني في سنة ٩٤١ هـ - ٢٤٨ - اصلاحاته في الدولة الصفوية - ٢٥١ - اصلاحاته في الدولة القاجارية - ٢٥٥ - اصلاحاته الأخيرة على يد السيد طاهر سيف الدين - ٢٥٩ - الحائر وتوابعه - ٢٦١ - الحائر وحرم العباس ع - ٢٦٨ - ختامه مسك - ٢٧١ - تقريظ السيد محمد حسين الحيدري - ٢٧٢ - تقريظ الشيخ مرتضى الخالصي - ٢٧٣

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٢	شتات	شتات
١١	٩	الفاضربة	الناضربة
١٢	٤	بالقدريج	بالتدريج
١٤	١١	في عدا	في عداد
٥٩	٢٠	المراقد	المراقد
٩٣	١٢	كانوا	ما كانوا
١٣١	١٨	حى	حق
١٧٠	٦	الصيونية	الصهيونية
١٨١	٥	محمد	الشيخ محمد
١٨٣	١	(١) راجع ص ٧٩ من هذا الكتاب	
١٨٣	١٨	(٢) راجع « الحسين ع » و « مواسم الأدب »	
١٨٥	١١	لا يخالى	لا ينال
١٩١	٧	تأمياً	تأسياً
٢٥٩	١١	عماد متناسب	عما يتناسب

obeikandl.com